كتاب ذيل الأمالي والنوادر

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذيل الأمالى والنوادر

قال أبو على إسماعيل بن القاسم القالى رحمه الله تعالى[1] أخبرنا أبو بكر بن دريد الأزدى قال حدّثنا الرياشى عن محمد بن سلام قال : كتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم : إنى نظرت فى عمرى فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نَحْوى فى السِّنّ ، وإن امرأً قد سار الى مَنْهَلٍ خمسين عاما لَقَمِنٌ أن يكون دنا منه ، فسمع التيمى منه هذا فقال :

وإن امرأً قد سار خمسين حِجّةً * الى مَنْهَلٍ مِنْ وِرْده لَقريب

[مطلب مرثية محارب بن دثار لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه]

قال أبو على قال أبو بكر وحدّثنا عبد الأوّل بن مَرْثَد قال حدّثنى أحمد بن المُعَذَّل قال : رَثَى مُحارب بن دِثَار عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فقال هذه الأبيات :

كم من شريعةِ حَقٍّ قد أقَمْتَ لهم * كانت أُمِيتَتْ وأُخْرَى منك تُنْتَظَر

يالَهْفَ نفسى ولَهْفَ الواجِدِين معى * على النجوم التى تَغْتَالُها الخُفَر

ثلاثةٌ ما رأت عينٍ لهم شَبَهًا * يَضُمُّ أعظُمَهم فى المسجد المَدَرُ

وأنت تتبعهم لم تَأْلُ مُجْتَهِدًا * سَقْيًا لها سُنَنًا بالحق تُقْتَفَر

لو كنتُ أملك والأقدار غالبةٌ * تأتى صَباحًا وتَبْيَاتًا وتَبْتَكِر

صَرَفْتُ عن عُمَر الخيرات مَصْرَعَهُ * بِدَيْرِ سَمْعَانَ[2] لكن يَغْلِب القَدَر

(١) وجد بهامش الأصل ملحقا بهذا الموضع وعليه علامة الصحة ما نصه : وحدّثنا النيسابورى قال حدّثنا حاجب بن سليمان قال حدّثنا مؤمل بن إسماعيل قال حدّثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء بن زيد بن خالد الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من فطر صائما أو جهز غازيا كان له مثل أجره" . (٢) دير سمعان بكسر السين وفتحها : دير بنواحى دمشق فى موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور ودور ، وبه قبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا الرياشى عن العتبى عن أبيه قال : رأيت امرأة بِضَرِيَّة[1] جالسةً عند قبر تبكى وتقول هذه الأبيات :

ألا مَنْ لى بأُنسك يا أُخَيَّا * ومن لى أن أُبَشَّـك ما لَدَيَّا
طَوَتْكَ خطوبُ دهرك بعد نَشْر * كذاك خطوبه نَشْرًا وطَيًّا
فلو نَشَرَتْ قُواك لِىَ المَنَايا * شكوتُ اليك ما صَنَعَتْ إلَيَّا
بَكَيْتك يا أُخَىَّ بدمع عينى * فلم يُغْنِ البكاء عليك شَيًّا
وكانت فى حياتك لى عِظَاتٌ * فأنت اليومَ أوْعَظُ منك حَيًّا

| مطلب قصيدة الأبيرد الرياحى التى رثى بها أخاه بريدا وشرح غريبها |

قال وأنشدنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش للأُبَيْرِد بن المُعَذَّر الرِّياحى يَرْثى أخاه بُرَيْدًا

تَطَاول لَيْلِى لم أَنَمْهُ تَقَلُّبا * كأنَّ فراشى حالَ منْ دونه الجَمْر
أُراقب من ليل التِّمام نجومه * لَدُنْ غاب قَرْنُ الشمس حَتَّى بدا الفجر
تَذَكَّر عِلْقٍ بانَ منا بنَصْره * ونائله ، يا حَبَّذا ذلك الذُّكْر
فإن تَكُنِ الأيَّام فَرَّقْنَ بَيْنَنا * فقد عَذَرَتْنا فى صَحابته العُذْر
وكنت أرَى هَجْرًا فِراقَكَ ساعةً * ألا لا بَلِ الموتُ التَّفَرُّق والهجر
أَحَقًّا عباد الله أن لَسْتُ لاقيا * بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ ما لَأْلَأَ العُفْر
فَتًى ليس كالفِتْيان إلَّا خِيَارهم * من القوم جَزْلٌ لا ذَلِيلٌ ولا غُمْر
فتى إن هو استغنى تَحَرَّق فى الغِنى * وإن كان فَقْرٌ لم يُؤَدْ مَتْنَه الفَقْر
وسامَى جَسِيمات الأمور فَنَالَها * على العُسْر حتى يدرك العُسْرَةَ اليُسْر
تَرَى القومَ فى العَزَّاء ينتظرونه * اذا شَكَّ رأىُ القوم أو حَرَبَ الأمر
فَلَيْتَك كُنْتَ الحَىَّ فى الناس باقيا * وكنتُ أنا المَيْتَ الذى ضَمَّه القبر
فتى يَشْتَرِى حُسْنَ الثناء بماله * اذا السَّنَةُ الشَّهْباء قَلَّ بها القَطْر

(١) ضرية : قرية بنجد فى طريق البصرة الى مكة وينسب اليها حمى ضرية ، يزرها حاجّ البصرة ، هكذا ذكر فى أيام العرب وأشعارهم .

كأن لم يُصاحبنا بُرَيْدٌ بغِبْطةٍ * ولم تَأْتِنا يوما بأخباره البُشْر
لَعَمْرِى لَنِعْمَ المرءُ عاشَ بَعِيشِه * لنا ابْنُ عَرِينٍ بعد ما جَنَح العَصْر
تَمَضَّت به الأخبار حتى تَغَلْغَلَتْ * ولم تَثْنِه الأطباعُ عنا ولا الجُدْر
فلما نَعَى الناعى بُرَيْدًا تَغَوَّلَتْ * بِىَ الأرض قَرْطَ الحُزْن وانقطع الظهر
عَسَاكِرُ تَغْشَى النفسَ حتى كأنَّنى * أخو نَشْوةٍ دارت بِهَامَتِه الخَمْر
الى الله أشكو فى بُرَيْدٍ مُصِيبتى * وبَثِّى وأحزانا يَجِيش بها الصَّدْر
وقد كنتُ أستَعْفِى الاله اذا اشتكى * من الأجْر لى فيه وإن سَرَّنِى الأجْر
وما زال فى عَيْنَىَّ بعدُ غِشاوةٌ * وسَمْعِى عما كنت أسمعه وَقْر
على أننى أقْنَى الحَياءَ وأتَّقِى * شَماتةَ أقوام عيونهمُ خُزْر
فحياكَ عنِّى الليلُ والصبح إذ بدا * وهُوجٌ من الأرواح غُدْوَتُها شهر
سَقَى جَدَثًا لو أستطيع سَقَيْتُه * بأوْد فَرَوَّاهُ الرَّوَاعِدُ والقَطْر
ولا زال يُسْقَى من بلاد ثَوَى بها * نبات اذا صاب الرَّبيعُ بها نَضْر
حَلَفْتُ بربِّ الرافعين أكُفَّهم * وربِّ الهدايا حيث حَلَّ بها النَّحْر
ومُجْتَمَع الحجاج حيث تَوَاقَفَتْ * رِفاقٌ من الآفاق تكبيرُها جَأْر
يَمِينَ أمرئٍ آلَى وليس بكاذب * وما فى يَمِينٍ بَتَّها صادق وِزْر
لئن كان أمْسَى ابْنُ المُعَذَّر قد ثَوَى * بُرَيْدٌ لنِعْمَ المرءُ غَيَّبَه القبر
هو المرء للمعروف والبِرِّ والنَّدَى * ومِسْعَرُ حَرْبٍ لا كَهَام ولا غُمْر
أقام ونادَى أهلُه فتحمَّلوا * وصُرِّمَتِ الأسباب وانْحَلَّف النَّجْر
فأىَّ امرئٍ غادَرْتُمُ فى مَحَلِّكم * اذا هى أمْسَتْ لونُ آفاقها حُمْر
اذا الشَّوْلُ(١) راحت وهى حُدْبٌ ظهورُها * عِجَافًا(٢) ولم يُسْمَع لفَحْلٍ لها هَدْر
كثير رمادِ النار يُغْشَى فِناؤُه * اذا نُودِى الايْسار واحْتُضِر الجُزْر

(١) الشول جمع شائلة ، وهى الناقة التى خفّ لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من وقت نتاجها فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن أى بقية ، مقدار ثلث ما كانت تحلب حِدْثانَ نتاجها . (٢) عجاف : هزلى ، وهو جمع أعجف وعجفاء .

فتًى كان يُغْلِى اللحم نِيئًا ولَحْمُه * رَخيص بكَفَّيْه اذا تَنْزِلُ القِدْر
يُقَسِّمه حتى يَشِيع ولم يكن * كآخر يُضْحِى من غَبِيبَتِه ذُخْر
فتى الحَىِّ والأضياف إن رَوَّحَتْهُمُ * بَلِيلٌ وزادُ القوم إن أزْمَل السَّفْر
إذا جَهَدَ القومُ المَطِىَّ وأدْرَجَتْ(١) * من الضُّمْر حتى يَبْلُغَ الحَقَبَ الضَّفْر
وخَفَّت بقايا زادهم وتَوَاكَلُوا * وأكْسَفَ بالَ القوم مَجْهولةٌ قَفْر
رأيت له فَضْلًا عليهم بقُوَّةٍ * وبالعَقْر لمَّا كان زَادَهُمُ العَقْر
إذا القومُ أسْرَوْا ليلَهم ثم أصبحوا * غَدَا وهو ما فيه سِقَاطٌ(٢) ولا فَتْر
وإن خَشَعَتْ أصواتُهم وتَضاءَلَتْ * من الأَيْن جَلَّى مثلَ ما يَنْظُر الصَّقر
وإن جارةٌ حَلَّت اليه وَفَى لها * فباتَتْ ولم يُهْتَكْ لجارته سِتْر
عَفِيفٌ عن الفحشاء ما الْتَبَسَتْ به * صَلِيبٌ فما يُلْفَى بِعُودٍ له كَسْر
سَلَكْتَ سبيلَ العالَمين فمالَهم * وراءَ الذى لاقَيْتَ مَعْدًى ولا قَصْر
وأَبْلَيْتَ خيرًا فى الحياة وإنما * ثَوَابُك عندى اليومَ أن يَنْطِقَ الشِّعْر
لِيَفْدِك مَوْلًى أو أخٌ ذو ذِمامةٍ(٣) * قليلِ الغَنَاء لاعَطَاءٌ ولا نصر

قال أبوعلى قال أبو الحسن: من روى لم أنمه جعله مفعولا على السعة، كما قالوا اليومَ صُمْتُه، والمعنى لم أنم فيه وصمت فى اليوم، جعله مثل زيد ضربته. ونصب تَقَلُّبًا بالمعنى، كأنه قال: أتقلب تقلبا، لأن لم أنمه بدلٌ منه.

قال أبو على: ليلُ التمام بالكسر لاغير، ولا تنزع منه الألف واللام فيقال ليل تِمام، فأما فى الوَلَد فيجوز الكسر والفتح ونزع الألف واللام، فيقال: وُلِدَ الولد لِتمام ولِتَمام، وأما ما سِوَاهما فلا يكون فيه إلا الفتح، يقال: خُذْ تَمامَ حقّك، وبَلَغ الشيءُ تَمامَه، فأما المَثَل فبالكسر، وهو قولهم: «أَبَى قائلُها إلَّا تِمَّا». وقَرْنُ الشمس: حَرْفُها. قال أبو الحسن من رفع تَذَكُّر فكأنه قال: أمرى تَذَكُّرُ عِلْقٍ، ومن نصب فكأنه قال: أَتَذَكَّر، وما قبله من الكلام بدل منه.

(١) الإدراج: أن يضمر البعير فيضرب بطنه حتى يستأخر الى الحقب فيستأخر الحمل وإنما يسنّف بالسِّناف مخافة الإدراج.
(٢) يقال: ساقط الفرس لعدو سقطا اذا جاء مسترخيا. (٣) الذمامة بفتح الذال وكسرها: العهد.

قال أبو على : العِلْقُ هو الشىء النفيس من كل شىء . والعَلَق : الحُبُّ ، والعَلاقة أيضا : الحُبُّ والعرب تقول : « نَظْرَةٌ مِن ذى عَلَقٍ » أى من ذى حب . والعَلَق : الدود الذى يكون فى الماء . والعَلَق : الدم . فأما العِلاقة بالكسر فهو ما يُعَلَّق به السَّوْط وما أشبهه . قال أبو الحسن : أَنَّثَ عَذَرَتْنا ، لأن العُذْر فى مَعْنى المَعْذِرة والعِذْرة والعُذْرَى ، فكأنه قال : عَذَرَتْنا المَعْذِرة . قال وأخبرنى محمد بن يزيد قال : العُذْر جمع عُذْرة مثل بُسْرة وبُسْر . قال : وهو أبلغ فى المعنى الذى أراد ، لأنه يكون فيه معنى التكثير ، يقال : عَذَرَه عُذْرا بعد عُذْر ، كأنه قال : عَذَرَتْنا المَعاذير . والصَّحابة والصُّحْبة واحد ، قال أبو على : وهذا أمثل لأنه جَعَل للعُذْر صَحابة . قال أبو الحسن : وسَرَق عبد الصمد بن المُعَذَّل معنى قوله :

وكنت أرى هجرا فراقك ساعة * ألالا بل الموت التفرق والهجر

فقال :

الموتُ عندى والفِراقُ * قِ كلاهما ما لا يُطاقُ
يتعاونانِ على النفو * س فذا الحِمام وذا السِّياقُ[1]
لو لم يكن هذا كذا * ما قيل موتٌ أو فراقُ

قال أبو الحسن قوله : أَحَقًّا عند أهل العربية فى موضع ظرف ، كأنه قال أفى حَقِّ عِبادَ الله . ولَأْلَأَ : حَرَّك ، قال أبو على : العرب تقول : لا آتيك ما لَأْلَأَ العُفْر أى ما حركت أذنابها ، قال عدى ابن زيد :

يُلَأْلِئْنَ الأكُفَّ على عَدِىّ * ويُعْطِفُ رَجْعُهُنَّ الى الجُيُوب

قال أبو الحسن : خِيارهم بدَل من الفتيان ، وهذا بدل البعض من الكل ، كأنه قال : فتى ليس إلا نخيار الفتيان . والجَزْل : القَوِىّ ، ومنه قيل : حَطَبٌ جَزْل اذا كان قويا غليظا . قال أبو على قال الأصمعى : الجزل من الرجال الجَيِّد الرأى .

قال أبو على : الغُمْر والمُغَمَّر : الذى لم يُجَرِّب الأمور . والغَمْر بالفتح : السَّخِى الكثير العطاء ، قال كثيِّر :

غَمْر الرِّداء اذا تَبَسَّم ضاحكا * غَلِقَتْ لضَحْكته رِقابُ المال

(١) يقال : ساق المريض سوقا وسياقا : شرع فى نزع الروح ، كأن روحه تساق لتخرج من بدنه .

و إنما قال: غَمْرُ الرداء، لأنه أراد بقوله سَخِىّ الرجال. والعرب تفعل هذا فتقول: فِدًى لك ردائى، وفِدًى لك إزارى، و يريدون بذلك أبدانَهم. والغَمْر: الغزير من الماء. والغُمَر: القَدَح الصغير الذى يَسَع دون الرِّىّ. ومنه قيل: تَغَمَّرْت أى شَرِبت الغُمَر. والغَمَر الذى يَعْلَق باليد من الزُّهُومة: بفتح الغين والميم، يقال: يَدٌ غَمِرة. والغَمَر: الحِقْد، يقال: غَمِر صَدْرُه علىَّ. ودَخَلْت فى غُمَار الناس وغُمَار الناس، وغَمَر الناس، وغَمْر الناس أى فى جماعتهم. والغَمْرة بفتح الغين وسكون الميم: الحَيْرة.

قال أبو الحسن: وتَخَرَّق: تَوَسَّع، والخَرْق: الواسع من الأرض. قال أبو على: والخِرْق بكسر الخاء: السَّخِىّ من الرجال الذى يتوسَّع فى العطاء. قال أبو الحسن: يَؤُدْ: يُثْقِل، قال الله عز وجل: ﴿ولا يَؤُودُه حِفْظُهما﴾ أى لا يُثْقِله. قال أبو على: وسامَى: عالَى. قال أبو الحسن: يقال: العُسْرة والعُسْر، ولا يقال: اليُسْرة كما يقال اليُسْر. وقال أبو الحسن: العَزَّاء: الذى يَعُزُّك أى يَغْلبك و يَقْهَرك.

قال أبو على: الشَّهْباء: السنة التى يكثر الجَليد فيها من شدّة البرد، وهذا أكثر ما يكون عندهم من الشَّمال، لأنها فى بلادهم باردة يابسة تُفَرِّق السحاب، ولذلك سَمَّوْها "مَحْوَة" غيرَ مصروفة لأنها تمحو السحاب. قال أبو الحسن: البُشُر جمع بَشِير، قال: وكان ينبغى أن يقول البُشُر فأسكن للضرورة. قال أبو على: وهذا عندى جائز حَسَن مثل كُتُب وكُتْب ورُسُل ورُسْل. و بالتخفيف يقرأ أبو عمرو ابن العلاء فى أكثر القرآن. قال أبو الحسن: وجَنَح: مال. والعَصْر: العَشِىّ. قال أبو على: والعَصْران: الغَدَاة والعَشِىّ، وكذلك البَرْدان. قال أبو الحسن: تَغَلْغَلَتْ: دخلت، ويقال: غَلَّ فى الشىء وانْغَلَّ فيه اذا دخل فيه. قال أبو الحسن: والأطباع أراد بها الخواتم، والطابَع: الخاتَم فحذف الزائد فصار طَبَعًا، فجمعه على أطباع مثل قَتَب وأقتاب وجَمَل وأجمال. قال: ويروى: الأصناع يريد المَصانع، وواحدها مَصْنَعة، فحذف الهاء لأنها بمنزلة اسم ضم الى اسم، ثم حذف الزائدة الأولى فصار صَنَعا فجمعه أصناعا. قال أبو على: أصناع جمع صِنْع وهو مَحْبِس الماء.

قال أبو الحسن: تَغَوَّلَتْ بى الأرض أى ذهبت بى، ومنه: «غالَتْه غُول» أى اذهبته وأهلكته، ومنه الغَضَب غُولُ الحِلْم. قال أبو على: تَغَوَّلَتْ: تلونت، كأنه استدارت به الأرض فتلونت فى عينه مما أصابه.

قال أبو الحسن : أَقْفَى : أَلْزَم ، يقال : قَفِىَ حياءَه إذا لَزِمَه . قال أبو الحسن : أَوْد : موضع ، ويروى : أُود أيضا ، فلا أدرى أهما اسمان لموضع واحد جاءا على لغتين أو أَوْدُ غير أُود ، فأما فى بيت جرير فلا يروى إلا بالضم وهو قوله :

أَهَوًى أراك برامَتَيْن وَقُودا * أم بالجَنِيبة مِنْ مَدَافِع أُودا

قال أبو على : الوَقُود بفتح الواو : الحطب ، وبضمها : اللهب . والجُؤَار : مصدر جَأَرَ يَجْأَرُ جُأَارًا ، والجُؤَار : الاسم ، وهو صوت مع تَضَرُّع . قال أبو على : والكَهَام الكَلِيل الحدِّ من السيوف ، وأراد به ها هنا الرَّجُل . والنَّجْر والنَّجَار والنُّجَار : الأصل ، والنِّجَار أيضا : اللون . قال أبو الحسن : وقد يكون النِّجار جمع نَجْر . قال : والجَنِيبة : اللحم المتغير الريح . قال أبو على : والبَلِيل الريح الباردة التى معها بَلَل . قال : وأَرْمَلَ السَّفْر : نَفِدَتْ أزوادُهم ، وكذلك أَقْوَوْا ، وهما عندى من الرَّمْل والقِوَاء وهو القَفْر ، كأنه صار بموضع ليس فيه شىء غير الرمل وبالموضع الخالى الذى لا يجد فيه شيئا ، ثم كثر ذلك حتى قيل لكل من نَفِدَ زاده : قد أرْمَلَ وقد أَقْوَى ، قال الله تعالى : (نحن جَعَلْناها تَذْكِرَةً ومَتاعا لِلْمُقْوِينَ) . قال : والضَّفْر : حبل مضفور يجعل فى أعالى الحِمْل ، والحَقَبُ فى أسفله ، فيقول : مِنْ شدَّة ضُمْره بَلَغَ الأعلى الأسفلَ . وأَكْسَفَ : غَيَّر . والبالُ : الحال . وتَضاءَلَتْ : ضعفت . وجَلَّى : بَيَّن ، كذا قال أبو الحسن ، قال أبو على : وهو جيّد فى الاشتقاق ، وقد رأى أبو عبيدة : وجَلَّى ببصره اذا رَمَى به . ويُلْفَى : يُوجَد ، ويروى : يُلْقَى بالقاف . قال أبو الحسن : ينطق الشِّعْر ، ينطق ها هنا : يُبَيِّن .

مطلب ما تمثّل به الحجاج لما قام على قبر ابنه أبان وما دار بينه وبين ثابت بن قيس الأنصارى

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنا سعيد بن هارون عن التَّوَّزى عن أبى عبيدة قال : لما هَلَكَ أبانُ بن الحَجَّاج ، وأُمُّه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثَّل بقول زياد الأعجم :

أَلْآنَ لما كُنْتَ أكمَلَ مَنْ مَشَى * وأَفْتَرَّ نابُك عن شَبَاة القارح

وتكاملت فيك المروءة كلها * وأَعَنْتَ ذلك بالفَعَال الصالح

فلما انصرف الى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصارى ، فأتاه . فقال : أنشدنى مَرْثِيَتَك فى ابنك الحسن ، فأنشده :

قد أَكْذَبَ اللهُ من نَعَى حَسَنًا * ليس لتكذيب مَوْتِه ثَمَنُ
أَجْوَلُ فى الدَّارِ لا أراك وفى الدار أناس جِوارُهُـم غَبَنُ
بُدِّلْتُهُـم منك لَيْتَ أنَّهُمُ * أَضْحَوْا وبينى وبينهـم عَدَنُ

فقال له الحجاج : ارْثِ آبنى أبان . فقال له : إنى لا أجد به ما كنت أجد بحَسَن . قال : وما كنت تَجِدُ به؟ قال : ما رأيته قطّ فَشَبِعْت من رؤيته ، ولا غاب عنى قط إلا آشتقت إليه . فقال الحجاج : كذلك كنت أَجِدُ بأبان .

[مطلب فى أن قصيدة آبن أحمر : شطّ المزار بجدوى ... مدح بها النعمان بن بشير بن سعد الأنصارى]

قال أبو على : وحدّثنى أبو عبد الله عند قراءتى عليه قصيدة آبن أحمر :

* شَطَّ المَزارُ بِجَدْوَى وآنتهى الأمَل *

قال : مدح بهذه القصيدة النعمان بن بَشِير بن سعد الأنصارى ، وبَشِير بن سعد عَقَبِىٌّ(١) بَدْرِىٌّ(٢) ، أنصارى ، والنعمان أول مولود ولد فى الإسلام من الأنصار ، وآخر من وَلِىَ الكوفة لمعاوية بن أبى سفيان ، وقتلته كلب فى فتنة مروان ، وكان عثمانيا .

[مطلب قصيدة زياد الأعجم التى رثى بها المغيرة بن المهلب وشرح غريبها]

وقرأت قصيدة زياد الأعجم على أبى بكر بن دريد فقال : زياد الأعجم كنيته أبو أمامة ، وكان فى كتابى للصَّلَتان فقال هو : هى لزياد الأعجم ، وكان ينزل إصْطَخْر ، ورثى بهذه القصيدة المغيرة بن المهلب بن أبى صُفْرة . قال : وأنشدنا هذه القصيدة أبو الحسن الأخفش لزياد الأعجم ، وفى الروايتين اختلاف وتقديم وتأخير فى الأبيات ، ورواية أبى بكر أتم ، أوّلها فى روايته :

يامَنْ بَغْدَى الشمس أو بمَرَاحِها * أو من يكون بقَرْنِها المُتَنَازِح

وروى أبو الحسن : أو من يَحُلُّ بقَرْنِها ، وروى هذا البيت فى وسط القصيدة :

قُلْ للقوافل والغُزَاة إذا غَزَوْا * للباكرين ولِلْجِدِّ الرائح

(١) عقبى : حضر بيعة العقبة . (٢) بدرى : حضر غزوة بدر .

وروى أبو الحسن : والغَزِىّ اذا غَزَوْا والباكِرين . وهذا البيت أوّل القصيدة :

إن السَّماحة والمُروءة ضُمِّنَا * قَبْرًا بِمَرْوَ على الطريق الواضح
فاذا مَرَرْتَ بقبره فاعْقِرْ به * كُوم الهِلَاد وكلَّ طِرْفٍ سابح

ويروى : طِرْف طامح .

وانْضَحْ جوانب قبره بدمائها * فَلَقَدْ يكون أَخا دَمٍ وذبائح
وأَطْهِرْ بِبَزَّته وعَقْدِ لوائه * وأَحْتِفْ بدَعْوة مُصْلِتين شَرَامح
آبَ الجُنود مُعَقَّلا أو قافلا * وأقام رَهْنَ حَفِيرة وضَرَائح
وأَرَى المكارم يَوْمَ زِيلَ بنَعْشه * زَالت بفَصْل فواضل ومدائح
رَجَفَتْ لمَصْرَعه البلادُ وأصبحت * مِنَّا القلوبُ لذاك غَيْرَ صَحَائح
أَلآن لما كُنْتَ أكلَ مَنْ مَشَى * وأَفْتَرَّ نابُك عن شَبَاة القارح
وتكامَلَتْ فيك المُروءةُ كلُّها * وأَعَنْت ذلك بالفَعَال الصالح
فَكَفَى لنا حَزَنًا بِبَيْتٍ حَلَّه * إحدى المَنُون فليس عنه ببارح
فَعَفَتْ مَنابِرُه وحُطَّ سُرُوجُه * عن كل طامحةٍ وطِرْفٍ طامح
واذا يُنَاح على امرئ فَتَعَلَّمَنْ * أنَّ المغيرة فوق نَوْح النائح
تَبْكِى المغيرةَ خَيْلُنا ورماحُنا * والباكياتُ بِرَنَّةٍ وتصايح
مات المُغيرةُ بعد طول تَعَرُّض * للموت بين أسِنَّة وصفائح
والقَتْلُ ليس الى القتال ولا أرى * سببًا (١) يُفَخر للشفيق الناصح
لله در مَنِيَّةٍ فاتت به * فلقد أراه يَرُدُّ غَرْب الجامح
ولقد أراه مُخَفِّفا أفراسَه * يَغْشَى الأسِنَّةَ فوق نَهْدٍ قارح
فى جَحْفَلٍ لَجِبٍ ترى أبطاله * منه تُعَضَّل بالقَضَاء الفاسح
يَقِص الحُزونة والسهولة إذ غدا * بُزْهاء أَرْعَنَ مثل ليل جانح
ولقد أراه مُقَدِّما أفراسه * يُدْنِى مَرَاجِح فى الوَغَى لمَرَاجِح

(١) فى نسخة أخرى : «مينا» .

فتيان عادية لدى مُرْسَى الوغى * سَنُّوا بسُنَّة مُعْلِمِين جحاجح
لبسوا السَّوابغ فى الحروب كأنها * غُدُرٌ تَحَيَّزُ فى بطون أباطح

قال أبو على : كذا أنشدناه أبو الحسن "تحيز" بالزاى، فزاد أبو بكر "تحيَّر" بالراء ولم ينكر تحيز، وكلاهما عندى جائز حسن . وروى أبو الحسن رحمه الله تعالى : "فى مُتُون أباطح" .

واذا الضِّراب عن الطِّعان بدا لهم * ضَرَبُوا بمُرْهَفة الصدور جوارح
لو عند ذلك قارَعَتْه مَنِيَّةٌ * قَرِعَ الخواءُ[1] وضُمَّ سَرْح السارح
كُنْتَ الغياث لأرضنا فتركْتَنا * فاليوم نصبر للزمان الكالح
فَلَنِعْمَ المُغيرة للمُغيرة إذ غدت * شَعْواء مُجْحِرة لنَبْح النابح
صِنَّان مختلفان حين تلاقيا * آبوا بوَجْهٍ مُطَلَّق أو ناكح
ومُدَجَّجٍ كَرِه الكُماةُ نِزَاله * شاكى السلاح مُسَايِفٍ أو رامح
قد زار كَبْش كتيبة بكتيبة * يُودى لكَوْكَبِها برأس طامح
غَيْران دون نسائه وبناته * حامى الحقيقة للحروب مُكَاوِح
سَبَقَتْ يداك له بعاجل طعنة * شَهِقَتْ لمَنْفَذِها أصول جوانح
والخيل تَضْبَحُ[3] بالكُماة وقد جرت * فوق النحور دماؤها بسرائح
يا لَهْفَنا يا لَهْفَتا لك كلما * خِيفَ الغِرار على المُدِرِّ الماسح
تَشْفِى بحِلْمِك لابن عمك جَهْلَه * وتَذُبُّ عنه كِفاحَ كل مكافح
واذا يَصُول بك ابْنُ عَمِّك لم يَصُلْ * بمُوَاكِلٍ وكَلٍ غَداةَ تَجالُحُ
صِلٌّ يَمُوت سَلِيمُه قبل الرُّقَى * ومُخَاتِل لِعَدُوِّه بتصافح
واذا الأمورُ على الرجال تَشَابَهَتْ * وتُنُوزِعَتْ بمَغَالق ومَفَاتح
فَتَلَ السَّحِيلَ بمُبْرَم ذى مِرَّةٍ * دون الرجال بفَضْل عقل راجح
وأرى الصَّعالك للغيرة أصبحت * تَبْكِى على طَلْقِ اليدين مسامح
كان الرَّبِيعَ لهم اذا اجْتَمَعُوا الندى * وخَبَتْ لوامعُ كل برق لامح

(١) قرع : خلا . (٢) الخواء : مجتمع بيوت الحى . (٣) تضبح : تعدو عدوا دون التقريب .

كان المُهَلَّبُ بالمغيرة كالذى * أَلْقَى الدِّلاءَ الى قَلِيب المائح

فأصاب جُمَّةَ ما اسْتَقَى فسقَى له * فى حوضه بنوازع ومواتح

أيام لو يَحْتَلُّ وَسْط مفازة * فاضت معاطشها بِشَرْبٍ سائح

لم يرو أبو الحسن رحمه الله تعالى من قوله : "إن المهالب" الى قوله : "رفاع ألوية".

إن المَهَالِبَ لن يزالَ لها فَتًى * يَمْرِى قَوادم كل حرب لاقح

بالمُقْرِبات(١) لواحقا(٢) آطالُها(٣) * تجتابُ سَهْلَ سَباسِبٍ وصَحَاصِح(٤)

متلببا(٥) تَهْفُو الكتائبُ حَوْلَه * مُلْحُ المُتُون من النَّضيح الراشح

مَلِكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ يسمو له * طَرْفُ الصديق بِغَضِّ طَرْف الكاشح

رَفَّاع أَلْوِية الحروب الى العِدَا * بسُعُود طَيِّرٍ سانح وبَوارح

قال أبو على قال الأصمعى : الجَلَد : الكبار من الابل التى لا صغار فيها، وأنشد :

تَوَاكَلَها الأرمانُ حتى أَجَأْنَها * الى جَلَدٍ منها قليلِ الأسافل

والأسافل : الصغار هاهنا . قال أبو على : وجمعها جِلَاد، وانما قيل للكبار جَلَد، لأنها قد اشتدّت وصَلُبت ، ولم يُقل للصغار لأنها لينة رطبة . قال أبو على : وقوله مُصْلِتين يعنى أَصْلَتُوا سيوفهم أى سَلُّوها . والشَّرَامح : جمع شَرْمَح وهم الطِّوال . وقوله مُحَفِّفا أفراسه يعنى أَلْبَسَها التَّجافيف . وتُعَضِّل : تَنْشَب، ومنه : عَضَّلَت القَطاةُ اذا نَشِب بيضُها فلم يخرج . وتَحَيَّز تَدافَع . والمُكافِح : المُجالِد بنفسه، ومنه لقيته كِفَاحًا . والمُكَاوِح بالواو : المجاهد .

قال أبو على : ويقال : فلان شاكى السلاح وشائك السلاح اذا كانت لسلاحه شَوْكة . وفلان شَاكٌّ فى السلاح اذا دخل فى الشَّكَّة، والشَّكَّة : السلاح . والسَّرائح : السُّيور واحدها سَرِيحة وهى سُيور نعال الإبل . والوَكِلُ : الذى يَتَّكِل على غيره . والتَّجَالُح : التكاشف .

(١) المقربات : الخيل التى تُدنى وتقرب وتكرم . (٢) لواحق : جمع لاحق يقال لحِق الفرس يلحَق لحوقا : ضمر
(٣) آطال : جمع إطل بالكسر وبكسرتين وهو الخاصرة . (٤) سباسب وصحاصح : جمع سبسب وصحصح وكلاهما الأرض المستوية . (٥) المتلبب : المتحزم بالسلاح .

[مرثية أخت ربيعة بن مكدم فيه]

قال وأنشدنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال : أنشدنا أبو حاتم عن أبى عبيدة لأم عمرو أخت ربيعة ابن مُكَدَّم ترثى أخاها ربيعة وقتلته بنو سُلَيم :

ما بالُ عينك منها الدمع مُهْراق * سَحًّا فلا عازبٌ عنها ولا راقى (١)
أبكى على هالك أَوْدَى فأَوْرَثنى * بعد التفرق حُزْنًا حَرُّه باقى
لو كان يَرْجِعُ مَيْتًا وَجْدُ ذى رحِمٍ * أَبْقَى أخى سالما وَجْدِى وإشفاقى
أو كان يُفْدَى لكان الأهلُ كلُّهم * وما أُثَمِّر من مالٍ له واقى
لكن سهامُ المنايا مَنْ نُصِبْنَ له * لم يُنْجِه طِبُّ ذى طِبٍّ ولا راقى
فاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنْك اللهُ من رجل * لاقَى التى كلُّ حَىٍّ مثلَها لاقِى
فسوف أبكيك ما ناحت مُطَوَّقةٌ * وما سَرَيْتُ مع السارى على ساقى
أبكى لِذِكْرته عَبْرَى مُفَجَّعة * ما إن يَجِفُّ لها من ذُكْرةٍ ماقى

[مطلب قصيدة أبى بكر بن دريد]

وأنشدنا أبو على لأبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

على أىِّ رَغْمٍ ظَلْتُ أُغْضِى وأَكْظِمُ * وعن أى حُزْنٍ بات دمعى يُتَرْجِم
أَجَدَّك ما تَنْفَكُّ أَلْسُنُ عَبْرةٍ * تُصَرِّح عَمَّا كنتَ عنه تُجَمْجِم (٢)
كأنَّك لم تَرْكَبْ غُرُوبَ فَجَائعٍ * شَبَاهُنَّ مِنْ هاتا أَحَدُّ وأَكْلَم
بَلَى غَيْرَ أن القلب يَنْكَؤُه الأسَى الـ * ـمُلِمُّ وإن جَلَّ الجَوَى المتقدّم
وكم نَكْبةٍ زَاحَمْتُ بالصبر رُكْنَها * فلم يُلْفَ صبرى واهِيا حين يُزْحَم
ولو عارَضَتْ رَضْوَى بأيْسَرِ دَرْئِها * لَظَلَّت ذُرَى أقذافِها تَتَهَدَّم
وقد عَجَمَتْنى الحادثاتُ فصادَفَتْ * صَبورًا على مكروهها حين تَعْجُم
ومن يَعْدَم الصبر الجميل فإنه * وَجَدَّك لا من يَعْدَم الوفْرَ مُعْدِم

(١) هكذا فى الأصل وفيه الإقواء، وهو اختلاف الروى والضرب فى حركة الإعراب . (٢) الجمجمة : إخفاء الشىء فى الصدر .

أصارِفَةٌ عَنِّى بَوَادِرَ حَدِّها * بِخَائِعَ لِلْعَلْيَاءِ تُوهِى وتَحْطِمِ
لها كلَّ يوم فى حِمَى المَجْدِ وَطْأَةٌ * تَظَلُّ لها أسبابُهُ تَتَجَدَّمِ
اذا أَجْشَمَتْ جَيَّاشَةٌ مُصْمَئِلَّةٌ(١) * قَمَتْ إِثْرَها دَهْيَاءُ صَمَّاءُ صَيْلَمِ(٢)
أَمِ الدَّهْرُ أَنْ لَنْ تستفيقَ صُروفُه * مُصَرِّفَةً تَحْوِى بِخَائِعَ يُقْسِمِ
وساءلْتِ عن حَزْمٍ أُضِيعَ وهَفْوَةٍ * أُطِيعت وقد يَنْبُو الحُسَامُ المُصَمَّمِ
فلا تُشْعِرِى لَذْعَ المَلامِ فُؤادَه * فإنك مِمَّنْ رُعْتِ باللَّوْمِ أَلْوَمِ
ولم تَرَ ذا حَزْمٍ وعَزْمٍ وحُنْكَةٍ * على القَدَرِ الجارى عليه يُحَكَّمِ
مَتَى دَفَعَ المرءُ الأريبُ بِحِيلَةٍ * بَوادِرَ ما يُقْضَى عليه فَيُبْرَمِ
ولو كُنْتُ محتالا على القَدَرِ الذى * نَبَا بى لم أَسْبِقْ بما هو أَحْزَمِ
ولكنَّ من تُمْلَكْ عليه أمورُه * فَمالِكُها يُمْضِى القضاءَ فَيَحْتِمِ
وما كنتُ أَخْشَى أن تَضَاءَلَ هِمَّتى * فأُضْحِى على الأَجْنِ(٣) الصَّرَى أَتَلَوَّمِ
كأنَّ نَجِيًّا كان يَبْعَثُ خاطرى * قَرِينُ إِسَارٍ أو نَزِيفٌ مُهَوْمِ
وما كنتُ أَرْضَى بالدَّناءة خُطَّةً * ولى بين أطراف الأسِنَّةِ مُقْدَمِ
وما أَلِفَتْ ظِلَّ الهُوَيْنَى صَرِيمَتى(٤) * وكَيْفَ وحَدَّاها من السيف أَصْرَمِ
ألم تر أَنَّ الحُرَّ يَسْتَعْذِبُ المَنَى(٥) * تُباعِدُه من ذِلَّةٍ وهْىَ عَلْقَمِ
ويُقْذَفُ بالأجرام بين لَهَا الرَّدَى * اذا كان فيه العِزُّ لا يَتَلَعْثَمِ
سأَجْعَلُ نفسى للتَّالِفِ عُرْضَةً * وأُقْدِفُها للموت والموتُ أكرمِ
بأَرْضِكَ فارْتَعْ أو الى القبر فارْتَحِلْ * فإن غريبَ القومِ لَحْمٌ مُوَضَّمِ
تَنَدَّمْتُ والتفريطُ يَجْنِى ندامةً * ومن ذا على التفريط لا يَتَنَدَّمِ
يُصَانِعُ أو يُغْضِى العيونَ على القَذَى * ويُلْذَعُ بالمُرَّى فلا يَتَرَمْرَمِ
على أنى والحكمُ لله وائقٌ * بعَزْمٍ يَفُضُّ الخَطْبَ والخطبُ مُبْهَمِ
وقلبٍ لو أنَّ السيفَ عارَضَ صَدْرَه * لَغادر حَدَّ السيف وهو مُثَلَّمِ

(١) المصمئلة : الداهية . (٢) صيلم : شديدة . (٣) الأجن : الماء المتغير الطعم واللون . والصرى بالفتح والكسر : الماء يطول مكثه . (٤) صريمتى : عزيمتى . (٥) المنى : المنية .

الى مِقْوَل تَرْفَضُّ عن عَزَماته * أَوابِدُ للهُمِّ الشَّـــوامخ تَقْضِم
صَرَائب يَصْرَعْن القلوبَ كأنَّما * يُمَجُّ عليها السُّمَّ أَرْبَدُ أَرْقَم
وما يَدَّرِى(١) الأعداءُ من مُتَدَرَّع * سَرابيلَ حَتْفٍ رَشْحُها المسْكُ والدَّم
أَبَلُّ(٢) نَجِيدٍ(٣) بين أحناء مَرْجِه * شِهابٌ وفى ثَوْبَيْه أَضْبَطُ(٤) ضَيْغَم
اذا الدهر أَنْحَى نَحْوَهُ حَدَّ ظُفْره * ثناه وظُفْرُ الدهر عنه مُقَلَّم
وإن عَضَّه خَطْبٌ تَلَوَّى بنابِه * وأَقْلَع عنه الخَطْبُ والنابُ أَدْرَم
ولم تر مثْلى مُغْضِيا وهو ناظر * ولم تر مثلى صامتًا يَتَكَلَّم
وبالشِّعْر يُبْدِى المرءُ صَفْحة عَقْله * فَيُعْلِنُ منه كلَّ ما كان يَكْتُم
وسِيَّانِ من لم يَمْتَط اللُّب شِعْره * فيَمْلِك عِطْفَيْه وآخر مُفْحَم
جَوَائب أَرجاءِ البلاد مُطِلَّة * تُبِيد الليالى وهى لا تُتَخَرَّم(٥)
ألم تر ما أَدَّتْ الينا وَسَيَّرَتْ * على قِدَم الأيام عادٌ وجُرْهُم
هُمُ اقْتَضَبُوا الأمثال صَعْبًا قِيادُها * فَذَلَّ لهم منها الشَّرِيس الغَشَمْشَم
وقالوا الهَوَى يَقْظانُ والعقلُ راقدٌ * وذو العقل مذكورٌ وذُو الصَّمْت أَسْلَم
ومما جَرَى كالوَسْم فى الدهر قولُهم * على نفسه يَجْنِى الجَهُولُ ويُجْرِم
وكالنار فى يَبْس الهَشِيم مَقالُهم * أَلَا إنَّ أصل العُود من حَيْثُ يُقْضَم
فقد سَيَّرُوا ما لَا يُسَيِّرُ مثلَه * فصيحٌ على وجه الزمان وأَعْجَم

قال وحدّثنى أبو مسهر : أن الأحنف بن قيس خرج من عند معاوية رضى الله عنه ، فخَلَفه بعضُ من كان فى المجلس فقدَح فيه : فَبَلَغ ذلك الأحنفَ فقال : « عُثَيْثَةٌ(٦) تَقْرُم جِلْدًا أَمْلَسا » .

قال وأخبرنى عبد الله بن إبراهيم الجمحى قال : نشأ فى قريش ناشئان : رَجُلٌ من بنى مخزوم ، ورجل من بنى جُمَح ، فَبَلَغا فى الوِداد ما لم يَبْلُغْ بالغٌ حتى كان اذا رُؤِىَ أحدهما فكأنْ قد رُئِيا جميعا ،

(١) يقال : ادَّرى الصيد : ختله ، يريد : وماذا عسى الأعداء يبلغون منى . (٢) الأبل : الخصم الألدّ القوى فى الخصومة . (٣) النجيد : الشجاع المضاعى فيما يعجز غيره . (٤) الأضبط : الأسد . (٥) تتخرم : تموت .
(٦) العثيثة مصغر عثة وهى سوسة تلحس الصوف ، يضرب للمجتهد فى الشىء لا يقدر عليه .

ثم دَخَلَتْ وحشةٌ بينهما من غير شىء يعرفانه فتغيرا . فلما كان ليلة من الليالى ، استيقظ المخزومى فَفَكَّر ما الذى شَجَرَ بينهما ، وكان المخزومى يقال له محمد والجمحى يحيى ، فنزل من سطحه وخرج حتى دَقَّ عليه بابه فاستيقظ له فنزل اليه ، فقال له : ماجاء بك هذه الساعة؟ قال : جئتك لهذا الذى حَدَثَ ما أصله ؟ وما هو ؟ قال فقال : والله ما أعرف له أصلا . قال عبد الله : فبكيا حتى كادا يُصْبِحان ، ثم عاد كل واحد منهما الى منزله ، فأصبح المخزومىّ وهو يقول :

كنتُ ويَحْيَى كَيَدَىْ واحدٍ * نَرْمِى جميعا ونُرَامَى معا
يَسُرُّنى الدهرُ اذا سَرَّه * وإن رُمِينا بالأذى أُوجِعا
حَتَّى اذا ما الشَّيْب فى مَفْرِقى * لاح وفى عارضه أَسْرَعا
وَشَى وُشاةٌ فَرَّقُوا بيننا * فكاد حَبْلُ الوصل أن يُقْطَعا

وزاد غير عبد الله بن إبراهيم :

فلم أَلُمْ يحيى على وَصْله * ولم أقل خانَ ولا ضَيَّعا

قال وقال حدّثنا أبو سعيد السكرى قال : أُتِىَ عبد الملك بعُودٍ ، فقال للوليد بن مسعدة الفزارىّ : ما هذا ياوَلِيد ؟ قال : عُودٌ يُشَقَّق ثم يُرَقَّق ثم يُلْصَق ثم تعلق عليه أوتارٌ ويُضْرَب به فيَضْرِب الكِرامُ رءوسها بالحيطان ، وآمرأته طالق ان كان أحد فى المجلس الا ويعلم منه مثل ما أعلم ، أنت أَوْلَم يا أمير المؤمنين .

قال اسحاق أنشدنى غِرارة الخَيَّاط يهجو أبا السُّمَيِّ المُغَنِّى :

كأن أبا السُّمَيِّ اذا تَغَنَّى * يُحَاكِى عاطسًا فى عَيْنِ شمس
يَلُوك بلَحْيِه طَوْرًا وطَوْرًا * كأنَّ بلَحْيِه ضَرَبان ضِرْس

قال إسحاق : وقع بين رجل وآمرأته شَرٌّ فتهاجرا أياما ، ثم وَثَب عليها فأخذ برجلها ، فلما فرغ قالت : أخزاك الله ! كُلَّما وقع بينى و بينك شر جئتنى بشفيع لا أقدر على رَدِّه ! .

وأنشد لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

إن يَأْخُذِ اللهُ من عَيْنَىَّ نورَهما * ففى لسانى وقلبى منهما نور
قلبٌ ذَكِىٌّ وعَقْلٌ غير ذى رزل * وفى فمى صارم كالسيف مأثور

قال أبو الحسن : حفظى غير ذى دَخَلٍ .

قال وقال : بعث رَوْحُ بن حاتم الى كاتب له بثلاثين ألف درهم وكتب اليه : قد بعثت اليك بثلاثين ألف درهم لا أُقَلِّلها تَكَبُّرا ولا أُكَثِّرها تَمَنُّنا ولا أَسْتَثِيبُك عليها ثناء ولا أَقْطَع بها عنك رجاء والسلام . وأنشد :

أَمُدُّ يدًا عنـــد الوَادَع قصـيرةً * وأَبْسُـطها عند اللقـاء فأَعْجَـل

وأنشد أبو هفان عن إسحاق لنفسه :

سأَشْرَب ما دامت تُغَـنِّى مُلَاحِـظ * وان كان لى فى الشيب عن ذاك واعظ

مُلاحِظ غَنِّينـا بعَيْشِـك وليكن * عليك لمـا استحسنته منك حافظ

فأُقْسِم ما غَـنَّى غِنَـاءَك حاذقٌ * مُجِيـدٌ ولم يلفظ كلفظك لافـظ

وفى بعض هـذا القول منى مَساءة * وغَيْـظٌ شـديدٌ للمُغَنِّين غائظ

[مطلب ما دار بين أبى عمرو بن العلاء و بعض الأعراب من سؤاله عن أرضه وماله و وصفه لها]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال : لَقِيتُ أعرابيا بمكة ، فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أَسَدِىٌّ ، قلت : ومن أَيِّهم ؟ قال : نَهْدِىٌّ ، قلت : من أى البلاد ؟ قال : من عُمَـان ، قلت : فأَنَّى لك هـذه الفصاحة ؟ قال : إنا سَكَنَّا قُطْرًا لا نسمع فيـه ناجِحَةَ التَّيَّار ، قلت : صِفْ لى أرضك ، قال : سِـيفٌ أَفْيَح ، وفَضَاء صَحْصَح ، وجَبَل صَرْدَح ، و رَمْل أَصْبَح ، قلت : فما مالُك ؟ قال : النَّخْل ، قلت : فأَيْنَ أنت عن الإبل ؟ قال : ان النَّخْل حَمْلُها غِذاء ، وسَعَفُها ضِياء ، وجِذْعُها بناء ، وكَرَبُها(١) صِلاء ، وليفُها رِشاء ، وخُوصها وِعاء ، وقَرْوُها إناء .

قال أبو على : الناجحة : الصوت ، يقال للرأة اذا كان يسـمع لفرجها صَوْتٌ عنـد الجماع : نَجَّاخة . وفى رجز رؤبة :

* وآزُجُرْ بَنِى النَّجَّاخةِ الفَشُوشِ *

(١) الكرب بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

والتَّيَّار المَوْج . والسِّيف : شاطئ البحر . وأفيح : واسع . والفيحاء : الواسع من الأرض . والصَّحْصَح : الصحراء . والصَّرْدَح : الصُّلْب . والأصْبَح : الذى يعلو بياضه حُمْرَةٌ . والرِّشَاء : الحَبْل . والقَرْو : وعاء من جِذْع النخل يُنْبَذ فيه ، وقال الكسائى : القَرْو : القَدَح كما قال الشاعر(١) :

* وأنْتَ بين القَرْوِ والعاصِر *

وقال غيره القَرْو : نَقِير من خشب يجعل فيه العصير والشراب ، قال أبو عبيد : وهذا أشبه .

[حديث ثبيت البصرى مع بعض الأعراب الذين نزلوا عليه]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر رحمه الله تعالى قال : أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزِىّ عن أبى عبيدة قال : كان بالبصرة رجل من موالى بنى سَعْد يقال له ثَبِيت ، وكان كثير الصلاة صالحا وكانت الأعراب تنزل عليه ، فنزل به قوم منهم ليلة فلم يُعَشِّهم وقام يصلِّى ، فقال رجل منهم :

خُبْزٌ يا ثَبِيتُ عليه لَحْمُ * أَحَبُّ إلىَّ من صوت القُرّان
تَبِيتُ تُدَهْوِرُ القُرْآن حَوْلى * كأنَّك عند رأسى عُقْرُبان
فلو أطعمتنى خُبْزًا ولحمًا * حَمِدْتُكَ والطَّعامُ له مكان

واختلفوا فى العُقْرُبان ، فقال قوم : هو ذَكَرُ العَقارب ، وقال قوم : هو دَخَّال الأذن ، وهو الوجه .

[حديث بعض الطفيليين]

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا دَمَاذ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : كان بالبصرة طُفَيْلِىٌّ صَفِيق الوجه لا يبالى ما أُقْدِم عليه ، فقال فيه بعض البصريين :

يَمْشِى إلى المَدْعاة مُسْتَفْرًا(٢) * مَشْىَ أبى الحارث لَيْثِ العَرِين
لم ترعَيْنِى آكلا مثله * يأكل باليُسْرَى مَعًا واليمين
تَلْعَب فى القَصْعة أطرافُه * لَعِبَ أخى الشَّطْرَنْج بالشاه بين

وعن دماذ أيضا قال : كان بالبصرة طفيلى قد آذى الناس ، فقال فيه بعض ظرفاء البصريين هذه الأبيات :

(١) هو الأعشى كما فى اللسان مادة « قرا » . وصدر البيت : * أرمى بها البيداء إذ أعرضت *
(٢) الاستفار : أن يدخل الرجل إزاره بين فخذيه ملويا ، يريد أنه يمشى اليها جادّا مشمّرا كالأسد .

وَضَعْتَ يديك فى التطفيل حَتَّى * كأنك من بنى جُشَمَ بنِ سَعْد
أو الجَعْراء جُنْدَبِها وكعب * فَشيشةَ أو لِضَبَّةَ بِنْتِ أُدّ
أو الشَّعْرِ الأنوف بنى هُجَيم * لِرِيح قَلِيَّةِ العَوْد المُغَدَّى

* * *

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى

من كان يزعم أن سَيَكْتُم حُبَّه * حتى يُشَكَّكَ فيه فهو كَذُوب
الحبُّ أغلب للفؤاد بقهره * من أن يُرَى للسِّتْرِ فيه نصيب
وإذا بدا سِرُّ اللَّبيب فإنه * لم يَبْدُ إلا والفتى مغلوب
إنّى لأُبْغِض عاشقا متسترا * لم تَتَّهِمْه أَعْيُنٌ وقلوب

* * *

قال أبو على : وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال أنشدنا أحمد بن يحيى لعُرْوة بن الوَرْد يقوله للحَكَم ابن زِنْباع العَبْسى :

ولم أَسْأَلْكَ شيئا قبل هذا * ولكنّى على أَثَرِ الدَّليل

قال أبو على : قال أبو العباس يقول : دَلَّنِى عليك مَنْ يَحْمَدُك ، وهذا مثل معنى قول الأعشى :

فأَقْبَلْتُ أرتاد ما خَبَّرُوا * ولو لا الذى خَبَّرُوا لم تَرَنْ

* * *

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر قال حدّثنى أبى عن العباس بن ميمون قال حدّثنى العتبى قال قال أعرابى : فلان إذا نَظَرَتْ اليه مُومِسةٌ سَقَط خِمَارُها ، وإذا رَأَتْه العِيدَانُ تَحَرَّكَتْ أو تارها .

[مطلب تفسير قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك]

قال أبو بكر وحدّثنى أبى قال حدّثنى أبو سعيد الحارثى عبد الرحمن بن محمد بن منصور قال حدّثنا محمد بن سلام قال : سمعت يونس النحوى يقول فى قوله جل وعلا : ﴿فاليَوْمَ نُنَجِّيك بِبَدَنِك﴾ نُنَجِّيك : نَجْعلك على نَجْوة من الأرض وهى المكان المرتفع . بِبَدَنِك : بِدِرْعِك ، وأنشد لأوس بن حجر :

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرض هَيْدَبُه * يَكَادُ يَدْفَعُه مَنْ قَامَ بالرَاح
فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ (١) * والمُسْتَكِنّ كمن يَمْشِى بِقِرْواح

[حديث إسماعيل بن أبى حكيم وما سمعه فى القسطنطينية من غناء بعض من تنصر من المسلمين]

قال أبو على : حدّثنا أبو بكر قال حدّثنا عبد الرحمن بن خلف قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا أبو عبد الله القرشى قال حدّثنا عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرنا ابن العلاء أحسبه أبا عمرو بن العلاء أو أخاه عن جُوَيْرِية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حكيم قال : بعثنى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فى الفِدَاء حين وَلِىَ ، فَبَيْنَا أنا أَجُول فى القُسْطَنطِينية إذ سمعت صوتا يَتَغَنَّى :

أَرِقْتُ وبان عَنِّى من يلوم * ولكن لم أَنَمْ أنا والهموم
كأنّى مِنْ تَذَكُّر ما ألاقى * اذا ما أَظْلَمَ الليلُ البهيم
سَلِيمٌ مَلَّ منه أَقْرَبُوه * وَوَدَّعَه المُداوِى والحَمِيم
وكَمْ بين العَقِيق الى المُصَلَّى * الى أُحُدٍ الى ما حَازِ رِيم
الى الجَمَّاء من وجه أسيل * نَقِىّ الخَدِّ ليس به كُلُوم
يُضِىء دُجَى الظلام إذا يراه * كضوء البدر مَنْظَرُه وَسِيم
ولَمَّا أنْ دَنَا منّا ارتحالٌ * وقُرِّبَ ناجِياتُ السَّيْرِ كُوم
أَتَيْنَ مُوَدِّعات والمَطَايا * عَلَا أكوارها خُوصٌ هجوم
فقائلة ومُثْنِيَة علينا * تقول ومالَهَا فينا صَمِيم
وأُخْرَى لُبُّها مَعَنا ولكن * تَسَتَّرُ وهْى واجِمَة كَظُوم
تَعُدُّ لنا اللَّيالِىَ تَحْتَصِيها * مَتَى هو حائنٌ مِنّا قُدوم
متى تَرَ غَفْلَةَ الواشين عَنّا * تَجُدْ بدموعها العَيْنُ السَّجوم

قال أبو عبد الله القرشى : والشعر لُنَقَيْلة الأشجعى (٢) . قال : وسمعت العتبى يقول : صَحَّف فى اسمه فقال : نُفَيلة . قال إسماعيل بن أبى حكيم : فسألته حين دخلت عليه ، فقلت له : من أنت؟ قال : أنا الوَابِصِىُّ الذى أُخِذت فعُذِّبت فجَزِعت فدخلت فى دينهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين بعثنى

(١) العقوة : الساحة حول الدار أو قريبا منها . (٢) أنظر الأغانى طبع بولاق (ج ٥ ص ١٨٣ ففيه تفصيل تحسن مراجعته فى قائل هذه الأبيات) .

فى الفداء، وأنت والله أحبُّ من أفديه إلىَّ إن لم تكن بَطَنْتَ فى الكفر، قال : والله لقد بَطَنْت فى الكفر، فقلت له : أَنْشُدُك الله، قال : أأُسْلم وهذان آبناى ! وإذا دَخَلْتُ المدينة قال أحدهم يانصرانى ! وقيل لولدىَّ وأُمِّهم كذلك ! لا والله لا أفعل ! فقلت له : لقد كنتَ قارئا للقرآن ! قال : والله لقد كنت من أقرإ الناس، فقلت : ما بَقِىَ معك من القرآن؟ قال : لا شىء غير هذه الآية ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الذين كَفَرُوا لو كانوا مُسْلِمين﴾ فعلمتُ أن الشقاوة غَلَبَتْ عليه .

* * *

قال أبو على أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أبو إسحاق إبراهيم ابن موسى بن جميل :

غَزَتْنى بجَيْش من محاسن وجهها * فَعَبَّا لها طَرْفى ليَدْفَعَ عن قلبى
فلما التقى الجمعان أَقْبَلَ طَرْفُها * يريد اغْتِصاب القلب قَسْرًا على الحرب
ولما تَجَارَحْنا بأسياف لَحْظِنا * جعلت فؤادى فى يديها على العَضْب
وناديْت مِنْ وقع الأسِنَّة والقنا * على كَبِدى يا صاح مالى ولِلْحُب
فصرتُ صَريعا للهوى وَسْط عَسْكَرٍ * قتيلَ عيون الغانيات بلا ذنب

[مطلب أجواد أهل الحجاز والكوفة والبصرة]

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : أَجْوَادُ أهل الحجاز ثلاثةٌ : عبدُ الله آبنُ جعفر، وعبيدُ الله بنُ العباس، وسعيدُ بنُ العاص . وأجوادُ أهل الكوفة ثلاثة : عَتَّابُ بن وَرْقاء، وأسماء بن خارجة، وعِكْرِمة بن رِبْعِىٍّ . وأجواد أهل البصرة ثلاثة : عبيد الله بن أبى بَكْرة، وعُبَيد الله آبن معمر، وطَلْحة بن عبد الله الخُزَاعى .

[مطلب تخطئة أبى حاتم قول العامة البصرة بكسر الصاد]

وسأل رجل أبا حاتم عن قول العامة : البِصرة فقال : هو خطأ، إنما سميت البَصْرة للحجارة البِيض التى فى المِرْبَد، وأنشد :

سَقَى البَصْرَةَ الوَسْمِىُّ من غير حُبِّها * فإنَّ بها مِنِّى صَدًى لا يَرِيمُها

وأنشدنا التوزى لعمر بن أبى ربيعة وكان قَدِم البصرة وأقام بها أياما :

حَبَّذَا البَصْرةُ أَرْضًا * فى لِيَالٍ مُقْمِرات

قال وأنشدنا أبو حاتم لأعرابى من بنى تميم قدم البصرة فرأى أهلها :

ما أنا بالبَصْرةِ بالبَصْرِىِّ * ولا شَبِيهٌ زِيهُم بِزِيِّى

قال أبوحاتم : ولو كانت البَصرة كما قيل ، ونَسَبْتَ اليها لقلت : بَصَرِىٌّ ، كما قالوا : نَمَرِىٌّ .

* * *

وأنشدنا أبو حاتم :

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ فى طَرْفٍ ولا نَفَس * وان تَمَنَّعْتَ بالحُجَّاب والحَرَس

فكم رأيت سِهامَ الموت نافــذةً * فى جَنْبِ مُــدَّرِعٍ مِنــا ومُتَّرِس

وأنشدنا قال أنشدنا الرياشى :

وقد تَغْدُر الدنيا فيُضحِى غَنِيُّها * فقيرا ويَغْنَى بعــدَ بُؤْسٍ فقِــيرُها

فلا تَقْــرَبِ الأمْرَ الحَــرام فإنه * حــلاوَتُه تَفْنَى ويَبْقَى مَرِيرُهــا

فكم قَدْ رَأَيْنا مِنْ تَكَدُّرِ عيشــةٍ * وأُخْرَى صَفَا بعد اكْدِرارٍ غَدِيرُها

* * *

وأخبرنا قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزى عن الأصمعى قال حدّثنا عيسى بن عمر قال : كان عندنا رجلٌ لَحَّانة فَلَقِىَ لَحَّانة مثله ، فقال : من أين أَقْبَلْتَ؟ فقال : مِنْ عند أَهْلُونا ، فحَسَده الآخر ، فقال : أنا والله أعلم من أين أخَذْتَها ، أخَذْتَها من المُنْزَل ، قال الله عز وجل : ﴿شَغَلَتْنا أموالُنا وأَهْلُونا﴾ .

[مطلب إتيان أبى جبيل البرجمى حاتم طيئ فى دماء حملها عن قومه ومدحه إياه وإعطاء حاتم له المرباع]

وأخبرنا قال أخبرنا السكن بن سعيد قال أخبرنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب قال : كان أبو جُبَيْل [عبد](١) قيس بن خُفَاف البُرْجُمى أتى حاتم طيئ فى دماء حَمَلَها عن قومه ، فأسلموه فيها وعجز عنها ، فقال : والله لآتِيَنَّ من يحملها عنى ؛ وكان شريفا شاعرا ، فلما قَدِم عليه قال : إنه وقعت [بينى و](١) بين قومى دماءٌ فتوَاكَلُوها ، وإنى حملتها فى مالى وأَهْلى(٢) فقَدَّمْت مالى وكُنْتَ أملى ، فإن تَحْمِلْها فَرُبَّ حَقٍّ قد قضيتَه ، وهَمٍّ قد كفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائل لم أَذُمَّ يومَك ولم أيأس مِنْ غَدِك ، ثم أنشأ يقول :

(١) الزيادة عن كتاب الأغانى (ج ٧ ص ١٥٢) . (٢) كذا فى الأصل ، وعبارة الأغانى : «وإنى حملتها فى مالى وأهلى فقدمت مالى وأخرت أهلى وكنت أوثق الناس به فى نفسى فإن تحملها فكم من حق قضيته وهم كفيته» (راجع ج ٧ ص ١٥٢ طبعة بولاق) .

حَمَلْتُ دماءً للبراجم جَمَّةً * فجئتك لما أَسْلَمَتْنِى البَراجمُ
وقالوا سَفاهًا لِمْ حملتَ دماءنا * فقلت لهم يَكْفى الحَمالةَ حاتم
مَتَى آتِهِ فيها يَقُلْ لى مَرْحَبًا * وأهلا وسهلا أخطأَتْك الأَشَائِم
فيحملُها عنى وان شئتُ زادنى * زيادة من حَلَّت اليه المَكارم
يَعيش النَّدَى ما عاش حاتمُ طيئٍ * فان مات قامت للسَّخاء مآتم
يُنادِين مات الجُودُ مَعْك فلا تَرَى * مُجيبا له ما حام فى الجَوِّ حائم
وقال رجال أَنْهَبَ العامُ مالَه * فقلت لهم إنّى بذلك عالم
ولكنّه يُعْطِى مِنَ الموال طيئ * اذا جَلَّفَ(١) المالَ الحُقوقُ اللوازم
فَيُعْطِى التى فيها الغِنَى وكأنه * لتصغيره تلك العَطِيَّةَ جارم
بذلك أوصاه عَدِىٌّ وحَشْرَجٌ * وسَعْدٌ وعبدُ الله تلك القَمَاقِم

فقال له حاتم : إن كنتُ لَأُحِبُّ أن يأتينى مِثْلُك من قومك، هذا مِرْباعِى من الغارة على بنى تميم، فخذه وافرا، فإن وَفَى بالحَمالة وإلا أكلتها لك، وهو مائتا بعير سِوَى نِيبِها وفِصَالِها، مع أنى لا أحب أن تُوبِس قومَك بأموالهم، فَضَحِك أبو جبيل وقال : لكم ما أخذتم منا، ولنا ما أخذنا منكم، وأىُّ بعير دَفَعْتَه إلىَّ ليس ذَنَبُه فى يد صاحبه فأنت منه برىء، فدفعها اليه وزاده مائة بعير، فأخذها وانصرف راجعا الى قومه، فقال حاتم فى ذلك :

أتانى البُرْجُمِىُّ أبو جُبَيْل * لِهَمٍّ فى حَمالتِهِ طويلِ
فقلت له خُذِ المِرْباع رَهْوًا * فإنى لست أرضى بالقليل
على حال ولا عَوَّدْتُ نفسى * على عِلَّاتِها عِلَلَ البَخيل
فخذها إنها مائتا بعيرٍ * سوى الناب الرَّذِيَّة(٢) والفَصيل
فلا مَنٌّ عليك بها فإنى * رأيتُ المَنَّ يُزْرى بالجزيل
فآب البُرْجُمِىُّ وما عليه * مِنَ أعباء الحَمالة من فَتيل
يَجُرُّ الذَّيْلَ يَنْفُضُ مِذْرَوَيْهِ(٣) * خفيف الظهر من حِمْلٍ ثقيل

(١) جلف المال : أذهبه وأفناه . (٢) الرذية : المهزولة . (٣) يقال : جاء ينفض مذرويه اذا جاء باغيا منهدا .

[مطلب ما وقع بين حاتم وسفانة بنته من لومه إياها على الجود وحجر أخوالها على أمه لإقراضها فى السخاء]

قال وأخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبى مسكين الدارمى قال : كانت سَفَّانة بنتُ حاتم من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصِّرْمة من الإبل فتَهَبُها وتعطيها الناس، فقال لها أبوها : يا بُنَيَّة، أن الغَوِيَّيْن اذا اجتمعا فى المال أتلفاه، فإما أن أُعْطِى وتُمْسكى، وإما أن أُمْسِك وتُعْطِى، فإنه لا يبقى على هذا شىء، فقالت : والله لا أُمْسِك أبدا، فقال : وأنا والله لا أُمْسِك أبدا، قالت : فلا تَتَجاوَرُ، فقاسمها ماله وتَبايَنا .

وحدّثنا قال حدّثنا السكن بن سعيد عن العباس عن أبيه قال : كانت غَنِيَّة بنت عَفِيف بن عمرو ابن عبد القيس وهى أم حاتم من أسخى النساء وأقراهم للضيف، وكانت لا تَلِيق شيئا تملكه، فلما رأى إخوتها إتلافها حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت دهرا لا تصل الى شىء ولا يدفع اليها شىء من مالها، حتى اذا ظنوا أنها قد وَجَدَتْ ألم ذلك أَعْطَوْها صِرْمةً من إبلها، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها كل سنة تسألها، فقالت لها : دُونَك هذه الصِّرْمة فخُذيها، فقد والله مَسَّنِى من ألم الجوع ما آلَيْتُ معه ألّا أَمْنَع الدهر سائلا شيئا، ثم أنشأت تقول :

لَعَمْرِى لَقِدْمًا عَضَّنِى الجوعُ عَضَّةً * فآلَيْتُ ألّا أمنع الدهر جائعا
فقولا لهذا اللائمى اليومَ أَعْفِنى * فإن أنت لم تفعل فَعَضَّ الأصابعا
فماذا عَسَيْتُمْ أن تقولوا لأختكم * سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ من كان مانعا
ولا ما تَرَوْنَ(١) الخُلْقَ إلا طَبِيعة * فكيف بتركى يا آبن أم الطبائعا

[مطلب ما وقع بين كعب بن زهير وزيد الخيل من المنافرة للفرس الذى أعطاه زهير أبو كعب زيد الخيل]

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال : خرج بُجَيْر آبن زُهَير بن أبى سُلْمَى فى غِلْمة يَجْتَنُون جَنَى الأرض، فانطلق الغِلْمة وتركوا آبن زهير، فَمَرَّ به زَيْدُ الخيل الطائى فأخذه، ودارُ طيئ متاخِمةٌ لدور بنى عبد الله بن غَطَفان، فسأل الغلام من أنت ؟ قال : أنا بجير بن زهير، فحمله على ناقة وأرسل به الى أبيه، فلما أتى الغلام أباه أخبره أن زيدا أخذه ثم خَلّاه وحَمَله . وكان لكعب بن زهير فرس من جياد خيل العرب، وكان كعب جسيما، وكان زيد الخيل

(١) فى بعض المجاميع وماذا ترون اليوم الا طبيعة الخ .

من أعظم الناس وأجسمهم، وكان لا يركب دابة الا أصابت إبهامُه الأرض، فقال زهير : ما أدرى ما أُثيب به زيدا إلّا فرس كعب، فأرسل به اليه وكعبٌ غائب، فلما جاء كعب سأل عن الفرس، فقيل له : قد أرسل به أبوك الى زيد، فقال كعب لأبيه : كأنك أردت أن تُقَوِّى زيدا على قتال غَطَفان، فقال له زهير : هذه إبلى فخذ منها عن فرسك ما شئت . وكان بين بنى زهير وبين بنى مِلْقَط الطائيين إخاءٌ، وكان عمرو بن مِلْقَط وَفَادًا الى الملوك ، وهو الذى أصاب بنى تميم مع عمرو بن هند يوم أُوَارة فسأله فيهم فأطلقهم له ، فقال كعب شعرا يريد أن يُلْقِى بين بنى مِلْقَط وبين رَهْط زيد الخيل شَرًّا، فعرف زهير حين سمع الشعر ما أراد به، وعرف ذلك زيد الخيل وبنو مِلْقَط، فأرسلت اليه بنو مِلْقَط بفرس نحو فرسه، وكانت عند كعب امرأةٌ من غطفان لها شرف وحسب، فقالت له : أما استحييت من أبيك لشرفه وسنه أن تُؤَبِّسه[1] فى هِبَته عن أخيك، ولأمَته . وكان قد نَزَل بكعب قبل ذلك ضِيفانٌ فنحر لهم بَكْرًا كان لامرأته، فقال لها : ما تَلُومينى إلا لمكان بَكْرِك الذى نَحَرْت لضيوفى، فَلَك به بَكْران وكان زُهَير كثير المال، وكان كعب مجدودا فقال كعب :

ألا بَكَرَتْ عِرْسِى بِلَيْل تَلُومنى * وأَكْثَرُ أحلام النساء الى الرَّدَى[2]

وذكر فى كلمته زيدا، فقال زهير لابنه : هَجَوْتَ رجلا غير مُفْحَم، وإنه لَخَلِيقٌ أن يَظْهَر عليك ، فأجابه زيد فقال :

أفى كل عام مَأْتَمٌ تجمعونه * على مُحْمَرٍ عَوْدٍ أُثيب وما رُضِى[3]
تُجِدُّون نَحْشًا بعدَ نَحْش كأنَّما * على سَيِّدٍ من خير قَوْمِكم نُعَى
يُخَضَّضُ جَبَّارا عَلَىَّ ورَهْطَه * وما صِرْمَتِى منهم لأول من سعى
تُرَعِّى بأذناب الشِّعاب ودُونَها * رجالٌ يَصُدُّون الظَّلُومَ عن الهوى
ويَرْكَب يومَ الرَّوْع فيها فوارس * بَصِيرون فى طَعْن الأباهر والكُلَى
تقول أرى زيدا وقد كان مُصْرِما * أَراه لعمرى قد تَمَوَّل وأَقْتَنى
وذاك عطاءُ الله فى كل غارةٍ * مُشَمِّرة يوما اذا قَلَص الحُصَى
فلولا زُهَيْرٌ أن أُكَدِّر نعمة * لنادَعْتُ كَعْبًا ما بَقِيْت وما بَقِى

(١) تؤبسه : تصغره وتحقره . (٢) فى رواية : * وأقرب بأحلام النساء من الردى * (٣) رضى مبنى للمفعول، وفتحت منه الضاد فتقلب الياء ألفا وهى لغة طائية .

[قدوم وفد العراق على معاوية وسؤاله لدغفل عن مسائل]

وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا العتبي قال : قَدِم وَفْدُ العراق على معاوية رضى الله تعالى عنه وفيهم دَغْفَلٌ ، فقال له معاوية : يادَغْفَل ، أخبرنى عن ابْنَىْ نِزارِ ربيعة ومضر أيهما كان أَعَزَّ جاهِلِيَّة وعالمية؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، مُضَرُ بن نزار كان أعَزَّ جاهلية وعالمية ، قال معاوية : وأىُّ مضر كان أعز؟ قال : بنو النضر بن كنانة ، كانوا أكثرَ العرب أمجادا ، وأرفعهم عِمَادا ، وأعظَمهم رمادا ، قال : فأىُّ بنى كنانة كان بعدهم أعز؟ قال : بنو مالك بن كنانة ، كانوا يَعْلُون مَنْ ساماهم ، ويَكُفُّون من ناواهم ، ويَصْدُقُون مَنْ عاداهم ، قال : فَمَنْ بعدهم؟ قال : بَنُو الحارث بن عبد مَنَاة ابن كنانة ، كانوا أَعَزَّ بنيه وأَمْنَعَهم ، وأجودهم وأَنْفَعَهم ، قال : ثُمَّ مَنْ بعدهم ؟ قال : بنو بكر بن عبد مناة ، كان بأسهم مرهوبا ، وعَدُوُّهم منكوبا ، وثأرهم مطلوبا ، قال : فأخبرنى عن مالك بن عبد مناة ابن كنانة وعن مُرَّة وعامر ابنى عبد مناة ، قال : كانوا أشرافا كراما ، وليس للقوم أكفاءٌ ولا نظراء . قال : فأخبرنى عن بنى أَسَدٍ ، قال : كانوا يطعمون السَّديف ، ويُكْرِمون الضُّيوف ، ويَضْربون فى الزُّحوف ، قال : فأخبرنى عن هُذَيْل ، قال : كانوا قليلا أكياس ، أهل مَنَعَة وباس ، يَنْتَصِفون من الناس ، قال : فأخبرنى عن بنى ضَبَّة ، قال : كانوا جَمْرة من جَمَرات العرب الأربع ، لا يُصْطَلَى بنارهم ، ولا يُفَاتُون بثارهم ، قال : فأخبرنى عن مُزَيْنة ، قال : كانوا فى الجاهلية أهل مَنَعة ، وفى الاسلام أهل دَعَة ، قال : فأخبرنى عن تميم ، قال : كانوا أعز العرب قديما ، وأكثرها عظيما ، وأمنعها حَرِيما ، قال : فأخبرنى عن قيس ، قال : كانوا لا يفرحون اذا أُدِيلوا[1] ، ولا يَجْزَعُون اذا ابْتُلُوا ، ولا يبخلون اذا سُئلوا . قال : فأخبرنى عن أشرافهم فى الجاهلية ، قال : غَطَفان بن سعد ، وعامر بن صَعْصَعة ، وسُلَيم ابن منصور ، فأما غَطَفان فكانوا كِرَاما سادة ، وللخميس قادة ، وعن البَيْض ذادة ، وأما بنو عامر فكثير سادَتُهم ، مَخْشِيَّةٌ سطوتُهم ، ظاهرة نَجْدَتهم ، وأما بنو سُلَيم فكانوا يُدْرِكون الثار ، ويمنعون الجار ، ويُعْظِمون النار ، قال : فأخبرنى عن قومك بكر بن وائل وأَصْدُقنى ، قال كانوا أهل عز قاهر ، وشرف ظاهر ، ومجد فاخر ، قال : فأخبرنى عن إخوتهم تَغْلِب ، قال : كانوا أسودا تُرْهَب ، وسِمَاما لا تُقْرَب ، وأبطالا لا تُكْذَب ، قال : فأخبرنى كم أُدِيلوا عليكم فى قتلكم كُلَيْبا؟ قال : أربعين سنة ،

(١) أديلوا : نُصروا على أعدائهم .

لا نَنْتَصِف منهم فى مَوْطِنٍ نلقاهم فيه حتى كان يوم التَّحالِيق : يوم الحارث بن عباد بعد قِتْلة ٱبنه بُجَيْر وكان أرسله فى الصلح بين القوم فقتله مُهَلْهِل وقال : بُؤْ بشِسْع نَعْل كليب، فقال الغلام : إن رَضِيَتْ بهذا بنُو بكر رَضِيت، فبلغ الحارث ، فقال : نِعْمَ القتيلُ قتيلا إن أصلح الله به بين بكر وتَغْلِب و بَاءَ بكليب، فقيل له : انما قال مُهَلْهِل ما قال الكلمة(١)، فتَشَمَّر الحارث للحرب وأَمَرَنا بحلق رءوسنا أجمعين وهو يوم التَّحالِيق وله خبر طويل، وقال :

قَـرِّبا مَرْبِطَ النَّعامـةِ(٢) مِنِّى * لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيَال
لم أَكُنْ من جُنَاتِهـا عَـلِمَ الله * وإنى بِحَـرِّهـا اليـومَ صالى
قَـرِّبا مَرْبِطَ النَّعامـةِ مِنِّى * إنَّ بَيْعَ الكِرَامِ بالشِّسْعِ غالى

فَأُدِلْنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين الى يومنا هذا . قال : فمن ذهب يذكر ذلك اليوم . قال : الحارث بن عَبَّاد أَسَرَ مُهَلْهِلا فى ذلك اليوم وقال له : دُلَّنِى على مُهَلْهِل بن ربيعة، قال : مالى إن دَلَلْتك عليه؟ قال : أُطْلِقك، قال : على الوفاء؟ قال له : أنا مُهَلْهِل، قال : ويحك! دُلَّنى على كفء كريم، قال : ٱمرؤ القيس، وأشار بيده اليه عن قرب، فأطلقه الحارث وٱنطلق الى ٱمرئ القيس فقتله . وبَكْرٌ كلها صَبَرت وأَبْلَتْ فَحَسُن بلاؤها الا ما كان من ٱبنى لُجَيْم : حنيفة وعجل، ويَشْكُر بن بكر، فان سعد بن مالك بن ضُبَيْعة جد طَرَفة بن العبد هجاهم فى ذلك اليوم فقال :

انَّ لُجَيْمًا عَجَـزَتْ كلُّهـا * أن يُرْفِدُونى فارسا واحدا
ويَشْكُرُ العـام على خَتْرِهـا * لم يَسْمَعِ النـاسُ لهم حامدا

وقال فيهم أيضا :

يا بُؤس للحـرب التى * وَضَعَتْ أَراهِط فاسْتَراحوا
انا وإخْـوَتَنا غَـدًا * كَثَمُود حِجْرٍ يوم طاحوا
بالمَشْرَفِيَّـة لا نَفِـرّ(٣) * ولا نباح ولن نباحوا
مَنْ صَدَّ عن نِيرانها * فانا ٱبْنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ

فقال معاوية : أنت والله يا دَغْفَل أعلم الناس قاطبة بأخبار العرب .

(١) هكذا فى الأصل والكلمة هى قوله بؤ بشسع نعل كليب كما تقدم . (٢) النعامة : فرس مشهورة للحارث بن عباد .
(٣) كذا فى الأصل ولعل هنا تحريفا ووجه الكلام : ولا نباح كمن يباح .

[مطلب ترجمة الأحنف بن قيس وما قالت فى وصفه امرأة من قومه وقد وقفت على قبره بعد دفنه وخطبت الناس]

قال وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : مات الأحنف بن قيس بالكوفة أيام خرج مع مصعب بن الزبير الى قتال المختار ، فنزل دار عبد الله بن أبى عُصَيْفِير الثقفى ، فلما حملت جنازته ودُلِّىَ فى قبره ، جاءت امرأة من قومه من بنى مِنْقَر عليها قبول من النساء ، فوقفت على قبره فقالت : لله درك من مُجَنٍّ فى جُنَن ، ومُدْرَجٍ فى كَفَن ، إنا لله وإنا اليه راجعون ، نسأل الله الذى جَمَعَنا بموتك ، وابتلانا بفقدك ، أن يوسع لك فى قبرك ، وأن يغفر لك يوم حشرك ، وأن يجعل سبيلَ الخير سبيلَك ، ودليلَ الرشاد دليلَك ؛ ثم أقبلت بوجهها على الناس فقالت : مَعْشَر الناس ، إنَّ أولياءَ الله فى بلاده ، شُهودٌ على عباده ؛ وإنا قائلون حقا ، ومُثْنُون صدقا ؛ وهو أهلُ لحُسْن الثناء ، وطيب الدعاء ؛ أما والذى كُنْتَ من أَجَله فى عدّة ، ومن الضمان الى غاية ، ومن الحياة الى نهاية ؛ الذى رفع عَمَلك عند انقضاء أجلك ، لقد عِشْتَ حَمِيدا مودودا ، ولَقَدْ مُتَّ فَقِيدا سعيدا ؛ وإن كنت لَعَظِيم السِّلْم ، فاضلَ الحِلْم ؛ وإن كنت من الرجال لَشَريفا ، وعلى الأرامل عَطُوفا ؛ وفى العشيرة مُسَوَّدا ، وإلى الخُلَفاء مُوفَدا ؛ ولقد كانوا لقولك مستمعين ، ولرأيك متبعين . ثم انصرفت .

* * *

قال وحدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن عيينة قال قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه : مَوْتُ ألفٍ من العِلْية خيرٌ من ارتفاع واحد من السِّفْلة .

وقال وحدّثنا أيضا قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول : عَوِّد لسانَك الخير تَسْلَم من أهل الشر .

قال وحدّثنى العكلى عن ابن خالد عن الهيثم بن عدى قال حدّثنا مِلْحان بن عَرْكِيّ عن أبيه قال حدّثنا عدى بن حاتم قال : شَهِدْت حاتما وهو يجود بنفسه فقال لى : يا بُنَىَّ ، أُعْهِدُك من نفسى ثلاثا : ما خالَفْتُ الى جارة لِسُوءٍ قط ، ولا ائْتُمِنتُ على أمانة قَطُّ إلا أدَّيْتُها ، ولا أتَى أحدا منْ قِبَلى سُوءٌ .

وأنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعى لأعرابى :

أَمَا والذى لا يَعْلَمُ الغيبَ غيرُه * ومَنْ هو يُحْيِى العَظْمَ وهْىَ رَمِيمُ

لقد كنتُ أَطْوِى البَطْنَ والزادُ يُشْتَهَى * محافَظةً من أن يقال لئيمُ
وإنّى لَأَسْتَحْيِي أَكِيلِي ودُونَه * ودُونَ يَدى داجى الظلام بَهِيمُ

وأنشدنا أيضا قال أنشدنا أبو حاتم ولم يسم له قائلا :

اذا ما الحىُّ عاشَ بِذِكْرِ مَيْتٍ * فذاك المَيْتُ حَىٌّ وهو مَيْتُ
يقول بَنَى أَبى و بَنَتْ جُدُودى * وهَدَّمْتُ البِناء وما بَنَيْتُ
ومَنْ يَكُ بَيْتُه بَيْتًا رَفِيعا * ويَهْدِمُه فليس لذاك بَيْتُ

قال وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا شيخ من أهل البصرة قال : أتى سليمان بن يزيد العَدَوِىّ رجل فقال : إنى قد قلت بيتا فأجزْه لى، قال : هات، فقال الرجل :

فأنَّكَ لو رَأَيْتَ مَسِير عُمْرِى * اذًا لَعَلِمْتَ أنِّى قد فَنِيتُ

فقال سليمان :

فإن تك قد فَنِيتَ فَبَعْدَ قوم * طوال العمر بادوا قد بَقِيتا
لَحَظَّك ما اسْتَطَعْتَ فلا تُضِعْه * كأنَّك فى أُهَيلِك قد أُتِيتا
كأنَّكَ والحُتوفُ لها سِهامٌ * مُقَدَّرة بسهمك قد رُمِيتا
وصِرْتَ وقد حُمِلْتَ الى ضريح * مع الأموات قبلك قد نُسِيتا
بَعِيدَ الدار مُغْتَرِبًا وحِيدا * بكأس الموت مثلهم سُقِيتا

قال : خَفَرَّ الرجل مَغْشِيًّا عليه فما حُمِل إلا على أيدى الرجال .

[مطلب حمق العرب]

وحدّثنا قال أخبرنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام قال : سألت أبى عن حَمْقَى العرب المذكورين فقال : زُهَيْر بن جناب الكلبى . ومالك بن زَيْد مَنَاة بن تميم، وكان يَرْعَى على أخيه سعد آبن زيد مناة، فَزَوَّجَهُ أخوه وهو غائب عنها نَوَار بنت جَلِّ بن عَدِىٍّ بن عبد مَنَاةَ، فلما رجع من الإبل مُمْسِيًا دخل عليها وعُلْبَتُه فى يده ونَعْلاه فى رجليه وكساؤه على منكبيه، فجلس ناحية ينظر اليها، فقالت له : ضَعْ نعليكَ، فقال : رِجْلَاىَ أحرزُ لهما، قالت : ضَعْ عُلْبتك، قال : يَدى أحفظُ لها قالت : ضع كساءك، قال : عاتِقِى أحملُ له، فأعْطَتْه طِيبًا فأَهْوَى به الى آسته، فقالت : ادْهُنْ به

وَجْهَك، فقال : أُطَيِّب به مَنَاتِنى أَوْلَى، فدنت منه وقد تَطَيَّبَتْ وتَعَطَّرت فانتشر عليها فتجلَّاها، فلما أصبح غدا عليه سعد، فقال له : يا مالِ، اغْدُ على إبلك، فقال : والله لا أرعاها أبدا، اطْلُبْ لها راعيا سواى، فأورد سعد إبله فانتشرت عليه، فأنشأ يقول ويعرض بأخيه مالك :

يَظَلُّ يومَ وِرْدِها مُزَعْفَرا * وهْىَ خَنَاطِيلُ تَجُوس الخُضَرا

فقالت له امرأته : أَجِبْه، قال : وما أقول؟ قالت : قل :

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسعد مشتمل * ما هكذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإبل

قال : وكان كلاب وكعب وعامر أبناء ربيعة بن عامر بن صعصعة أَحْمَقين جميعا، فاشترى كلاب عِجْلا وهو يظن أنه مُهْر، فركبه فصَرَعه، وركبه كعب فصرعه، وركبه أخوهما عامر فثَبَت عليه فسُمِّى الثابت، فكان كلاب يحسبه مُهْرا حتى نَجَم قَرْناه .

* * *

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا عبد الله بن خلف قال : دخلت على إبراهيم بن محمد ابن عبد الجليل، وكانت له جارية يحبها وتُبْغِضه، فساءته البيع فباعها، فأنشدنى وهو حزين هذه الابيات :

نَأَتِ الغَداةَ بوصلها غَرَّار * فدموعُ عَيْنِك ما تَجِفُّ غِزار

وٱسْتَبْدَلَتْ بك صاحبا ومؤانسا * وكذا الغَوَانِى وَصْلُهُنَّ مُعار

وحدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا سليمان بن حرب قال حدّثنا حماد بن زياد عن كثير بن زياد عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : الكَرَمُ التقوى والحَسَب المال .

وحدّثنا ايضا قال حدّثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله قال حدّثنا أبو عبد الله بن نطاح قال حدّثنا أبو عبيدة عن عبد الأعلى القرشى قال قال عبد الملك بن مروان لجلسائه : أنشدونى أكرم أبيات قالتها العرب، فقال رَوْح بن زِنْباع :

اليومُ نَعْلَمُ ما يجىء به * ومَضَى بفَصْلِ قضائه أَمْس

مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّبُ الشمس * وطُلُوعها من حيث لا تُمْسِى
تَبْدُو لنا بيضاءَ صافيةً * وتَغِيبُ فى صَفْراءَ كالوَرْس

فقال له : أحسنت ، فأنشدنى أكرم بيت وَصَف به رجلٌ قومَه فى حرب ، فقال : قول كعب ابن مالك حيث يقول :

نَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرْن بخَطْونا * قُدُمًا ونُلْحِقها اذا لم تَلْحَق

قال له : أحسنت ، فأنشدنى أفضل ما قيل فى الجود . قال : قول حاتم الطائى :

ألَمْ تَرَ ما أفنَيْتُ لم يَكُ ضَرَّنِى * وأنَّ يَدِى مما بَخِلْتُ به صِفْر
ألم تر أن المال غادٍ ورائح * ويَبْقَى من المال الأحاديثُ والذِّكر
غَنِينا زمانًا بالتَّصَعْلُك والغِنَى * وكُلًّا سَقَاناهُ بكَأْسَيْهِما الدهرُ
فما زادنا بَغْيًا على ذى قَرَابةٍ * غِنانا ولا أَزْرَى بأحسابنا الفَقْر

قال : فَمَنْ أشعرُ العرب؟ قال : الذى يقول — وهو امرؤ القيس — :

كأنَّ عُيونَ الوَحْش حَوْلَ خِبائنا * وأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثَقَّب

والذى يقول :

كأنَّ قلوبَ الطير رَطْبًا ويابسا * لَدَى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالى

قال وحدّثنا عبد الله بن خلف قال حدّثنا محمد بن الفضل قال حدّثنا العباس بن الفرج قال : سمع الأصمعى رجلا يدعو ربه ويقول فى دعائه : ياذوالجلال والإكرام ، فقال له الأصمعى : ما اسمك؟ قال : لَيْثٌ ، فقال الأصمعى :

يُنَاجِى رَبَّه بالنُّكْر لَيْثٌ * لذاك اذا دعاه لا يُجَاب

وحدّثنا أيضا قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا إسحاق بن محمد النخعى قال حدّثنا ابن عائشة قال : قال رجل لبشار : إنه لم يَذْهَبْ بَصَرُ رجل إلّا عُوِّض من بصره شيئا ، فما عُوِّضْتَ أنت من بصرك؟ قال : أن لا أراك فأَمُوتَ غَمًّا .

وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم قال قال عبدُ الله بن خازم بعد قَتْلِه أهل فَرْنَاباذ[1] من بنى تميم، وكان قَتَلَ نَيِّفًا وسبعين رجلا من وجوههم صَبْرًا، وذلك أنهم قتلوا ابنه محمدا : قتله شَمَّاس بن دِثَار العُطَارِدِى بِهَرَاةَ، وذلك معنى قول ابن عَرَادة :

فان تك هامَةٌ بهَرَاةَ تَرْقُو * فقد أَرْقَيْتَ بالمَرْوَيْنِ هاما

وقال يوما وحَوْلَه بنو سُلَيْم وبنو عامر وناسٌ من سائر قيس، وبلغه أن بنى تميم قالوا : لا نَرْضَى بقتل أحد دونه فإنه ثَأْرُنا المُنِيم[2]، فقال :

دَمِى غالٍ وفيه بَوَاءُ قَوْمٍ * أُصِيبوا من سَرَاة بنى تميم
فليسوا قابِلِين دَمًا سواه * ولا يَشْفِى الصَّمِيمَ سِوى الصَّمِيم
أَبَيْنَا أن نَدِرَّ على المَخَازى * وكنا القوم نُدْرِك بالوُغُوم[3]
قَتَلْنا منهمُ قوما كراما * بِيَوْمٍ عابِسٍ قَمْرٍ مَشُوم
فإن فاءت وراجَعَتِ الهَوَيْنَى * كَفَفْنا والتَّفَضُّل للحليم
وإن ضاقت صُدورهم وهَمُّوا * بإقْدامٍ على الكَلِلِ الوَخِيم
فَفى أسيافِنا ناهٍ لِغَاوٍ * شَدِيد شَنْؤُه جَمِّ الهُموم

فكان ذلك مما أَوْغَرَ صدورَهم عليه، ثم قال يوما آخر بعد ما قَتَلَ أهل فَرْنَاباذ هذه الأبيات :

ما أنا[4] مِمَّنْ يَجْمَع المالَ ما خَلَا * سِلاحى وإلا ما يَسُوس بَشِير
سِلاحٌ وأفراسٌ وبَيْضاء نَثْرَة * وذلك من مال الكريم كثير
وقلبٌ إذا ما صِيح فى القوم لم يكن * هَيُوبا ولكن فى اللقاء وَقُور
ولَسْنا كأقوام هَرَاةُ مَحَلُّهم * لَهُمْ سَلَفٌ فى أهلها وحَوِير
ولكنّنا قَوْمٌ بدار مرابَط * يُغَار علينا مَرَّةً ونُغِير

فزادهم ذلك عليه حَنَقًا حتى كان من أمره ما كان .

---

(١) قرية كبيرة بينها وبين مرو خمسة فراسخ . (٢) الثأر المنيم : الذى فيه وفاء طلبة ولى الدم . (٣) الوغوم جمع وغم وهو الثأر . (٤) تقدم غير مرة فى مثل هذا البيت أنه دخله الخرم وهو حذف الفاء فى فعولن .

[مطلب نصيحة عرهم العدوى خالد بن عبد الله أن يرسل إلى الأزارقة المهلب بن أبى صفرة وإبائه أن يرسل إليهم إلا أخاه]

وحدّثنا قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة قال : لما بَعَثَ خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة، قام اليه عَرْهَم أخو بنى العَدَوِيَّة فقال : أصلح الله الأمير، إن هذا الحىّ من تميم تَبَطٌ بقريش منهم رَحِمٌ داسَّةٌ ماسَّة، وإن الأزارقة ذُؤْبان العرب وسِبَاعُها، وليس صاحِبُهم الا المُبَاكِر المُنَاكِر المُحَرَّب المُجَرَّب، الذى أَرْضَعَتْه الحربُ بِلِبَانِها، وجَرَّسَتْه وضَرَّسَتْه، وذلك أخو الأزد المُهَلَّب بن أبى صُفْرة، والله إنَّ غَثَّك أحب الينا من سَمِينه، ولكنى أخاف عَدَواتِ الدَّهْرِ وغَدْرَه، وليس المُجَرَّب كمن لا يُعْلَم، ولا الناصح المُشْفِق كالغاشّ المُتَّهَم. قال له خالد : اسْكُتْ ما أنت وذا؟ فلما هَزَمَت الأزارقةُ عبدَ العزيز وأخذوا آمرأته وفَرَّ عنها قال عَرْهَم :

لعمرى لقد ناجَيْتُ بالنصح خالدا * ونادَيْتُـــه حتى أَبَى وعصانِيا
وَلَجَّ وكانت هَفْوة من مُجَرِّب * عصانى فَـلَاقَى ما يَسُرُّ الأعاديا
نَصَحْتُ فلم يَقْبَل ورَدَّ نصيحتى * وذو النصح مُظَّنٌّ(١) بما ليس آتيا
وقُلْتُ الحَرُورِيُّون مَنْ قد عَرَفْتَهُمْ * حُمَاةٌ كُمَاةٌ يَضْربون الهَـوَاديا
فلا تُرْسِلَنْ عبـــدَ العزيز وسَرِّحَنْ * إليهـم فَتى الأَزْد الأَلَدَّ المُساميا
فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهـــه * جَرِيئًا على الأعداء للحـرب صاليا
فلما أَبَى أَلْقَيْتُ حَبْـــل نصيحتى * على غارب قد كان زَهْمـانَ ناويا
وشَمَّرْتُ عن ساقٍ ثَوْبى إذ بدت * كَتَائبُهـــم تُزْجى الينـا الأفاعيـا
يَهُـزُّون أرْماحا طِوَالا بأذْرُع * شدادٍ إذا ما القوم هَزُّوا العَواليا

* * *

وحدّثنا قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يقول لابنه : كُنْ للعاقل المُدْبِر أَرْجَى منك للأحمق المُقْبِل، ثم أنشد :

عَدُوُّك ذو الحِـلْمِ أَبْقَى عليك * وأَرْعَى من الوَامِق الأحمق

(١) مظن بوزن مفتعل : متهم.

قال وأخبرنا تعبد الرحمن عن عمه قال : كتب حكيم إلى حكيم : عِظْنِى، فكتب إليه : أما بعد فما أَبْعَدَ ما فات، وما أَسْرَعَ ما هو آت؛ والسلام .

وأخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : كتب حكيم إلى حكيم : ارْضَ من الدنيا بالقليل مع سلامة أمرك، كما رَضِىَ قَوْمٌ بالكثير مع ذهاب دينهم، واعلم أن أُجُور العاملين مُوَفَّاة فاعمل ماشئت، والسلام .

قال وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

إن يَكُنِ العقلُ مَوْلُودا فلَسْتُ أَرَى * ذا العقل مُسْتَغْنيا عن حادث الأَدَب
إنى رأيتُهُما كالماء مختلطا * بالتُّرب تَظْهَر عنه زَهْرة العُشُب
وكلُّ من أخطأَتْهُ فى مَوَالِده * غَرِيزة العقل حاكَى البَهْمَ فى النسب
ولم يكن عَقْلُه المولود مكتفيا * فيما يُحَاوِلُه من حادث الأدب

[مطلب ما وصف به بعض الأعراب النساء فى أسنانهن من بنت عشر إلى مائة]

قال وأخبرنا أبو عثمان قال : اجتمع خالد بن صفوان وأناس من تميم فى جامع البصرة وتذاكروا النساء، فجلس اليهم أعرابى من بنى العَنْبر، فقال العنبرى : قد قلت شعرا فاسمعوا :

إنِّى لَمُهْدٍ للنساء هَدِيَّة * سَيَرْضَى بها غُيَّابُها وشهودُها
إذا ما لَقِيتُمْ بنتَ عَشْرٍ فإنها * قليل إذا تَلْقَى الحَزَوَّرَ(١) جُودُها
يَمُدُّ إليها بالنَّوال فتأْتَلِى * وتَلْطِمُ خَدَّيْها إذا يَسْتَزِيدها
ولكن بنفسى ذاتُ عِشْرين حِجَّةً * فتلك التى أَلْهُو بها وأريدها
وذات الثلاثين التى ليس فوقها * هى النعت لم تَكْبَرْ ولم يَعْسُ(٢) عُودها
وصاحب ذات الأربعين بغِبْطَةٍ * وخَيْرُ النساء سَرْوُها وخُرُودُها
وصاحبة الخمسين فيها منافع * ونِعْمَ المتاعُ للمُفِيد يُفِيدها
وصاحبة السِّتِّين تَغْدُو قَوِيَّة * على المال والإسلام صُلْبٌ عَمُودها
وإمَّا لَقِيتم ذات سبعين حجة * هَدِيا فقل هاخَيْبة يستفيدها

(١) الحزور : الغلام القوى . (٢) لم يعس عودها : لم ييبس .

وذات الثمانين التى قد تَسَعْسَعَتْ * من الكِبَرِ العاسى ونَاسَ وَرِيدُها
وصاحبة التسعين فيها أَذًى لهـم * فَتَحْسَب أن الناس طُرًّا عبيدها
وإن مائة أَوْفَتْ لأخرى بِخَمْتِهَا * تَجِدْ بيتها رَثًّا قَصِيرا عَمُودها

فقال خالد : لله درك ! لقد أتيت على ما فى نفوسنا .

* * *

وأخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : أخبرنى رجل من ولد عبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرى قال : كنت مع أبى لما سَعَى على بنى كليب ، فجاءتنا امرأة تَسْتَعْدِى على زوجها ، وذكرت أنه واقع جاريتها ، فقال الرجل : هى سوداء وجاريتها سوداء وفى عَيْنَىَّ قَدَعٌ ، ويَضْرِب الليلُ بأرواقه فآخذ مادَنَا .

* * *

وحدّثنا أبو حاتم قال قال ابن أبى تميمة وأَسَرَتْه التُّرْك :

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً * وِسَادِىَ كَفٌّ فى السِّوار خَضِيبُ
وبين بنى سَلْمَى وهَمْدَان مجلسٌ * عـلى نَأْيِهِ مِنِّى إلىَّ حبيبُ
كرام المَسَاعى يأمن الجارُ فيهم * وقائلُهم يوم الخطاب مصيب

[قصيدة أوس بن حجر التى منها قوله " الألمعى الذى يظن البيت " يمدح بها فضالة بن كلدة فى حياته ويرثيه بعد وفاته]

قال ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : سمعت الأصمعى يقول : لم يبتدئ أحد من الشعراء مَرْثِيَةً أحسنَ من ابتداء مَرْثِيَةِ أوس بن حجر :

أَيَّتُهَا النفسُ أَجْمِلى جَزَعا * إنَّ الذى تَحْذَرِين قد وَقَعا
إن الذى جَمَّعَ السَّماحةَ والنَّجْدة والحَزْم والقُوَى جُمَعا
الأَلْمَعِىُّ الذى يَظُنُّ بك الظَّنَّ كأن قد رَأَى وقد سَمِعا

قال أبو على : ويلى هذه الأبيات ، "والمُخْلِف المُتْلِف" وأنا ذاكرها إلى تمام القصيدة :

والمُخْلِف المُتْلِف المُرَزَّأ لم * يمتع بضَعْفٍ ولم يَمُتْ طَبَعا
والحافظ الناس فى تَحُوط إذا * لم يُرْسِلوا تحتَ عائذٍ رُبَعا

وعَزَّتِ الشَّمْأَلُ الرِّياحَ وإذ * بات كَمِيعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعا
وشُبِّه الهَيْدَبُ العَبامُ من الأقوام سَقْباً مُلَبَّسا فَرِعا
وكانت الكاعِبُ المُخَبَّأةُ الـ * ـحَسْناء فى زادِ أهلها سَبُعا
أَوْدَى فلا تَنْفَعُ الإشاحةُ من * أَمْرٍ لِمَنْ قد يُحاوِل البِدَعا
لِيَبْكِكَ الشَّرْبُ والمُدامةُ والـ * ـفِتْيان طُرًّا وطامِعٍ طَمِعا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَواشِرُها * تُصْمِت بالماء تَوْلَباً جَدِعا
والحَيُّ إذ حاذَرُوا الصَّباحَ وإذْ * خافوا مُغِيرًا وسائرًا تَلَعا
وازْدَحَمَتْ حَلْقَتا البِطان بأقـ * ـوام وجاشَتْ نُفُوسُهم جَزَعا

قال أبو على : تَحُوط : السَّنَة الشديدة . والعائذ من الإبل : التى وَضَعَتْ حَدِيثًا . والرُّبَع : الذى وُلِدَ فى الرَّبيع . وعَزَّت غَلَبَتْ . والكَمِيعُ الضَّجيع . والهَيْدَب : الذى عليه أهدابُه تَذَبْذَبُ كأنها هَيْدَبٌ من السَّحاب . والعَبام : الثَّقيل . والفَرَعُ : ذِبْحٌ كان أهلُ الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويُلْبِسُون جِلْدَه سَقْبًا آخر . والإشاحة : الجِدُّ فى الأمور . والهِدْمُ : الأخْلاق من الثياب . والنَّواشِر : عروق ظاهر الكف . والجَدِعُ السَّيِّئ الغِذاء .

وأنشدنا أبو عثمان قال : كتب بعض الشعراء الى أخيه يُعَزِّيه على آبن له يقال له محمد :

اِصْبِرْ لكل مصيبة وتَجَلَّدِ * واعلم بأنَّ المرءَ غيرُ مُخَلَّدِ
وإذا ذكرتَ محمدا ومُصابَه * فاذْكُرْ مُصابَك بالنبيِّ محمد

وقال وأنشدنا أبو عثمان قال أنشدنى التوزى لبعض الشعراء يرثى أخًا له :

طَوَى الموتُ ما بَيْنِى وبين محمد * وليس لما تَطْوِى المَنِيَّةُ ناشر
لئن أُوحِشَتْ مِمَّن أُحِبُّ منازلٌ * لقد أَنِسَتْ بمن أُحِبُّ المقابر
وكنتُ عليه أَحْذَرُ الموتَ وَحْدَه * فلم يَبْقَ لى شىء عليه أُحاذر

قال وأنشدنا أبو العباس عن آبن الأعرابى :

يالَيْتَ أُمَّ العَمْرِ كانت صاحبى * ورابَعَتْنِى تَحْتَ لَيْلٍ ضارِب (١)

(١) هذان البيتان لأمية بن أبى الصلت كما فى ديوانه طبع أوربا سنة ١٩١١

بساعِدٍ نَخِمٍ وكَفٍّ خاضِبِ * مَكانَ مَنْ أَنْشَا على الرَّكائب

قال : أَنْشَأ وأَقْبَل واحد .

قال وأنشدنا عن ابن الأعرابى :

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا * للموت كأسٌ لا بُدَّ ذائقُها[1]

ما لَذَّةُ النَّفْس فى الحَياةِ وإن * عاشَتْ قَليلًا فالمَوْتُ لاحِقُها

يَقُودُها قائدٌ إليه ويَحْـ * ـدُوها حَثِيثًا إليه سائقُها

قال وأنشدنا ثعلب :

ويَوْمٍ عَماسٍ[2] تَكَأَدْتُه * طَويلِ النَّهار قَصيرِ الغَدِ

بضَرْبٍ هَذَاذٍ وطَعْنٍ خِلَاسٍ * يَجِيشُ من العَلَقِ الأَسْوَد

وصَدْعٍ رَأَبْتُ فَدَائَيْتُه * وقد بانَ فَوْتَ يَدٍ من يَد

ولَيْلٍ هَدَيْتُ به فِتْيَةً * سُقُوا بِصُبَاب الْكَرَى الْأَغْيَد

وباتَ سُهَيْلٌ يَؤُمُّ الرِّكا * بَ حَيْرَانَ كاللَّهِقِ المُفْرَد

قال وأنشدنا العبدى عن ثعلب عن ابن الأعرابى :

لا تَقْتُلُونى[3] إنَّ قَتْلِى مُحَرَّمٌ * عليكم ولكنْ أَبْشِرى أُمَّ عامر

قال : الضَّبُع تأتى القُبورَ فتَبْحَث عنها ، ثم تَسْتَخْرِج الموتى فتأكلهم ، فيقول : فلا تَعْجَلوا بقتلى فإنى سأموت فتفعلُ بى الضَّبُعُ هذا .

قال وحدّثنا أبو العباس عن ابن الأعرابى قال يقال : امرأة قُرْزُح[4] أى قصيرة . قال أنشدنا ابن الأعرابى :

آبَ الغُزَاةُ ولم يَؤُبْ عَمْرو * لله ما وَارَى[5] به القبر

يا عَمْرُو للضِّيفان إذْ نَزَلُوا * والحَرْب حِينَ ذَكَا لها الجَمْر

---

(١) الذى فى اللسان وغيره من كتب الأدب : * للموت كأس والمرء ذائقها * (٢) عماس : شديد .

(٣) البيت للشنفرى الأزدى كما فى شرح ديوان الحماسة للتبريزى جزء أول ص ٢٤٢ طبع أوربا ، وروايته : لاتقبرونى إن قبرى اخ . (٤) كذا فى الأصل والذى فى القاموس واللسان : قرزحة بالتاء . (٥) الذى فى الأصل : لله در ما وارى بزيادة لفظ در ولا يستقيم وزن الشعر بزيادتها كما لا يخفى .

يا عَمْـرُو للشَّرْبِ الكِرام إذا * أَزَمَ الشِّـتاء وعَزَّت الخَمْـر
أصبحْتُ بَعْدَ أخى ومَصْرَعه * كالصَّـقْرخانَ جَناحَه كَسْر

قال وأخبرنا أبو العباس عن ابن الأعرابى قال : معنى قوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْبُلُ على أعمامه أى يُنَاولهم النَّبْل. وقال: النابِلُ : الحاذِق . وتَنَبَّل الموتُ المـالَ إذا أَخَذ أَفْضَـلَه . وأنشدنا :

فانْبُلْ بقَوْمِك إمَّا كُنْتَ حاشِرَهُم * فَكُلُّ حاشِرِ أقوامٍ له نَبَـلُ[1]

وقال أبو العباس عن أبى نصر : خرج علينا الأصمعى ذاتَ يَوْم، فقال : أَجِد فى عَيْنى حَثَرًا أى انْسِلَاقًا .

[طلب حديث هريم بن أبى طحمة مع سعد بن نجد القردوسى]

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو حاتم أحسبه قال عن أبى عبيدة قال قال هُرَيْم بن أبى طَحْمة المُجَاشِعى : كنا مع قتيبة بن مسـلم بن عمرو الباهلى نقاتل العدوّ، فهاجت قَسْطَلَانِيَّة ، فَتَلَقَّانى سعدُ ابن نَجْد القُرْدُوسى وهو قاتل قتيبة بن مسلم، فطعنتُه فصرعتُه، فقال : ما صَنَعْتَ! وَيْلَكَ! فعرَفْتُه، فقلت : يَمُوت من الطَّعْنة، فإن مَضَيْتُ عنه ومَرَّ به رجل من الأزد فيقول له : مَنْ طَعَنَك؟ فيقول: هُرَيْم، فيطلبونى بدمه، فهممت بقتـله وٱنتضيت سيفى، فَفَطِن لها وقال : ويلك يا حِمَار! ما علىَّ بأسٌ، أَعِنِّى حتى أركب، فأَعَنتُـه فرَكِب ومَرِض من الطعنة، فكنت أعوده مع أصحابه فلا يخبرهم حتى أفاق، فلقينى يوما فضحك وقال : وَيْلَك ! أردت أن تقتلنى ! فقلت : نعم، وأخبرته بما قلت فى نفسى، فقال : علمت ذاك ولكن ٱسمعْ، وأنشأ يقول :

لقـد كُنْتُ فى نَيْـلِ الشهادة راغبا * فَزَهَّـدَنِى فيهـا لِقـاءُ ٱبْنِ أَطْحَما
ولو كان أَرْدَانى لكنتُ مُخاصِمًا * لَدَى مَوْقِف الحشر اللَّئِـيمَ المُلَطَّما
وكان بَوَائِى لو أصـابتـه أُسْرَتِى * أَذَلَّ بَنِى حَـوَّاء طُـرًّا وأَلْأَمَا
وأُقْسِم لو لا أن تَعَـرَّض دُونه * قَتَامٌ يُرِيك الصُّـبْحَ أَسْحَمَ مُظْلِما
لَخَضْخَضْتُ فى صدر التَّمِيمى صَعْدَةً * تُزَجِّى سِـنانًا كالوَذِيلة[2] لَهْـذَما[3]

(١) فى اللسان مادة نبل فى هامشه أنه لصخر الغىّ ، وفسره بقوله : أى ٱرفق بقومك فكل سيد قوم يحشرهم و يجمعهم له رفق بهم ، وكتب فى هامشه بأن النبل بمعنى الرفق بفتحتين و بضمتين . (٢) الوذيلة : المرآة . (٣) اللهذم : القاطع .

ولو لا اعْتِيَاصُ المُهْرِ إذ مِلْتُ واجِبًا * لَحَالَتْهُ عَضْبَ الغِرَارَيْنِ مِهْـذَما
فإن تُشِـد الجَعْـراءُ يومًا بِذِكْرِهـا * فقـد أَحْرَزَتْ فَخْرًا بها مُتَقَـدِّما
وثَوْبَا أبى رَهْنٌ بها أن أُبِيعَهَـا * بِشَرْوَى لهـا جَيَّاشَـةٍ تَقْلِسُ الدَّما

ثم قال : خذها يا أخا تميم .

* * *

وحدّثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْهِ قال حدّثنا أبو العباس قال حدّثنى الرياشى قال حدّثنا محمد بن سلام قال قال أمية بن أبى الصَّلْت : أتيتُ نَجْرانَ فدخلت على عبد المَدَان بن الدَّيَّان ، فإذا به على سريره ، وكأنَّ وجهه قَمَرٌ ، وبَنُوه حولَه كأنَّهم الكواكب ، فدعا بالطعام ، فأُتِى بالفَالُوذَج ، فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت وأنا أقول :

ولقـد رأيتُ القائلين وفِعْلَهُمْ * فرأيتُ أكْرَمَهُـم بَنى الدَّيَّان
ورأيت من عَبْدِ المَدَانِ خلائقًا * فَضَـلَ الأنامَ بهنَّ عَبْدُ مَدَان
البُرُّ يُلْبِـك بالشِّهاد طعـامُه * لا ما يُعَلِّلُنـا بَنُو جُدْعان

فبلغ ذلك عبـدَ الله بنَ جُدْعان ، فوَجَّه الى اليمن من جاءه بمن يَعْمَل الفَالُوذَج بالعَسَـل ، فكان أوّلَ من أدخله مكة ، ففى ذلك يقول ابن أبى الصلت :

له دَاعٍ بمكّةَ مُشْـمعِلٌّ (١) * وآخَرُ فَـوْقَ دارَتِهِ يُنَـادِى
الى رُدُحٍ (٢) من الشِّيزَى عليها * لُبَابُ البُرِّ يُلْبَـك بالشِّهاد

[مطلب أسماء الإنسان فى كل سن من أسنانه]

قال وحدّثنا أبو عمر قال حدّثنا ثعلب قال : يقال للصبى إذا وُلِد : رَضِـيع وطِفْل ، ثم فَطِيمٌ ، ثم دَارِجٌ ، ثم جَفْرٌ ، ثم يَفَعَةٌ ويافِـعٌ ، ثم شَـدَخٌ ، ثم حَزَوَّر ، ثم مُرَاهِق ، ثم مُحْتَلِم ، ثم خَرَج وَجْهُـه ويقال : بَقَلَ وَجْهُه ، ثم اتَّصَلَتْ لِحْيَتُه ، ثم مُجْتَمِع ، ثم كَهْلٌ والكَهْل من ثلاث وثلاثين سنة ، ثم فَوْقَ الكَهْل طَعَن فى السِّنّ ، ثم خَصَّفَه القَتِير ، ثم أَخْلَس شَـعَرُه ، ثم شَمِط ، ثم شَـاخَ ، ثم كَبِر ، ثم تَوَجَّه ، ثم دَلَف ، ثم دَبَّ ، ثم عَوَّد ، ثم تَلَّب .

(١) مشمعل : مشرف عال . (٢) ردح : جمع رداح وهى الجفنة العظيمة . والشيزى خشب أسود تعمل منه الجفان أو هو الآبنوس .

[حديث عيسى بن عمر الثقفى مع أبى عمرو بن العلاء فى إعراب ليس الطيب إلا المسك]

قال وحدّثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعى يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو آبن العلاء، فقال : يا أبا عمرو، ما شىء بلغنى عنك تُجيزه؟ قال : وما هو؟ قال : بَلَغَنى عنك أنك تُجيز ليس الطِّيبُ إلا المِسْكُ بالرفع، فقال أبو عمر : نِمْتَ يا أبا عُمَر وأَدْلَجَ الناس، ليس فى الأرض حجازىٌّ إلا وهو ينصب ، وليس فى الأرض تَميمىٌّ إلا وهو يرفع ؛ ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى — يعنى اليزيدىّ — ، وأنت ياخَلَف — يعنى خَلَفًا الأحمر — فاذهبا الى أبى المَهْدىّ[1] فإنه لا يرفع، وآذهبا الى المُنْتَجِع ولَقِّناه النصب فإنه لا ينصب . قال : فَذَهَبا فأتيا أبا المهدىّ وإذا هو يصلّى، وكان به عارض وإذا هو يقول : أخْسَأْناه عَنّى، ثم قضى صلاتَه وآلتفت الينا وقال : ما خَطْبُكما؟ قلنا : جئناك نسألك عن شىء، قال : هاتيا، فقلنا : كيف تقول لَيْسَ الطِّيبُ إلا المِسْكُ؟ فقال : أتأمرانى بالكذب على كَبْرة سِنّى! فأَيْنَ الجادىّ؟ وأين كذا؟ وأين بُنَّةُ الإبل الصادرة؟ فقال له خلف الأحمر : ليس الشرابُ إلا العَسَلُ ، فقال : فما يصنع سودانُ هَجَر؟ ما لهم شراب غير هذا التمر . قال اليزيدى : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس مِلَاك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها ، فقال : هذا كلام لا دَخَلَ فيه، ليس ملَاكُ الأمر إلا طاعةَ الله، فقال اليزيدى : ليس مِلَاكُ الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها، فقال : ليس هـذا لَحْنِى ولا لَحْنَ قومى، فكتبنا ما سمعنا منه . ثم أتينا المُنْتَجِعَ فأتينا رجلا يَعْقِل ، فقال له خَلَفٌ : ليس الطِّيبُ إلا المِسْكَ، فَلَقَّنَّاه النصب وجَهِدْنا فيه فلم ينصب وأَبَى إلّا الرفعَ، فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يَبْرَحْ، فأخرج عيسى بن عمر خاتَمه من يده وقال : ولك الخاتَمُ بهذا! والله فُقْتَ الناس!

* * *

قال أبو على حدّثنى إسحاق بن إبراهيم بن الجنيد وَرّاق أبى بكر بن دريد قال قال أبو محمد التوزى : سمعت أبا عبيدة يقول : يُعْجبنى من شعر أبى نواس كله بيتان قوله :

ضَعِيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسَبُ أنها * حَدِيثةُ عَهْدٍ بالإفاقة من سُقْم

وإنى لآتِى الأمْرَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى * وتَعْلم قَوْسِى حين أُقْصِد مَنْ أَرْمِى

(١) لعله سقط هنا من الناسخ : ولقناه الرفع فانه الخ .

[مطلب إنشاد الشعراء بين يدى المنصور و إجازته إياهم ألفين ألفين و إجازته ابن هرمة عشرة آلاف]

وحدثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : دخل الشعراء على المنصور وفيهم طريح ابن إسماعيل الثقفى وابن ميّادة وغيرهم، فأذن لهم فى الإنشاد، فأنشدوه من وراء حجاب، حتى دخل ابن هَرْمة فى آخرهم، فأنشده حتى بلغ الى قوله من شعره :

إليك أمير المؤمنين تجاوزت * بنا بيد أجواز الفلاة الرواحل
يزرن امرأ لا يُصلح القومُ أمرَه * ولا ينتجى الأدنَوْنَ فيما يحاول
إذا ما أتى شيئا مضى كالذى أتى * وإن قال إنى فاعل فهو فاعل
كريمٌ له وجهانِ وجهٌ لدى الرِّضا * أسيلٌ ووجهٌ فى الكريهة باسل
له لحظاتٌ عن حِفافَىْ سريره * إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائل
فأمُّ الذى آمنتَ آمنةُ الرَّدى * وأمُّ الذى حاولتَ بالثُّكل ثاكل
رأيتك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ معدلًا * سواه ولم تَشْغَلْك عنه الشَّواغل

فقال : ياغلام، ارفع الحجاب، وأمر له بعشرة آلاف، والدينار يومئذ بسبعة، وأعطى الباقين ألفين ألفين .

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك]

وأخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نُصَيْبٌ الشاعر، فقال للفرزدق : أنشدنى وهو يرى أنه يُنْشِد مَدِيحه، فأنشده :

وركبٍ كأن الرِّيح تَطْلُب منهمُ * لها سَلَبًا من جَذْبِها بالعَصائب
سَرَوْا يركبون الليل وهْىَ تَلُفُّهم * على شعب الأكوار من كل جانب
إذا استوْضَحُوا نارا يقولون لَيْتَها * وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نارُ غالب

فتغير وجه سليمان، فلما رأى نصيب ذلك قال : يا أمير المؤمنين، ألا أنشدك! فأنشده :

وقُلْتُ لرَكْبٍ قافلين لَقِيتُهم * قِفَا ذاتَ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونا عن سليمان إننى * لِمَعْرُوفه من آل وَدَّان طالب
فعاجوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهْلُه * ولو سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحقائب

فَسُرَّ سليمان لذلك وأجازه .

* * *

وأنشدنا أبو عثمان .

آلُ المُهَلَّب قَوْمٌ خُوِّلوا حَسَباً * ما ناله عَـرَبِيٌّ لا ولا كادا

لو قيـل للمجد حِدْ عنهم وخَلِّهم * بما آحْتَكَمْتَ من الدنيا لَمَا حادا

إن المكارم أرواح يُعَدُّ لها * آل المهلب دون الناس أجسادا

[معنى قولهم شمظه عن الشيء]

قال أبو على : سألت أبا بكر وكان يقرأ عليه شيء فيه : «سَيَشْمُظُه»، فقال : شَمَظْتُهُ عن الشيء الشيء إذا منعته عنه .

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن آبن الكلبي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد رضى الله عنه من غزوة تبوك لِهَدْمِ "وَدٍّ"، فحالت بينه وبين هَدْمِه بنو عَبْدِ وَدٍّ وبنو عامِرِ الأَجْدار، فقاتلهم خالد فهزمهم وكسرهم، فقُتِل يومئذ غلامٌ من بنى عَبْدِ وَدٍّ يقال له قَطَن بن شُرَيْح، فأقبلت أمه وهو مقتول فقالت متمثّلةً : — والشعر لرجل من ثقيف —

ألا تِـلْكَ المَسَرَّةُ لا تدوم * ولا يَبْـقَ على الدَّهْرِ النَّعِيمُ

ولا يَبْـقَى على الحَدَثانِ غُفْرٌ * بشاهقـةٍ له أُمٌّ رَءُوم

ثم قالت :

ياجامعًا جامِعَ الأحشاءِ والكَبِد * يالَيْتَ أُمَّك لم تُولَدْ ولم تَلِدِ

ثم أقبلت عليه تقبله وتَشْهَق حتى ماتت .

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الأول بن مَرْثَد قال : سمعت آبن عائشة ينشد :

لا يَبْلُغ المَجْدَ أقوامٌ وإن كَرُموا * حَتَّى يَذِلُّوا وإن عَزُّوا لأقوام

ويُشْتَموا فَتَرى الألوان مُسْفِرةً * لاعَفْوَ ذُلٍّ ولكن عَفْوَ أحلام

وزاد بيتين آخرين عبد الأول : — قال أبو بكر رحمه الله تعالى وليس هو فى عَقِب هذه —

وإن دعا الجارُ لَبَّوْا عند دَعْوَته * فى النائبـات بإسْراج وإلْجَام

مُسْتَلْئِمين لهم عِنْدَ الوَغَى زَجَلٌ * كأنَّ أسـيافهم أُغْرِين بالهام

[حديث بعض العلماء مع راهب من حكماء الرهبان]

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدثنا أبو مسلم قتيبة عن المدائنى قال : لقى عالم من العلماء راهبا من الرُّهْبان، فقال له : ياراهب، كيف تَرَى الدهر؟ قال : يُخْلِق الأبدان، ويُجَدِّد الآمال ، ويُباعِد الأُمْنِيَّة ، ويُقَرِّب المَنِيَّة، قال : فما حالُ أهله؟ قال : من ظَفِر به نَصِب، ومن فاته تَعِب؛ قال : فما الغنى عنه؟ قال : قَطْعُ الرجاء منه، قال : فأىّ الأصحاب أبرّ وأوفى؟ قال : العملُ الصالح. قال : فأيهم أضرّ وأبلى؟ قال : النفس والهوى . قال : فأين المَخْرَج؟ قال : فى سُلوك المَنْهَج؛ قال : وفيمَ ذاك؟ قال : فى خَلْع الراحات وبَذْل المَجْهُود .

* * *

وحدّثنا عبد الأول قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا أبو عوانة قال حدّثنا أبو بَلْج عن عمرو ابن ميمون قال : سمع عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه غلاما يدعو و يقول : اللهم إنك تحول بين المرء وقلبه، فحُلْ بينى و بين خطاياى فلا أعمل بشىء منها، فَسُرَّ عمر بقوله ودعا له بخير .

[مطلب ما وقع لجرير فى وفادته مع محمد بن الحجاج إلى عبد الملك بن مروان]

وحدّثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان قال أخبرنا عُمَارة بن عُقَيْل بن بلال بن جَرير ابن عَطِيَّة بن الخَطَفَى قال : كان جرير عند الحجاج بالعراق، وكان آمَنَه بعد ما أخافه أشَدّ الخوف ، فَقَدِم الحجاج البصرة، وجرير والفرزدق يَتَسابّانِ سبع سنين قبل قدومه، وجرير مقيم بالبصرة، وكان قبل ذلك مقيما بالبادية، فكتب اليه بنو يَرْبوع : أنت مقيم بالبادية وليس أحد يَرْوى عنك، والفرزدق قد مَلأ عليك العراق فانْحَدِرْ إلى جماعة الناس فَأَشِدْ بالرَّجُل كما يُشِيد بك، فانحدر وأقام بالبصرة، فلذلك يقول :

وإذا شَهِدْتُ لثَغْرِ قومى مَشْهَدا * آثَرْتُ ذاك على بَنِىَّ ومالى

فأَوْجَهَهُ الحجاجُ وملأ بمدحه الأرضَ، وبَلَغَ أهلَ الشام وأميرَ المؤمنين و رواه الناس . ثم إن الحجاج أوفده مع ابنه محمد عاشِرَ عَشَرة من أهل العراق بعد ما أجازه بعَشَرةٍ من الرقيق وأموال كثيرة، قال : فَقَدِمْنا على عبد الملك، فخطب بين يديه، ثم أجلسه على سريره عند رجليه ، ثم دَعَا بالوَفْد منا رجلا رجلا وكُلُّنا له خطبة، فجعل كُلَّما خَطَب رجل قطع خطبته، وتكلم جرير فقَطَع خطبته، ثم قال : من

هذا يامحمد؟ فقال: هذا ياأمير المؤمنين آبن الخَطَفَى، قال: مادِحُ الحجاج؟ قلت: ومادحُك ياأمير المؤمنين فأَذَنْ لى أنشدك، فقال: هات ما قلت فى الحجاج، فاندفعت فى قولى:

صَبَرْتَ النفسَ يابن أبى عُقَيْل * مُحافظةً فكيف تَرَى الثوابا
ولو لم يَرْضَ رَبُّك لم يُنَزِّل * مع النصر الملائكةَ الغِضَابا
إذا سَعَرَ الخليفةُ نارَ حَرْبٍ * رأى الحجاجَ أَثْقَبها شِهابا

فقال: صدقت، وورائى الأخطل جالسا ولا أراه، ثم قال: هات بالحجاج، فأنشدته:

طَرِبْتَ لعهدٍ هَيَّجَتْه المنازل * وكيف تَصَابِى المرء والشَّيْبُ شامل

فما فَرَغْت منها حتى خَيَّلْت فى وجه أمير المؤمنين الغضب، وقال: هات بالحجاج، فأنشدته:

هاجَ الهوى لفؤادك المُهْتاج * فانْظُرْ بتُوضِحَ باكِرَ الأحداج

حتى أتيت على قولى:

منْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليهم * أَمْ مَنْ يَصُول كصولة الحجاج
أم من يَغَار على النساء حَفِيظةً * إذ لا يَثِقْنَ بغَيْرة الأزواج

فتكلم الأخطل وقال: أين أمير المؤمنين يابن المَرَاغة! فعلمت أنه الأخطل، فَذَبَبْتُ حِيَالَ وجهى بكُمِّى وقلت: اخْسَأ، ومضيت حتى أنشدته كلَّها، فقال الخليفة: اجلس، فجلست، ثم قال: قم ياأخطل، هاتِ مديح أمير المؤمنين، فقام حيالى فأنشد أشعرَ الناس وأمدحَ الناس، فقال له الخليفة: أنت شاعرنا ومادحنا، اركَبْه. فرَمَى بردائه وألقى قميصه على منكبه ووضع يده على عنق، فقلت: ياأمير المؤمنين، إن النصرانى الكافر لا يعلو ولا يَظْهَر على المسلم ولا يركبه، فقال أهل المجلس: صَدَقَ ياأمير المؤمنين، فقال: دعه، وانْتَقَضَ المجلس وخرجنا، فدخل الوَفْدُ عليه ثمانية أيام مع محمد كُلَّهن أَحْجَب فلا أدخل عليه، ثم دخلوا فى التاسع وأخذوا جوائزهم وتَهَيَّأوا فى العاشر للدخول والتوديع للرحيل، فقال محمد: يا أبا حَزْرَةَ، ما لى لا أراك تتجهز؟ قلت: وكيف وأمير المؤمنين علىَّ ساخط! ما أنا ببارح أو يَرْضَى عنى، فلما دخل عليه محمد ليودّعه، قال: يا أمير المؤمنين، إن آبن الخَطفى ما دحك وشاعرُك ومادحُ الحجّاج سَيْفِك وأمينك، وقد لَزِمَتْنا له صحبةٌ وذِمامٌ، فإن رأيت أن تأذن له! فإنه أَبَى أن يخرج معنا وأنت غضبان، وآلى أنه لايخرج أو ترضى عنه، فَيَدْخُل ويُوَدِّعُك، فأذن لى، فدخلت

عليه ودعوت له، فقال : إنما أنت للحجاج، قلت : ولك يا أمير المؤمنين، ثم آستأذنته فى الإنشاد، فسكت ولم يأذن لى، فاندفعت فقلت :

* أتَصْحُو أم فؤادُك غير صاح *

فقال : بل فـــؤادك

* عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُك بالرواح *

حتى فرغت منها وعلمت أنى إن خرجت بغير جائزة كان إسقاطى آخرَ الدهر؛ فلما بلغت الى شَكْوَى أم حَزْرَةَ قلت فى أثر ذلك :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ من رَكِبَ المَطَايا * وأَنْدَى العالَمِين بُطُونَ راح

فجعل يقول : نحن كذلك، ثم قال : رُدَّها علىَّ، فرددتها فطَرِب لذلك، وقال : وَيْحَك ! أَتَرَاها تُرْوِيها مائة من الإبل ؟ قلت : نعم إن كانت من نَعَمِ كَلْب، وقد كنت رأيت خَمْسَمائة من نَعَم كلب مُخَصَّفةً ذُرَاها ثُنْيانا وجُذْعانا، فقال : أخرجوا له مائة من النعم التى جاءت من عند كلب ولا تُرْذِلوها، فشكَرْتُ له وشَكَرَ له أصحابى ومن شَهِدنى من العرب، ثم قلت : يا أمير المؤمنين، إنما نحن أشياخ من أهل العراق وليس فى واحد منا فَضْلٌ عن راحلته، قال : أفتجعل لك أثمانها؟ قلت : لا، ولكن الرِّعاء يا أمير المؤمنين، فنظر جَنَبَتَيْه ثم قال لجلسائه : كم يَجْزِى مائةٌ من الإبل؟ قالوا : ثمانية ياأمير المؤمنين، فأمر لى بثمانية أعبد : أربعة صَقَالِبة، وأربعة نُوبِيَّة، وإذا قد أُهْدِى إليه بعضُ الدَّهاقين ثلاثَ صِحاف فضة وهنّ بين يديه يَقْرَعُهنّ بالخَيْزُرانة، فقلت : المِحْلَب يا أمير المؤمنين. فَنَدَسَ[1] إلىّ منهن واحدة وقال : خذها لا نَفَعَتْك ! قلت : بلى، كلُّ ما أخذته منك ينفعنى إن شاء الله، وآنصرفنا وودَّعناه. وكتب محمد الى أبيه بالحديث كُلِّه، فلما قَدِمْنا على الحجاج قال لى : أما والله لولا أن يبلغ أميرَ المؤمنين فَيَجِدَ علَىَّ لأعطيتُك مثلَها، ولكن هـذه خمسون راحلةً وأحمالُها حِنْطة تأتى بها أهلَك فتميرهم، فقبضتها وآنصرفت.

* * *

قال وحدّثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنى بعض أشياخ البصريين قال حدّثنى أبو مَنْجُوف قال : حَضَرْتُ وفاةَ الرَّقَاشى ودخل عليه الطبيب وجَسَّ عِرْقَه، فلما آنصرف آتبعته فأيأسنى منه، فكأنَّ الرقاشىَّ أَحَسَّ بذلك، فلما رآنى قال :

(١) ندس الى منهن واحدة : قذفنى بها.

سألتُـك بالمَـوَدّة والحِـوار * وقُرْب الدار من قُرْب المَـزار
بمـا ناجاك اذ وَلَّى سـعيدٌ * فقد أَوْجَسْتُ من ذاك السِّرار

* * *

وأنشدنا الحسن بن خضر قال أنشدنا أبو هلال :

هـذا الزمان الذى كُنَّا نُخَـبِّرُه * فيما يُحَـدِّثُ كَعْبٌ وابْن مسـعود
إن دام ذا العيش لم نَحْزَن على أحدٍ * ممن يموت ولم نَفْـرَحْ بمولود

قال وحدّثنا قال أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت إيادُ تَرِدُ المياهَ فيُرَى منهم مائتا شابٍّ على مائتى فرس بِشَيَةٍ واحدة، وكانوا أَعَدَّ العرب، وإنهم آستفلُّوا بعشرين ألف غلام أَغْرَل، فأَوْغَلُوا حتى وقعوا ببـلاد الروم ، فأُسِر رجل منهـم فأردفه آسرُه خلفه وهو يظنـه روميا فسمعه يقول :

تَرَى بين الأثيل وقَيْدِ مَجْرَى * فَوارِسَ من نُمَـارةَ غَيْرَ مِيل
ولا جَزِعِين إنْ ضَرَّاءُ نابت * ولا فَرِحين بالخـير القليـل

فأراد الرومى أن يَشُدَّ وَثاقه، فاخْتَرَط العربى سَيْفَ الرومى فقتله به وركب فَرَسه ولَحِق بأصحابه. والله أعلم .

* * *

وأنشـدنا العُكْلى قال أنشـدنى أبو عامر الفُقَيْمى لأبى عطاء السندى، يقوله فى المُثَنَّى بن يزيد آبن عُمَر بن هُبَيرة

أَمَّا أبُوك فَعَـيْن الجُود نَعْرِفُه * وأنت أَشْـبَهُ خَلْقِ الله بالجود
لولا أبوك ولولا قبـلَه عُمَـرٌ * ألقت اليـك مَعَـدٌّ بالمقاليـد
لا يَنْبُت العُود إلا فى أُرُومَتِه * ولا يكون الجَنَى إلا من العُود

* * *

قال وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه لعبد من عبيد بنى عامر بن ذُهْل :

أيا حُبَّ لَيْـلَى داخـلًا مُتَوَلِّجـا * شُعوبَ الحَشَا هـذا عَلَىَّ شَـدِيد

ويا حُبَّ لَيْلَى عافِنِي مِنْك مرَّةً * وكيف تُعافِينِي وأنت تزيد
ويا حُبَّ لَيْلَى أَعْطِنِي الحكم واحتكمْ * عَلَيَّ فما يُبْغَى علىَّ شهيد

قال وأنشدنا أيضا عبد الرحمن عن عمه :

أليس الله يعلم أن قلبي * يُحِبُّ الفِتية المُتَبَرْقِعينا
هُمُ الفِتيان إلا أنَّ فيهم * دَمالِيجًا وأنَّ لهم بُرِينا

[مطلب حديث ابن عبدل الأسدى مع معروف بن بشر]

قال وحدّثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو عثمان عن التوزى قال : صَحِبَ ابن عَبْدَلٍ الأسدى معروف ابنَ بِشْرٍ حِينًا، فأبطأ عنه بِصلته فتَغَيَّب عنه أياما ثم أتاه، فقال : أين كنت؟ قال : أصلح الله الأمير، خَطَبْتُ بنتَ عَمٍّ لى فأرسَلَتْ إلىَّ : أنّ لى أَشاوِىَ(١) على الناس ودُيونا، فانْطَلِقْ فاجْمَعْ ذلك ثم ائتنى أفعل، ففعلت، فلما أتيتها بحاجتها كتبتْ الى تُؤَيِّسنى وتقول :

سَيُخْطِئُك الذى أَمَّلْتَ مِنِّى * اذا انْتَقَضَتْ عليك قُوَى حِبالى
كما أخطاك مَعْرُوف ابن بشر * وكنتَ تَعُدُّه لك رَأْسَ مال
فلا واللهِ لو كَرِهَتْ شِمالى * يَمِينى ما وَصَلْتُ بها شمالى

فضحك ابن بشر وقال : ما ألطف ما سألتَ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

[الجماز وأبو جزء الباهلىّ]

قال وأخبرنا أبو عثمان قال : كان الجَمَّاز منقطعا الى أبى جَزْءٍ الباهلى، فتَنَسَّك أبو جزء وقال للجماز: لا أحب أن تخالطنى إلا أن تَتَنَسَّك، فأظهر الجَمَّاز النُّسْك وأنشأ يقول :

قد جفانى الأميرُ حِينَ تَقَرَّا(٢) * فتَقَرَّيْتُ مُكْرَهًا لِجَفائه
والذى أَنْطَوِى عليه المعاصى * عَلِمَ اللهُ نِيَّتِى مِنْ سمائه
ما قِراءُ لُمْكْرَهٍ بِقِراءٍ * قد رواه الأميرُ عن فقهائه

(١) أشاوى : جمع شىء . (٢) تقرا مسهل تقرأ بمعنى تنسّك .

✦ ✦ ✦

قال وحدّثنا قال حدّثنا السكن بن سعيد قال : كان أبو نُوَاس سأل هشاما : ما أنسابُ مَذْحِج ؟ فأبطأ عليه، فكتب إليه :

أبا مُنْذِرٍ ما بالُ أنسابِ مَذْحج * مُرَجَّمَةً دُونى وأنتَ صديق
فإن تَأْتِنِي يأتكْ ثنائى ومِدْحتى * وإن تَأْبَ لا يُسْدَدْ عَلَىَّ طريق

فبعث بها إليه .

[مطلب ما وقع لبعض الشعراء من تزوجه أربع نسوة وقد سمع الحجاج يرغب فى ذلك]

قال وحدّثنا السكن بن سعيد الجرموزى عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال: قال الحجاج يوما وعنده أصحابه : أَمَا إنه لا يجتمع لرجل لَذَّةٌ حتى تجتمع أربع حرائر فى منزله يتزوجهنّ، فسمع ذلك شاعر من أصحابه يقال له الضحاك، فَعَمَد الى كل ما يملك فباعه وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه واحدة منهنّ، فأقبل الى الحجاج فقال: سمعتك — أصلحك الله — تقول: لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوّج أربع حرائر، فعمدت الى قليلى وكثيرى فبعته وتزوّجت أربعا فلم توافقنى واحدة منهنّ : أما واحدةٌ منهنّ فلا تَعْرِف الله ولا تصلّى ولا تصوم، والثانية حَمْقاء لا تُمالك، والثالثة مُذَكَّرة مُتَبَرِّجة، والرابعة وَرْهاءُ[1] لا تَعْرِف ضَرَّها من نفعها، وقد قلت فيهنّ شعرا . قال : هات ما قلت لله أبوك ! فقال :

تَزَوَّجْتُ أَبْغِى قُرَّةَ العَيْن أربعا * فيا ليتنى والله لم أتزوَّج
ويا ليتنى أعْمَى أَصَمُّ ولم أكن * تزوجت بل يا ليتنى كنت مُخْدَج[2]
فواحدة لا تَعْرِف الله رَبَّها * ولم تدر ما التقوى ولا ما التَّحَرُّج
وثانية حَمْقاء تَزْنِى مَخَانة * تُوائِبُ مَنْ مَرَّت به لا تُعَرِّج
وثالثة ما إن تُوَارى بثوبها * مُذَكَّرة مشهورة بالتَّبَرُّج
ورابعة وَرْهاء فى كل أمرها * مُفَرَّكة[3] هَوْجاء من نسل أَهْوَج
فهُنَّ طلاقٌ كلهن بَوَائِنٌ * ثلاثا بَتَاتا فاشهدوا لا أُحَلِّج

فضحك الحجاج وقال : وَيْلَك ! كم مَهْرَتُهُنَّ ؟ قال : أربعة آلاف أيها الأمير، فأمر له باثنى عشر ألف درهم .

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) كذا فى الأصل وفيه مع الأبيات بعده الإقواء، وهو اختلاف حركة الروى فى الإعراب . والمخدج : ناقص الخلق . (٣) المفركة : المرأة التى يبغضها الرجال .

* * *

قال وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يَعْذُل صاحباً له فى الشراب فقال له :

فإنَّك لو شَرِبْتَ الخمرَ حتى * يَظَلَّ لكل أَنْمُلة دَبِيبُ
إذا لَعَذَرْتنى وعَلِمْتَ أنى * بما أتلفت من مالى مُصيب

* * *

قال أبو بكر رحمه الله تعالى وأنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

تقول سُلَيْمَى سار أهلُكَ فَارْتَحِلْ * فقلتُ وهل تَدْرِين وَيْحَكِ مَنْ أهلى
وهل لىَ أَهْلٌ غير ظَهْرِ مَطِيَّتى * أَرُوح وأغدو ما يفارقها رَحْلى

[ما قاله عمر بن الخطاب لأبى الزوائد وقد أبى أن يتزوج]

قال أبو على وقرئ على أبى الحسن على بن سليمان الأخفش وأنا أسمع، وذكر أنه قرأ جميع ما جاء عن أبى مُحَلِّم عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رحمه الله تعالى، فذكر أنه سمع ذلك مع أبيه من أبى محلم، قال أبو محلم أخبرنى سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال لى طاووس : لَتَتَزَوَّجَنَّ أو لأقولنَّ لك ما قال عمر لأبى الزوائد، قلت له : ما قال؟ قال قال له : ما يمنعك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فجور . أبو الزوائد هذا من أهل مكة .

[ما روى عن ابن عباس فى الحث على التزوج]

قال وقال لى أبو محلم حدثنى جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألك امرأة؟ قال قلت : لا، قال : فَتَزَوَّجْ، فإن خير هذه الأمة من كان أكثرها نساء .

* * *

وأنشدنا أبو محلم لِخِنْوَص أحد بنى سعد هذين البيتين :

ألا عائذٌ بالله من سَرَفِ الغِنَى * ومِنْ رَغْبة يوما الى غير مَرْغَبْ
ومن لا يُرِحْ إلا سَوَامًا لغيره * وإن كان ذا قُرْبَى من الناس يُعْزِب

السَّوَام : المال، يقال : أراحَ فلان إذا كان له مال، وأعْزَب إذا لم يكن له مال .

وأنشد :

إذا حَدَّثَتْكَ النفسُ أنك قادر * على ما حَوَتْ أيدى الرجال فكَذِّب
فإن أنت لم تفعل ومَالَ بك الهوى * الى بعض ما مَنَّتْكَ يوما فَجَرِّب
فإن تك ذا لُبٍّ يَزِدْكَ صَلابةً * على المال مَحْجِّى ذو العطاءِ المُثَرِّب

مَحْجِّى أى مُمْسكا . يقال : حَجَا الرجلُ مالَه إذا أَمْسكه . قال أبو محلم : وذكر أعرابى امرأته فقال : ما تَحْجُو دوننا شيئا أى ما تُمْسك، وأنشد للفرزدق :

وذلك خَيْرٌ من عَطَاء مُثَرِّبٍ * مَنُونٍ ومن شَبْعَان تُحْجَى دَرَاهِمُهْ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من شَرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه ولا تُثَرِّبوا " أى لا تُعَيِّروا، ومنه قول الله عزّ وجلّ : (لا تَثْرِيبَ عليكم اليوم) أى لا لوم ولا تأنيب.

وأنشدنا أبو محلم :

سألتُهُمُ الجزيلَ فليس فيهم * بَخِيلٌ بالعطاء ولا مَنُونُ

* * *

وأنشدنا قال أنشدنا أبو العباس المبرد قال أنشدنى ابن المُصَفّى :

رُبَّ بَيْت رَأَيْتُ قد زَيَّنُوه * لم يَزَلْ أسرعَ البيوت خَرابا
فيه غَضُّ الشَّبَاب قد مَتَّعُوه * بمَتَاع وألبسوه ثيابا

وأنشدنا لعبد الله بن طاهر :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مُسْلَمٍ للنَّوائب * أطافت به الأحزانُ من كل جانب
يُخَبِّر يوم البَيْن أنَّ اعتزامه * على الصَّبْر من إحدى الظُّنُون الكَوَاذب

وأنشدنا لعبيد الله بن عبد الله :

وانِّى لأُعْطِى كلَّ أمر بقِسْطه * إذا الخَطْبُ عن حَزْم الرَّوِيَّة أَجْهَضا
فأَسْتَعْتِب الأحبابَ والحَدُّ ضارعٌ * وأَسْتَعْتِب الأعداء والسَّيْفُ مُنْتَضَى

قال أبو على وأنشدنا حجظة فى أبى بكر بن دريد رحمه الله تعالى عليه :

فَقَدْتُ بابن دُرَيْد كلَّ فائدة * لمَّا غدا ثالثَ الأحجار والتُّرَب
وكنتُ أبكى لفقد الجود مجتهدا * فَصِرْتُ أبكى لفقد الجود والأدب

قال وحدثنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو محلم للخارق بن شهاب أحد بنى خُزَاعىّ بن مالك بن عمرو ابن تميم :

كم شامتٍ بى إنْ هَلَكْتُ وقائلٍ * لا يَبْعَدَنَّ مُخارِق بنُ شهاب
المشترى حُسْنَ الثناء بماله * والمالئ الجَفَنات للأصحاب
مَأْوَى الأرامل والضَّرِيك اذا آشتكى * وثمال كلّ مُعَيِّل قِرْضاب
وأخى إخاء قد غدا مُتقلِّدا * سيفا وراحلتى له وثيابى

الضَّرِيك : الفقير . والقِرْضاب : الذى لاشىء له ، هكذا قال أبو محلم .

قال أبو على : وأنا أقول القِرْضَاب والقُرْضُوب أيضا : اللِّصّ .

* * *

قال وأنشدنا أبو محلم لأبى حَزْرة — يعنى جريرا — فى آبنه :

إن بلالا لم تَزِنْهُ أُمُّهُ * لم يَتَنَاسَبْ خالُه وعَمُّهُ
يَشْفى الصُّداعَ ريحُه وشَمُّه * كأن ريح المِسْك مُسْتَحَمُّهُ
ويُذْهِبُ الغَلِيلَ عنّى ضَمُّه * يقضى الأمورَ وهْوَ سالِمٌ هَمُّهُ
* فآلُه آلِى وسَمِّى سَمُّهُ *

آلُ الرجل : شخصُه . وسَمُّهُ : خَلِيقَتُه .

[مبحث أيمان العرب]

قال أبو على : ومن أَيْمان العرب ما حدثنا به أبو الحسن على بن سليمان الأخفش عن أبى العباس أحمد بن يحيى قال تقول العرب : «لا وقائتِ نَفَسى القَصير» القائتُ : من القُوت يعطيه قليلا قليلا . وتقول : «لا والذى لا أتَّقيه الا بمَقْلَتَةٍ» أى الموت فى عنق ، فكل شىء حَتْفٌ ، من القَلَت أى الموت .

قال أبو على : وقرأت فى نوادر آبن الأعرابىّ على أبى عمر : «لا والذى لا أتَّقيه إلا بمَقْتَله» أى كل شىء منى مَقْتَلٌ ، من حيث شاء قَتَلنى .

قال : ومن أيمانهم : «لا ومُقَطِّع القَطْر» . «لا وفالِق الإصباح» . «لا ومُهِبِّ الرياح» . «لا ومُنْشِر الأرواح» . «لا والذى مَسَحْتُ أَيْمَنَ كعبته» . «لا والذى جَلَّد الإبلَ جُلودَها» . «لا والذى شَقَّ الجبالَ

للسَّيْل والرجالَ للخيل» . «لا والذى شَقَّهُن خمسا من واحدة» يعنون الأصابع . «لا والذى وَجْهى زَمَمَ بَيْته» والزَّمَمُ : المُقابَلة . «لا والذى هو أقربُ الىَّ من حَبْل الوَريد» . «لا والذى يَقُوتُنى نَفَسى» . «لا وبارئ الخَلْق» . «لا والذى يَرَانى من حيث ما نَظَر» . «لا والذى نادَى الحَجيجُ له» . «لا والذى رَقَصْنَ ببَطْحائه» . «لا والرَّاقِصات ببطن جَمْع» . «لا والذى أَمُدُّ إليه بِيَدٍ قصيرة» . «لا والذى يرانى ولا أراه» . «لا والذى كُلُّ الشُّعوب تَدِينُه» .

قال وقال أبو زيد : العُقَيْلِيُّون يقولون : «حَرَامُ الله لا آتيك» كقولك : «يَمِينُ الله لا آتيك» . وجَيْرِ : يمِنٌ خُفِضَت للياء . وعوْضُ : يمين رُفِعَتْ للواو التى فيها .

وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو محلم :

ألا لَيْتَ شِعرى عن عُوارِضَتَىْ قَنًا * لِطُول الليالى هل تَغَيَّرَتا بعدى (١)

وعن جارَتَيْنا بالبَتِيل أدَامَتا * على عهدنا أم لم تَدُوما على العهد

وعن عُلَوِيَّات الرِّياح إذا جَرَتْ * بِرِيح الخُزَامى هل تَهُبُّ على نَجْد

البَتِيل : موضع . قال ويقال : عُلْوى وعَلْوى . قال وقال أبو محلم يقال : زِينَةٌ وزِينٌ ، وأنشد للقُلَاخ بن حَزْن بن جَنَاب السعدى :

* وزَانه الشَّحْم وللشَّحْم زِين *

وأنشد أيضا لزَبَّان بن سَيَّار الفزارى يَتَفَجَّع على قومه :

لئن جُعْت بالقرباءِ منِّى * لقد مُتِّعْتُ بالأمل البعيد

وما تَبْغى المَنِيَّة حين تأتى * على أدنى الأحِبَّة من مَزِيد

خُلِقْنَا أنْفُسا وبنِى نُفُوس * ولَسْنَا بالسِّلَام ولا الحَدِيد

قال أبو محلم : ومن كلامهم : «كان ذاك والسِّلَامُ رِطَابٌ» وهو مثل . وأنشد لرؤبة بن العَجَّاج .

والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِين الوَحْل *

قال وقال أبو محلم يقال : نَدَسَهُ بالرمح إذا طعنه ، وتَنَدَّس فلان الأخبار اذا استخبر عنها .

(١) الشعر لمجنون ليلى كما فى ياقوت .

* * *

وأنشد للحارث بن ضَبٍّ يهجو حبيب بن المُهَلَّب بن أبى صُفْرة الأزدىّ .

أَوْصَتْ صَفيَّةُ نسلَها بوصيَّة * مَرْعِيَّةٍ خُتِمَتْ بأَيْر الكاتب
أن لا تَدُومَ لهم كرامةُ مُكْرِم * فيهم وأن يَنْبُوا بحَقّ الصاحب
ويذكر مُرَّ الفَقْرِ عِنْدَ غِناهُمُ * والشُّحَّ عندَ حضور حَقٍّ واجب
والبُخْل بالمعروف والصِّلَة التى * أَوْصَى الاله بها لِحَقِّ الراغب
فأَرَى آبنها حَفِظَ الوصيَّة كلَّها * وآزداد لُؤْمَ طَبائع وضَرائب
يُدْعَى الحَرُونَ عن المكارم كلها * والى المَلائم فَهْو أَوَّلُ واثب
ولقد أتانى وازِعٌ بمقالة * عنه تَقَوَّلها وليس بكاذب
أن لست خاتمها ولَسْتُ بلَيِّن * ماعِشْتُ للجار المُخَاشِن جانبى
لاتختمنّ صحيفة من بعدها * ألا بِبَظْرِ غَزَالَةَ المُتَشاغِب
فلقد رأيت أباك ماضِىَ عُمْره * فى الصِّهْر ليس عن اللئام براغب

[مطلب ماوقع بين غالب بن صعصعة أبى الفرزدق وسحيم بن وثيل الرياحى من المعاقرة يوم صوأر]

قال أبو على وقرأنا على أبى الحسن قال قال أبو محلم حدثنى جماعة من بنى تميم عن آبائهم عن أجدادهم قالوا : أَسْنَتَ بنو تميم زَمَنَ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فانتجعوا أرضا من أرض كلب من طرف السَّماوة يقال لها صَوْأَر ، من الكوفة على عَقَبَة أو مآبة وهو يوم عَطَوَّد(١) طويل ، فَصَنَع غالبُ بن صَعْصعة وهو أبو الفرزدق طعاما ونَحَر نحائر وجَفَّن جِفَانا وجعل يقسمها على أهل المزايا ، وهم أهل القَدْر ، فأتت جَفْنة منها سُحَيمَ بنَ وَثِيل الرياحى الشاعر ، فكفأها وضرب الخادم التى أتته بها ، وآحتفظ(٢) غالب من ذلك فعاتب سحيما ، فسرى القول بينهما حتى تداعيا الى المُعاقَرة ، وكان سحيم

(١) فى هامش بعض نسخ الأمالى شاهدا على قوله عطود مانصه : قلت قال الراجز :

أَتَمَّ أُدِيم يومَها العطودا * مثل سرى ليلتها أوأبعدا

وقال آخر .

لقد لقينا سفرا عطودا * يترك ذا اللون النضير أسودا

وواو عطود زائدة ، فوزنه فعوّل اهـ (٢) يقال : أحفظه فآحتفظ أى أغضبه فغضب .

رجلا فيه شِنْغِيرَةٌ[1] وأذى للناس، وكان الناس شَآ فى القلوب عليه — أى وُغَرَاء الصدور عليه — وكانت إبله خَوَامِسَ قد أُغِبَّت خمسا لم تَرِدْ، فوردت عليه إبل غالب، فطَفِق غالب يَعْقِرها، وطافت الوُغْدان والفتيان بالإبل فجعلت تَحُوزُها من أطرافها اليه، ومع الفرزدق هِرَاوة يَرُدُّها على أبيه، فيقول غالب: رُدَّ أَىْ بُنَىَّ، فيقول الفرزدق: اعْقِرْ أَبَتِ، حتى نَحَر سائرها وكانت مائتين، فقال طارق ابن دَيْسَق بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يَرْبُوع: — وكان يهاجى سحيما —

أَبْلِغْ سُحَيْمًا إن عَرَضْتَ وحَجْدَرًا * أن المَخَازى لاينام قُرَادُها
أقَدَحْتُمَا حتى إذا أَوْرَيْتُمَا * للحرب نارَكما خَبا إيقادُها
لو كان شاهِدَنا الجَمِيلُ ومالكٌ * لَحَبَتْ لِقاحٌ وُلَّهٌ أولادُها
أَطرَدْتَها نِيبًا تَحِنُّ إفالُها * من أن يكون لسيفه إيرادُها

وقال جرير للفرزدق حين هاجاه:

وأَلْفَيْتُ خيرا من أبيك فوارسا * وأَكْرَمَ أياما سُحَيْمًا وحَجْدَرا
هم تركوا عَمْرًا وقَيْسا كلاهما * يَمُجُّ نَجِيعا من دم الجوف أحمرا

وقال المحل بن كعب أخو بنى قَطَن بن نَهْشَل:

وقد سَرَّنِى أن لاتَعُدُّ مُجاشِعٌ * من المَجْد إلا عَقْرَ نِيبٍ بِصَوْأَرَ

وقال جرير للفرزدق يهاجيه أيضا:

فَنُورِد يوم الرَّوْع خَيْلًا مُغِيرة * وتُورِدُ نابًا تَحْمِل الكِير صَوْأَرَا
شَقِيت بأيام الفِجَار فلم تَجِدْ * لقومك إلا عَقْرَ نِيبِك مَفْخَرَا

وقال طارق بن دَيْسَق يُعَيِّر سُحَيما:

لَعَمْرِى وما عَمْرِى عَلَىَّ بِهَيِّنٍ * لقد ساء ما جَازَيْتَ يابن وَثِيل
مَدَدْتَ بذى باعٍ عن المَجْدِ جَيْدَرٍ * وسَيْفٍ عن الكُومِ الخِيَار كَلِيل

(١) الشنغيرة ومثلها الشنغرة: سوء الخلق والفحش والبذاءة.

وقال ذو الخِرَق الطُّهَوِىّ[1] يتعصَّب لغالب لأنه من بنى مالك بن حنظلة :

أبلِغ[2] رِيَاحًا على نَأْيِها * ورَهْطَ المُحِلِّ شُفَاةَ الكَلَبْ
فلا تَبْعَثُوا منكم فارطا * عَظِيمَ الرِّشاء كبيرَ الغَرَبْ[3]
يُعارِضُ بالدَّلْوِ فَيْضَ الفُرات * تَصُكُّ أَوَاذِيُّه[4] بالخَشَبْ
فما كان ذَنْبُ بَنِى مالكٍ * بأن سُبَّ منهم غلامٌ فَسَبْ
عَرَاقِيبَ كُومٍ طِوالِ الذُّرَى * تَخِرُّ بَوائِكُها[5] للرُّكَب

قال أبو على : وأنشدنى أبو بكر بن دريد :

بأبْيَضَ يَهْتَزُّ فى كَفِّه * يَقُطُّ العِظَامَ ويَبْرِى العَصَبْ
بأبيضَ ذِى شُطَبٍ[6] باترٍ * يقطّ الجُسُومَ ويَفْرِى الرُّكَبْ
تَسَامَى قُرُومِ بنى مالك * فَسَامَى بهم غالبٌ إذ غَلَبْ
فأَبْقَى سُحَيْمٌ على ماله * وهابَ السؤالَ وخافَ الحَرَبْ

قال : فأقبلت إبل سحيم حتى وردت عليه ، فأوردها كُنَاسَةَ[7] الكوفة ، وجعل يَعْقِرُها وهو يقول :

كيف تَرَى جُحَيْدِرًا يَرْعاها * بالسيف يُخْلِيها اذا اسْتَخْلاها
* يَنْتَثِرُ الخَزِيزَ من ذُرَاها *

فلم ينفعه عَقْرُه إياها وقد سَبَقَه غالب بالعقر . قال : وأخبرنى عبيد الله بن موسى قال : أخبرنى رِبْعِىُّ بن عبد الله بن الجارود الهُذَلِىّ عن أبيه قال قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لا تأكلوا منها شيئا فإنها مما أُهِلَّ به لغير الله ، وأمر فَطُرِد الناس عنها . وقال سُحَيم بن وَثِيل فى معاقرته :

لَهَانَ بما يَخْنِى عُفَيْرٌ وجَحْدَر * وذو السيف قد دَنَّى لها كلَّ مُقْرَم
ألا لا أبالى أن تُعَدَّ غرامةً * عَلَىَّ إذا ما حَوْضُكم لم يُهَدَّم
فَسَبَّحْتُ فى الظَّلْماء لَمَّا رأيتُهُمْ * نَجِيًّا وما يُخْفَى عن الله يَعْلَم

(١) هو شِمْر بن هلال بن قُرْط بن جُشَم بن سعد كما فى النقائض (طبع ليدن صفحة ١٠٧٠) . (٢) بالأصل ألا أبلغن ، وهو خطأ ظاهر ، لأن البيت يكون مخزوما بخمسة أحرف والخزم لم يسمع الا بأربعة فقط ، والتصحيح عن كتاب النقائض (طبع ليدن صفحة ١٠٧٠) . (٣) الذى بالنقائض : * قصير الرشاء صغير الغرب * (٤) أواذى : جمع آذىّ وهو الموج . (٥) بوائك : جمع بائكة وهى الناقة السمينة . (٦) شطب السيف : طرائقه التى فى متنه . (٧) كناسة الكوفة : محلة بها عندها أوقع يوسف بن عمر الثقفى زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب .

[مبحث دعاء العرب]

قال أبو العباس: يُدْعَى على الإنسان، فيقال: «ماله آمَ وعامَ»، و«رَمَاه الله بالأَيْمَة والعَيْمة»، أى ماتت آمرأته، يقال: رجل أَيِّمٌ وآمرأة أَيِّم إذا كان بغير آمرأة وكانت بغير رجل، قال أبو الحسن: ولو قال: آمرأة أَيِّمة، يخرجها على آمَتْ لكان جَيِّدا، لأنه يقال: آمَتْ تَئِيم، كما يقال: باعَتْ تَبِيعُ، ومثله كثير. وعام: هَلَكَتْ ماشيتُه حتى يشتهى اللبن. قال ويقال: «مالَهُ حُرِب وحَرِبَ وحَرِب وَذَرِب» حُرِب: ذَهَبَ مالُه، وحَرِبَ هو فى نفسه. وحَرِبت إبِلُه. وذَرِب: وَرِمَ جَسَدُه، والذَّرْبة: وَرْمة تخرج فى عُنُق البعير. وماله شَلَّ عَشْرُه. ويَدِىَ مِنْ يَدِهِ. وأَشَلَّ اللهُ عَشْرَه. وأَبْرَدَ الله مُخَّه أى هَزَلَه. وأَبْرَدَ اللهُ عَبُوقه أى لا كان له لبن حتى يشرب الماء. وقَلَّ خِيسُه أى خَيْره. وعَثَرَ جَدُّه. ورماه الله بغاشية وهى وجع يأخذ على الكبد يُكْوَى منه. ورماه الله بالسُّحَاف، وهو وجع يأخذ بين الكتفين ويَنْفُث صاحبه مثل العصَب. قال أبو على وقال غيره: السُّحَاف السِّلُّ، ورجل مَسْحُوف أى مسلول. ورماه الله بالعَرْفة، وهى قُرْحة تأخذ فى اليد والرِّجل وربما أَشَلَّت. و«رماه الله بالحَبَن والقُدَاد»، وهو داء يأخذه فى بطنه، ومنه طائرة حَبْناء أى فى بطنها عِلَّة. وقَرِع فِناؤه وصَفِر إناؤه، أى أُخِذت إبله فلا يكون له فى فنائه شىء ولا فى إنائه لبن. ويقال: مالَهُ جُدَّت حَلائبُه أى لا كانت له إبل. وإن كان كاذبا فاسْتَرَاح الله رائحتَه أى ذهب الله بها. و«رماه الله بأُفْعَى حارِيةٍ» أى قد رجع سمُّها فيها فأحرقها فهو أشدّ لضَرْبتها. وذَبَلَتْه الذَّبُول أى ثَكِلَتْه أمه، وأنشد:

طعَان الكُمَاة ورَكْضَ الجِيَاد * وقول الحَوَاضِنِ ذِبْلًا ذَبِيلَا

ويروى بالدال غير معجمة وهو أجود، يقال: دَبَلَتْه الدَّبُول بالدال غير معجمة مثل ثَكِلَتْه الثُّكُول أى ثَكِلَتْه أُمُّه. قال ثعلب: وقلت لآبن الأعرابى قلت له ذِبْلا ذَبِيلًا، وقلت لى الآن دِبْلًا دَبِيلًا، فقال: بالدال غير معجمة أجود، قال: والذال يجوز.

* * *

وقال أبو محلم: يروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه كان إذا عَطِش خَمَّر وجهه أى غَطَّاه. ويروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول: "خَمِّرُوا أَسْقِيَتَكم وأَجِيفُوا أبوابكم وآحْذَروا على صبيانكم خَمَة العشَاء" وخَمَة العشاء بفتح الفاء والحاء: ما بين العشاء الأولى والعشاء الآخرة.

وأنشد لبَشير بن النَّكْث[1] الكَلْبيّ :

أَجِدِّى فاشربِى بحياض قـومٍ * عليهـمْ من فَعَالِهـم حَبِير[2]
فإن بنى رِفاعةَ فى مَعَـدٍّ * هم اللَّجَأُ المُؤَمَّـل والنَّصِـير
هم الأخيار مَنْسِكَةً وهَـدْيًا * وفى الهَيْجا كأنَّهـم الصُّقُور
عن الفَحْشاء كُلُّهـمُ غَبِيٌّ * وبالمعـروف كُلُّهم بصـير
خَلائق بعضُهـم فيها كبعض[3] * يَؤُمُّ كبيرَهـم فيهـا الصغير

[جرير والمهاجر بن عبد الله الكلابى]

قال أبو على : قرأت على أبى الحسن قال أبو محلم : كان المهاجرُ بن عبد الله الكِلَابىّ عاملا على اليَمَامة لهشام بن عبد الملك ، وكان قد أَقْطَع جَرِيرا دارًا ، وأمَرَ خمسين رجلا من جُنْد أهل الشام أن يَلْزَموا باب دار جرير ، وأن يكونوا معه فى ركوبه الى باب دار المهاجر إشفاقا عليه من ربيعة ، فاعْتَلَّ جرير فقال يومَ دَخَلُوا عليه :

نفسى الفداء لقوم زَيَّنُـوا حَسَبِى * وإن مَرِضْتُ فهم أهْلى وعُوَّادى
لو حالَ دُونى أبو شِبْلَيْنِ ذو لِبَد * لم يُسْلِمونى لِلَيْثِ الغابة العـادى
إن تَجْـرِ طَيْرٌ بأمر فيـه عافيـةٌ * أو بالفِراق فقـد أحْسَنْتُمُ زادى

[حديث عمر بن الخطاب وأبى بكرة]

قال أبو محلم قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى بَكْرة : إن تُبْتَ قَبِلْتُ شَهَادَتَك لأن القاذف المحدود لا شهادة له ، فقال أبو بكرة : أَشْهَدُ أنَّ المُغيرةَ زانٍ ، فقال عمر : إنَّكَ لَفَاجِرٌ أَبَلُّ ، ومؤمن لا يُفَلُّ . والأَبَلُّ : الذى يَمْضِى على أمره وشأنه لا يرجع عنه . وأنشد :

مُجَـرِّسٌ[4] يَخْلِطُ إفْكًا بجَـدَل * أَبَلُّ إن قيـل اتق الله احْتَفَلْ

---

(١) كذا ضبط فى اللسان مادة « نكث » . (٢) أى أثر بين . (٣) أى يقتدى الصغير بالكبير .
(٤) يقال : رجل مجرِّس : مجرب للامور ، ومجرَّس : أى جربته الأمور وأحكمته .

[عود الى مبحث دعاء العرب]

قال وقال أبو العباس: «مالَهُ غالَتْه غُول». و«شَعَبَتْه شَعُوب». قال الأصمعى: شَعُوب بغير ألف ولام معرفة لا تنصرف لأنها اسم للمَنِيَّة. و «وَلَعَتْه الوَلُوع»، وَلَعَتْه: ذَهَبَتْ به. و «رماه الله بِلَيْلَةٍ لا أُخْتَ لها» أى بليلة موته. و «رماه الله بما يُقَبِّض عَصَبَه» أى بما يجمعه. وقولهم: «قَمْقَمَ اللهُ عَصَبَه» معناه أَيْبَسَ عصبه فاجتمع، وأصل ذلك من القَمْقَام وهو وَسَطُ البحر ومجتمع مائه. وقال أبو عمرو: يقال لما يَبِسَ من البُسْر القِمْقِم. «لا تَرَكَ الله له هارِبًا ولا قارِبًا» أى لا صادرا عن الماء ولا واردا. «شَتَّت اللهُ شَعْبَه» أى أباد الله أهله. «مَسَحَ الله فاهُ» أى مسحه من الخير. «رماه الله بالذُّبْحة» وهى وَجَعٌ يكون فى الحلق يُطَوِّقه. «رماه الله بالطُّسْأة» مهموز وهى داء يأخذ الصبيان. قال أبو على: الذى أحفظه الطُّشَّة، وأبو العباس ثقة حافظ فلا أدرى أَوَقَع الخطأ من الناقل إلينا أم من سهو أبى العباس أو تكون لغة غير الطُّشَّة. «سقاه الله الذَّيْفان» وهو السُّمُّ السريع القتل. وحكى عن الباهلى: «جَعَلَ اللهُ رِزْقَه فَوْتَ فَمِه» أى قريبا منه ويُخْطِئه، أى ينظر إليه قدر ما يَقْرُب من فمه ثم لا يقدر عليه. «رماه الله فى نَيْطِه» وهو الوَتِين أى قَتَله. وقال أبو صاعد: «قَطَعَ الله به السَّبَبَ» أى قَطَعَ سببه الذى به الحياة. «قَطَعَ الله لَهْجَتَه» أى أماته. «قَدَّ الله أَثَرَه» أى أماته. وقال فى أتان له شَرُود: جَعَلَ اللهُ عليها راكبا قَلِيلَ الحِدَاجَة، بَعِيدَ الحاجة. والحِدَاجة: الحِلْس وهو الكِساء الذى يُحْمل على الجَمَل. «عليه العَفَاء» أى مَحْوُ الأَثَر. «رَغْمًا دَغْمًا شِنَّغْمًا»: دعاء وهو إتباع، قال أبو الحسن: رَغْمًا أى أَرْغَمَ اللهُ أَنْفَه، ودَغْمًا: مثله، وشِنَّغْمًا: توكيد. «مالَهُ جُدَّ ثَدْىُ أُمِّه» إذا دعا عليه بألّا يكون له مِثْل. «لا أَهْدَى الله له عافِيَةً» أى من يطلب رِفْدَه وفَضْلَه، أى كان فقيرا. «ثُلَّ عَرْشُه» أى ذَهَبَ عزُّه. «ثَلِلَ ثَلَلُه». و«أَثَلَّ الله ثَلَلَه» أى أذهب الله عزه. «عِيلَ ما عالَهُ»، قال أبو عبيدة: هو فى التمثيل أُهْلِكَ هَلَاكَه، أراد الدعاء عليه فدعا على الفعل، ويقال ذلك فى المدح، أى من قام بأمره فهو فى خَفْض. «حَتَّه الله حَتَّ البَرَمة»، والبَرَمة: ثَمَرُ الأراك. «لا تَبِعَ له ظِلْفٌ ظِلْفًا». «زَالَ زَوَالُه» و «زِيلَ زَوِيله» أى ذَهَب ومات. «سُلَّ» و «شُلَّ» و «غُلَّ» و «أُلَّ»، سُلَّ من السِّلِّ، وغُلَّ من الغُلِّ أى جُنَّ حتى يُشَدَّ، وأُلَّ: طُعِن بالأَلَّة فقُتل، والأَلَّة: الحَرْبة، قال أبو الحسن: المعروف عند جميع العلماء ولا أعلم فيه اختلافا أنه يقال: شَلَّتْ يَدُه وأُشِلَّت، وحكى

ثعلب : شُلَّ، وأظنه جرى على هـذا لمزاوجة الكلام ، لأن قبله سُلَّ وكذلك الذى يليه . وكذلك «لاعُدَّ مِنْ نَفَرِه» أى مات، والنفر : أهل الرجل وأقاربه ممن يَنْفِر معه فى الشدّة والخَطْب الجليل . وقال أبو زيد : «رَمَاه الله بالطُّلَاطِلة» بضم الطاء الأولى، والطُّلَطِلة بضم الطاء أيضا على فُعَلِلة، قال وقال الراجز يذكر دلوا :

فَتَلْتِنى رُمِيتِ بالطُّلَاطِلَهْ * كَأَنَّ فى عَرْقُوَتَيْك بازِلَهْ

وهى الداء العُضَال . «رماه الله بكل داءٍ يُعْرَف وكل داء لايُعْرَف» . «سَحَفَه الله» أى ذَهَب به وأفقره . «لا أَبْقَى الله له سارحا ولا جارحا» ، السارحة : المـاشية، الإبل والبقر والغنم، لأنها تَسْرَحُ فى المرعى، والجارح : الفرس والحمار، ولا يكون البعير جارحا، وإنما قيل للفرس والحمار جارح، لأن الفرس والحمار تَجْرَحُ الأرض بوطئها أى تؤثّر فيها بحوافرها ، والإبل لا أثر لهـا . « رماه الله بالقُصْمُل » ويقال : القُصَيمِل وهو وجع يأخذ الدابة فى ظهرها . ويقال : قَصْمَله أى دَقَّهُ . «بِفِيه الْأَثْلَب» والإِثْلِب والكَنْكَث والكِنْكِث أيضا أى التراب، والدِّقْعِم والحِصْلِب وهو التراب . «بِفِيه الْبَرَى» قال أبوعلى : التراب، قال وأنشد الفراء :

بِفِيكَ مِنْ ساعٍ الى القوم الْبَرَى

« أَلْزَقَ اللهُ به الحَوْبة» أى المَسْكنة، قال . ويقال : «بَرْحًا له وتَرْحًا» إذا تُعُجِّب منه، أى عناء له كما تقول للرجل إذا تكلم فأجاد : «قَطَعَ الله لسانه» . قال وقال أبو مهدى : «بَسْلًا له وأَسْلًا» ، كما تقول للإنسان إذا دعى عليه : «تَعْسًا له ونُكْسًا» . «لَحَاه الله كما يُلْحَى العُود» . أى قَشَره كما يُقْشَر العود إذا أخذ لِحَاؤُه وهو القشر الرقيق الذى يلى العود . «لا تَرَك الله له شُفْرًا ولا ظُفْرا» الشُّفْر : شُفْرُ العَيْن، والشُّفْر : شَفْر المرأة .

وقال أبو على : كذا يقال بالفتح . « رماه الله بالسُّكَات » . «رماه الله بِخُشَاش أَخْشَن ، ذى نابٍ أَحْجَن» يعنى الذئب . «قَرِع مُرَاحُه» أى لا كانت له إبل، قال عُرْوة بن الوَرْد :

إذا آداك مالُكَ فامْتَهِنْهُ * لحادِيه وإن قَرِعَ المُرَاحُ

« لأُمِّه العُبْرُ والعَبَرُ» أى الثُّكْل ، والعُبْرُ البُكاء . «له الوَيْل والأَلِيل» وهو الأنين، قال ابن مَيَّادة :

وقُولَا لها ما تَأْمُرِينَ بعاشقٍ * له بَعْدَ نَوْماتِ العِشاء أَلِيلُ

«مالَهُ ساف مالُه»، وأَسَاف الرجلُ إذا هَلَك مالُه، قال حُمَيد بن ثَوْر :

فما لَهُما من مُرْسَلَيْنِ لحاجةٍ * أَسَافَا من المالِ التِّلاد وأَعْدَما

ويقال فى مَثَلٍ : «أَسَافَ حَتَّى ما يَشْتَكِى السُّوَاف» أى قد أَلِفَ ذلك ودَرِبَ به، يقال ذلك للذى امْتَحَن الدهرَ وجَرَّبه ومَرَّ به خيرُه وشَرُّه . «مالَهُ خابَ كَهْدُه» الكَهْدُ: المِرَاس والجَهْد. «مالَهُ طال عَسْفُه» أى هَوَانُه . «رَمَاه الله بِوَامِئَةٍ» أى ببلاء وشر. «اقْتَشَمَه الله إليه» أى قبضه إليه. و«ابْتَاضَه الله» و«ابْتَاضَهم الله» وابْتَاضَ بنو فلان بنى فلان اذا أَتَوْا عليهم وعلى أموالهم، والبَيْضَة: المعظم، ومنه: هذا البلد بَيْضَة الإسلام أى مُجْتَمَعُه كما تَجْمَع البَيْضةُ التى على الرأس الشَّعَر. «أَبَادَ الله عِتْرَتَه» أى ذهب بأهل بيته . «سَحَقَه الله» . «أَهْلَكَه الله» . «أَبَاد الله غَضْرَاءَه» أى نَضَارته وحُسْنَ دُنْياه، والغَضْراء: الطينة العَلِكة. ويقال للإنسان إذا سَعَل: «عَنَّسَ بِكَدِدٍ» عَنَّس : طال مُكْثُه أى طال مُكْث السُّعال عليه وقَوِىَ، والكَدَدُ والكَدِيدُ: ما صَلُب من الأرض، وقال أبو محمد اليزيدى يقال للإنسان إذا سَعَل: «وَتَدٌ عَسِيرٌ نَكِدٌ» . ويقال: «وَرْيًا وَزِيدَ بَرْيًا»، الوَرْىُ : داء يكون فى الجوف فلا يزال حتى يَقْتُل، وبَرْيا أى يُبْرَى حتى يَذْهَب لحمُه وبدنه . قال ويقال للذى يَسْعُل : «أَشْمَتَ اللهُ عادِيَهُ» و «أشمت عَدُوَّه» . ويقال من الدعاء : «تَرَكَهُ الله حَتًّا بَتًّا فَتًّا لا يَمْلِكُ كَفًّا» . ويقال : «عُبْرٌ وسَبْرٌ» . «أحانَه اللهُ وأَذَاله وأَبَانَه» . «أَبْلَطَه الله»، وإن فلانا لَمُبْلِطٌ أى لا شىء له . «أَلْزَقَه الله بالصَّلَّة» أى بالأرض . واذا أَقْبَلَ الرجلُ وطَلْعَتُه تُكْرَه قيل : « حَدَادِ حُدِّيه » أى مَنَاعِ أَمْنَعِيه ، والحَدُّ : المَنْع . « صَرَافِ اصْرِفِيه» . «جَدَعَهُ الله جَدْعًا مُوعِبا» أى مُسْتَأْصِلا ، يقال : أَوْعَبَ بنو فلان إذا خرجوا من عِنْد آخرهم . «رماه الله بمُهْدِئِ الحركة» . « رماه الله بالْوَاهِنة » وهى وجع يأخذ فى المَنْكِب فلا يقدر الرجل أن يَرْمِىَ حَجَرا. قال وقال الهلالىّ : «ماله وَبَّدَ الله به» أى أبعده، من تَأَبَّدَ إذا تَوَحَّش، قال أبو الحسن : حقّ هذا على ما ذكر أن يكون أَبَّدَ الله به، وإثبات الواو جائز على بُعْد . ويقال للبعير والحمار : «لا حَمَّلَ اللهُ عَلَيْكَ الا الرَّخَم» أى أماتك الله حتى تقع عليك فتأكل لحمك . « رماه الله بالْأَنَّة » أى بالأنين . «أَبْدَى الله شُوَاره» أى مَذَاكِيرَه . و«شَوَّرَ به» : أَبْدَى عورته . «تَرِبَتْ يداه» : افتقر، قال الأصمعى : وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : "عَلَيْكَ بذات الدِّينِ تَرِبَتْ يداك" أراد به الاستحثاث كما تقول :

انْجُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وأنت لا تريد أن يُثْكَل، قال أبو عمرو : أى أصابهما التراب ولم يَدْعُ عليهما بالفقر، ومنه قول عباس بن مِرْداس السُّلَمى رضى الله تعالى عنه :

فَأَيِّى ما وأَيْكَ كان شَرًّا * فَقِيدَ الى المَقَامةِ لا يراها

ويروى : فَسِيقَ . والمَقَامة : المجلس ، أى عَمِىَ فلا يُبْصر حتى يُقاد . «ماله بُنِىَ بَطْنُه» مثل بُنِى أى شُقَّ بطنه، وأنشد لَمُعْقِل بن رَيْحان :

بَأَوْتَهُم وقد حَبِنُوا فَصَحُّوا * وقد يَشْفِى من الداء الطبيبُ

أى عالجتهم حتى انقادوا . «مالَهُ شِيبَ غَبُوقه» أى قَلَّت ماشيته حتى يَقِلَّ لَبَنُه فيخلطه بالماء. «مالَهُ عُرِنَ فى أنفه» أى طُعِن . «مالَهُ مَسَحَهُ الله بَرَصا، وآستَخَفَّهُ رَقَصا»[1] . و «لا تَرَكَ له خُفًّا يَتْبَع خُفًّا» . «عَبَلَتْه العُبُول» وَلَقَدْ عَبَلَتْ فلانا عنا ذابلةٌ أى شَغَلَتْه عنا شاغلة، قال الشاعر :

وما بِىَ ضَعْفَةٌ عن آل وَرْدٍ * ولا عُبِلَتْ يَدَاىَ ولا لسانى

وَرْدُ بن عوف بن ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب . وقال يونس تقول العرب إذا لقى الرجل شرا : «ثَبَتَ لِبْدُه» و «أثبت الله لِبْدَه» يدعون بذلك عليه، أى دام عليه البلاء . ويقال للذى يبكى : «دَمًا لا دَمْعًا» والقوم يُدْعَى عليهم فيقال : «قَطَعَ الله بُذَارتهم» ، والبُذَارة من البَذْر، كأنه أراد النَّسْل . و «أُثِلَّ ثَلَله» أى شُغِل عن بيته . «أَنْعَسَ الله جَدَّه وأَنْكَسَه» . قال وقال أبو مهدى : «ظنة ظانية» ، والظنة بضم الظاء : الحنف . ويقال : «ياحَرَّة يَدك» ويا حَرَّة أيديكم من الشدّة لا تفعلوا كذا وكذا . و «ياحَرَّةَ صَدْرِى» ويا حَرَّة صُدُوركم بالغيظ . و «أَخَابَه الله وأَهَابَه» : جَعَله يَتَهَيَّب . و «عَضَلَه الله» . ويقال : «قَلَّ قَلِيلُه» . و «قَلَّ خِيسُه» والخِيسُ : العَدَد . ويقال لمن شُمِتَ به : «لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ» . «بِهِ لا بِظَبْيِ بالصَّرِيمة أَعْفَرَا» . و «تَعَسَه الله ونَكَسَه وأَتْعَسَه وأَنْكَسَه» . التَّعْس : أن يَخِرَّ على وجهه والنُّكْس : أن يَخِرَّ على رأسه . وقال الكسائى : «قَبْحًا وشَقْحًا» أى كَسْرا، شَقَحَه : كَسَره . «أَلْزَق الله به العَطَش والنَّطَش» و «أَلْزَق الله به الجُوع والنُّوع» . النُّوعُ : العَطَش . و «الفُلُّ والذُّلُّ» . «مالَهُ سَبِدَ نَحْرُه ووَبِدَ» أى سَبِد من الوَجْد على المال والكسب لا يَجِدُ شيئا، وقد سَبِدَ الرجل ووَبِد

(١) قوله وآستخفه الخ كذا فى أصله، وحرّر ضبطه ومعناه فإنا لم نعثر عليه .

إذا لم يكن عنده شيء ، وهو رجل سَبِدٌ، قاله ابو صاعد، وقال أبو الغمراء: إنما نعرفه من دعاء النساء «مالها سَبِدَ نَحْرُها» . وقالت امرأة لأخرى : «خَفَّ حَجْرُكِ وطاب نَشْرُك» أى لا كان لك وَلَد ، والحَجْر : مُجْتَمَع مُقَدَّم القميص . « رَماه اللهُ بسَهْمٍ لا يُشْوِيه ولا يُطْنِيه » أى لا يُمْرِضُـه ولا يُخْطِئ مَقْتله ولا يُلْبِثُه . و « رماه الله بِنَيْطه » أى بالموت . و يقال : « أَسْكَتَ الله نامَّتَه ورَغَمته وزَأْمَته » أى كلامه . «هَبِلَتْه الهَبُول» و «ثَكِلَتْه الثَّكُول» و «عَبَلَتْه العَبُول» و «ثَكِلَتْه الرَّعْبَل» أى أُمُّه الحَمْقاء، قال وأنشدنا الباهلى لآسمه غَيْث :

وقال ذو العَقْل لمن لا يَعْقِل * اذْهَبْ إليك هَبِلَتْكَ الرَّعْبَل

يعنى أُمَّه الحمقاء . و « ثَكِلَتْه الجَحْـل » أى أُمُّه . «لا تَرَكَ الله له واضحـةً» أى ذَهَب الله بِثَغْره . «أَرْقَأَ الله به الدَّمَ» أى ساق الى قومه حَيًّا يَطْلُبون بقتيل فَيُقْتَل فَيَرْقَأ دمُ غيره به . « أَرَانيه اللهُ أَغَرَّ مُحَجَّلًا» أى مقتولا محلوق الرأس مقيدا، لأنهم يأخذون النواصى. «أطفأ الله نارَه» أى أعْمَى عينيه . «رأيتُه حاملًا جَنْبَه» أى مجروحا . «لا تَرَكَ الله له شامِتَةً» والشَّوامِت : القوائم . «خَلَعَ الله نَعْلَيْه» أى جعله مُقْعَدا . «أَسَكَّ اللهُ مَسامِعَه» أى أَصَمَّه . «لا دَرَّ دَرُّه» أى لا أَتَى بخير . «جَفَعَ الله به وَلُودًا وَدُودا» . «جَدَّه اللهُ جَدَّ الصِّلِّيَان» أى لا تَرَكَ منـه شيئا . قال أبو صاعد : «سَقاه الله دَم جَوْفه» لأنه إذا هُرِيق دَمُه هَلَك . قال أبو العباس ثعلب قال أبو صاعد : «سَبِدَ الرجل ووَبِد» إذا لم يكن عنده شيء، وهو رَجُل سَبِدٌ، والسَّبَد : البلاء بعضه على بعض . و يقال : «نَعُوذ بالله من النار وصائرةٍ إليها ومن السَّـيْل الجارِف والجَيْش الجائح» ، جَاحُوا أموالهم يَجُوحُونَهـا جَوْحًا و « مَصَائب الغرائب وجاهِد البلاء[1] ومُعْضِلات الأدْواء» . و يقال : «بِهِم اليومَ قَطْرة من البلاء» . و «نعوذ بالله من وَطْأة العدوّ وغَلَبة الرجال وضَلَع الدَّيْن» . و «نعوذ بالله من العَيْن اللَّامَّة» أى عين الحاسد من أَلَمَّ به يُلِمُّ إذا أتاه لينظر الى جميع ماله و يتأمَّله لا يخفى عليه منه شيء . و يقال : «نعوذ بالله من كل هامَّة وعين لَامَّة» الهامَّة : الحَيَّة، والهَوَامُّ : دوابُّ الأرض التى تَهُمُّ بالإنسان تَقْصِد له بما يكره، واللامَّة : العين الحاسدة تُلِمُّ بكل شيء تراه وتَتَفَقَّده حتى لا يفوتها شيء . و يقال : «نعوذ بالله من الهَيْبَة والحَيْبَة» . «نعوذ بالله من أَمْوَاج البلاء[1] و بَوَائِق الفِتَن وخيبة الرجاء وصَفَر الفِناء» .

(١) المعروف من الحديث جهد البلاء .

قال أبو على : هـذا آخر الأيمان والدعاء . ومن الدعاء ما هو خارج عن الكتاب، قال الباهلى : «وَصَفَ الله فى حاجَتِـك» أى لَطَف لك فيها . وقال أبو مهدى يقال : «تَأَوَّبك الله بالعافيـة وقُرَّةِ العَيْن» . وإذا وَعَدَك الرجل عِدَةً قلت : «عَهْدٌ ولا بَرْح» أى ليكن ذلك . قال : «ثَوَّبَها اللهُ الجنةَ» أى جَعَلَها ثَوَابَها . قال أبو مهدى : وَوَعَدَتْ[1] بعضَ الأعراب شيئا فقال لها : «سَبَّع الله خُطَاك» . ويقال : «نَشَر اللهُ حَجْرَتَك» أى كثر الله مالك وولدك ، والحَجْرة بفتح الحاء هاهنا : الناحية .

قال أبو محلم : ويقال : الظُّنُون : الوَشَل أو البئر التى تكون قليلة المـاء، وأنشد :

لَعَمْرُكَ إنَّنِى وطِلَابَ حُبِّى * لكالمُتَـبَرِّض الثَّمَدَ الظَّنُونا
يُطِيف به ويُعْجِبـه تَرَاهُ * وضِيقُ مَجَمِّـه قَطَع العُيُونا

يعنى عُيُون المـاء . والمتبرض : الذى يأخذ البَرْضَ وهو القليل من المـاء ومن كل شىء .

وأنشد للشَّمَرْدَلِ بن شريك اليَرْبُوعىّ يرثى أخاه :

وكُنْتُ أُعِيرُ الدمعَ قَبْلَكَ مَنْ بَكَى * فأنْتَ على من مات بَعْدَك شاغِلُه
تَبَرَّض بعد الجَهْدِ من عَبَرَاتِها * بَقِيَّـة دَمْع تَشْجُوها لك بَاذِلُه

وأنشدنا لرجل من بنى ضَبَّة :

لقـد عَلِمْتَ وإن قَطَّعْتَنِى عَذَلا * ماذا تَفَاوت بين البُخْـل والجُود
إن لا أكن وَرِقًا تَغْنَى العُفاةُ به * لِلْمُعْتَفِين فإنِّى لَيِّنُ العُـود

قال أبو الحسن : الأجود : إنْ لا يَكُنْ وَرِقٌ .

[مطلب ما قاله حاتم الطائى فى الصفح والاغتفار]

وأخبرنا أبو الحسن على بن سليمان النحوى قال أنشدنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى قال أنشدنى إبراهيم بن إسحاق المعمرى التيمى قال أنشدنى أبو البلاد التغلبى لحاتم طَيِّئٍ :

وعَوْرَاءَ جاءت من أخٍ فَرَدَدْتُها * بسالمةِ العَيْنَيْنِ طالبـةٍ عُذْرَا
ولو أننى إذ قالهـا قلت مثلها * ولم أَعْفُ عنها أَوْرَثَتْ بيننا غِمرا[2]
فأعْرَضْتُ عنه وانْتَظَرْتُ به غَدًا * لَعَـلَّ غَدًا يُبْـدى لمنتظِرٍ أمرا

(١) لعل هنا كلمة سقطت من الناسخ ، والأصل ووعدت امرأة بعض الأعراب الخ . (٢) الغمر : الحقد .

وقلت له عُـدْ للأُخُوَّةِ بيننا * ولم أتَّخِـذْ ما كان من جَهْلِه قَمْرا
لأَنْزِعَ ضَـبًّا[1] كامِنًا فى فؤاده * وأَقْـلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحَفْرا

[مطلب ما وقع لمجنون بنى عامر مع أخيه وابن عمه و إطلاقه ظبية قد قنصاها]

قال وقال المعمرى أخبرنى أبو مسلمة الكلابى قال : كان مجنون بنى عامر فى بعض مجالسه ، وكان يكثر الوَحْدَة والتوحش ، فَمَرَّ به أخوه وابن عمه قد قَنَصا ظَبْيَةً فهى معهما ، فقال

يا أخَوَىَّ اللَّذَيْنِ اليومَ قد قَنَصَا * شِبْهًا لِلَيْـلَى بِحَبْـلٍ ثُمَّ غَلَّاها
إنى أَرَى اليوم فى أعطاف شاتِكُمَا * مَشَابِهًا أَشْبَهَتْ لَيْـلَى خُلَّاها

فامْتَنَعا بها فَهَمَّ بهما ، وكان نَجْدًا قبل ما أصيب ، فخافاه فدفعاها إليه ، فأرسلها فَوَلَّتْ تَفِرُّ ، ثم أقبلت تنظر إليه فقال :

أَيَا شِبْهَ لَيْـلَى لا تُرَاعِى فإنَّنِى * لَكِ اليومَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصَدِيقُ
تَفِرُّ وقد أَطْلَقْتُها من وَثاقِها * فأنت لِلَيْـلَى ما حَيِيتُ عَتِيقُ
فعيناكِ عَيْنَاها وجِيـدُكِ جِيدُها * ولكنَّ عَظْمَ الساق منـك دَقِيق

[مطلب ما تعبر به العرب من أسماء الداهية]

وقال أبو العباس : الرَّقْمُ والرَّقْمة : الداهية ، وأنشد :

قالوا اسْتَقِدْها وأَعْطِ الحُكْمَ والِيَهَا * فإنَّهـا بَعْضُ ما تَزْبِى لك الرَّقِمُ

تَزْبِى : تَسُوق ، وأنشد :

وأَبِى حُجْرٌ أَنَتْـه رَقْـمَةٌ * أَنْشَبَتْه فى شَبَا ظُفْر ونابْ

وعَلِقَتْه خَنْفَقِيقٌ وخَنْفَقِيقَةٌ وحَبَوْكَرَى : اسم للداهية ، وأُمُّ حَبَوْكَرَى أيضا . وحَبَوْكَرَى هى الرَّمْلَةُ التى يُضَلُّ فيها ، ثم صارت اسما للداهية .

قال أبو على : وصِلِّ أَصْلالٍ أى داهية ، قال أبو العباس وأنشد الأصمعى :

وَيْلُمِّهِ صِـلَّ أَصْلالٍ إذا جَعَلُوا * يَرَوْنَ دُونَ مُضِىِّ القولِ مِغْلاقا
فات الرُّواةَ أبو البَيْـداء مُخْتَلِسا * ولم يُغَادِرْ له فى النـاس مِطْرَاقا

(١) الضب : الغيظ والحقد .

مِطْرَاقًا : مِثْلًا، يقال : هـذا طِرَاق هذا ومِطْرَاقُه أى مِثْلُه . ويقال : وَقَعَ فى أُغْوِيَّةٍ وفى وامِئَةٍ أى داهية . وجاءوا بالوامِئَةِ الوَمْآء والسِّبْد والقِرْطِيط، وأنشد عن أبى عمرو :

سألناهم أن يُرْفِدونا فأَجْبَلُوا * وجاءت بِقِرْطِيطٍ من الأمر زَيْنَبُ

والأَبَاجِير والأَزَامِعُ، الواحد أزْمَع وهى الدواهى . وقال عبيد الله بن سمعان التَغْلَبى :

وَعَدْتَ ولم تُنْجِزْ وقِدْمًا وَعَدْتَنِى * فأَخْلَفْتنى وتِلْك إحْدى الأَزَامع

والتَّمَاسِى: الدواهى، وأنشد لِمِرْدَاس :

أُدَاوِرُها كَيْمَا تَلِينَ وإنَّنِى * لَأَلْقَى على العِلَّاتِ منها التَّمَاسِيَا

وقال ابن الأعرابى يقال: جاء بذات الرَّعْد والصَّلِيل، أى جاء بداهية لا شىء بعدها، وأنشد للكميت :

كَأَنَّ أَكُفَّ الناسِ إذ بِنْت عَطَّفَتْ * عليها جُنَاة القَبْر ذات الرَّواعِد

أى كأنما حَصَلَتْ فى أيديهم ذات الرَّواعد أى الرَّعْد . قال الأصمعى يقال : رماه بأَخْفَافِ رأسه إذا رماه بالأمور العظام، وبِثَالِثَةِ الأَثَافِىِّ أى الداهية وهى القِطْعة من الجبل، وأنشد :

فَلَمَّا أن طَغَوْا وبَغَوْا علينا * رَمَيْنَاهم بثالثة الأَثَافِى

ويقال : جاء بأُذُنَىْ عَنَاق أى بالداهية وهى عَنَاق الأرض . ويقال قَضَّتْهُم القاضَّة مثل البَائِقة . والعَنَاق : الخَيْبة، والأَزْلَم والدَّآلِيل والفَاقِرة والعَنْقاء والخَنَاسِيرُ، واحدتها خِنْسِيرة . قال أبو على : وهى الدواهى . والقِنْطِر : الداهية، وأنشد أبو العباس :

وكنتُ إذا قومٌ رَمَوْنى رَمَيْتهم * بِمُسْقِطة الأحْبالِ فَقْمَاء قِنْطِر

وأنشد لِمَعْن بن أوس :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والعِبَاد بِغِرَّةٍ * وإذ نَحْنُ لم تَدْبِبْ الينا الشَّبَادِعُ

أى لم نكن فيما نَكْره . والشَّبادِعُ: العَقَارِب، الواحدة شِبْدِع . ويقال : أُمُور دُبُسٌ ورُبْسٌ ودُلَمْسَاتٌ بضم الدال وفتح اللام والدَّغَاوِل والزَّبِير والزَّفِير والعَرَاهِيَة[1] . قال أبو العباس : الأَزْيَب هو الدَّعِىُّ، والأَزْيَب فى بيت الاعشى : الدَّنِىء، والأَزْيَب من الرياح : الجَنُوب . ويقال : رَجُلٌ عِضٌّ وذِمْرٌ وذَمِيرٌ وذِمِرٌّ بتشديد الراء كله : الداهى . والحِبْل : الداهية من الرجال، وأنشد ابن الأعرابى :

(١) لعله سقط هنا ذكر الأزيب ليحسن قوله بعده : قال أبو العباس والازيب هو الدعى الخ، والازيب كما فى اللسان : الداهية .

عَجِبْتُ من الخَوْدِ الكَرِيمِ بَجَارُها * تُرَأْرِئُ بالعَيْنَيْنِ للرَّجُلِ الحِبْلِ
ولِلَّفْتِ لُفَّتْ فى الثياب فأُقعدت * تَدَبْدَبُ فى حَبْلِ البَجَائِجَةِ القَصْلِ

الحِبْل : الداهية . واللِّفْتُ : العجوز التى لَفَتَها الدهرُ عن حالها وصَرَفَها . قال ويقال : خِنْثِر وخَنَاثِير ، وأنشد :

أنا القُلَاخ بن جَنَاب بن جَلا * أبو خَنَاثِير أَقُود الجَمَلا

ويقال : جاء بالزِّعنِفة وهى الداهية ، ورجل زِعْنِفة وهو القصير القامة . وَدَبَلَتْهم الدَّبِيلة . وحَقَّتْهُم الحاقَّة وأُمُّ الدُّهَيْم واللُّهَيم . اللُّهَيْم : الموت لأنه يَلْتَهِمُ كلَّ شىء . وأُمُّ الرُّقُوب : الداهية ، وأنشد :

إنَّ كِسْرَى عَدَا على المَلِكِ النُّعْـ * ـمانِ حَتَّى سَقَاهُ أُمَّ الرُّقُوب

وقال اليزيدى أبو محمد : سقاه أُمَّ البَلِيل ، قال أبو الحسن : هكذا حفظى . والرَّيِس : الداهية وأنشد :

يكفيك عند الشدة الرَّيِسا * العضَّ ذا المَرَانة الدَّحُوسا

ويروى : الدَّحِيسا . قال أبو الحسن : حِفْظِى عن الأحول : داهيةٌ رُبْسٌ ورَيِس . قال أبو العباس ويقال : داهية هِتْرٌ ذِمْرٌ ونَادٌ . وهو يتكلم بالهِتْرِ ويَهْتِكُ السِّتْر . وداهية حُوَلَةٌ وحُوَلاء . وداهيةٌ مَرْمَرِيسٌ أى شديدة . وقال جرير بن الخَطَفَى :

قَرَنْتُ الظالمين بمَرْ مَرِيسٍ * يَذِلُّ له العَفَارِيَةُ المَرِيدُ

يريد شعرا هكذا وقع . والعَفَارِيَةُ : القوىُّ الشديد . والمَرِيد المُتَمَرِّد . ويقال : قافية مَرْمَرِيسٌ من المَرَاسة وهى الشِّدة . ويقال للشيطان : عِفْرِية ، وأنشد :

كأنَّهُ كَوْكَبٌ فى إثْرِ عِفْرِيةٍ * مُسَوَّمٌ فى سَوَادِ الليلِ مُنْقَضِبُ (١)

ويقال : جاءوا بالعُلَق والفُلَق ، وجاءوا بعُلَقٍ وفُلَقٍ يُجْرَى ولا يُجْرَى . وجاءوا بالفِلْقِ وأُسْرَتِها أى بالداهية وأخواتها . وجاءوا بمُطْفِئة الرَّضْف أى أشدّ من الأولى . ويقال : داهية شَنْعاء مُتِمٌّ وصَلْعاء مُتِمٌّ أى بارِزة بيِّنة وجاءوا ببِدِيدة ، والجمع بَدَائِد ، أى كأنها تُفَرِّق من مَرَّت به . وجاءوا بالبَهَالِيلِ والبَالِيل . وجِئْتُك بالداهية العَبْقَس والوامِئة الوَمْآء . ويقال : وَقَعَ فى هَنَـد الأَحَامس . ويقال : وَقَعَ فى التُّرَّه

(١) البيت لذى الرمة ، كما فى ديوانه طبع أوربا ص ٢٧

والتِّيه والسُّمَّهى والسُّمَيْهى أى الباطل . ويقال : وَقَع فى دُؤْلُول أى فى أمر عظيم . ووقع فى تيهٍ من الأَتاوِيه . وَوَقَع فى السُّمَّه أى فى الباطل . وإنَّه لَدَاهٍ ودَهٍ ودَهِىٌّ . وإنه لَلُتَحَةٌ من اللُّتَح وهو الذى يَعْتُو فى الشِّعْر ويصيب فى الرمى، وأنشد :

* وجدوى لتحة من اللُّتَح *

ويقال : جاء بالسِّخْتِيت والسُّمَاق والبَحْت والصُّرَاح أى الكذب الذى لايَشُوبه شىء من الحَقّ، ومنه سُمِّى الرجل سُمَاقا، كأنه أريد به المبالغة فى الكذب، يقال : كَذَبَ وٱخْتَرَق وسَرَج وتَسَرَّج بالجيم، كله بمعنى . قال أبو الحسن : يقال خَلَق وٱخْتَلَق وخَرَقَ إذا كَذَب . ويقال : فَرَشَه وَوَلَقَه وإنَّه لَوَلُوق أى كَذُوب . والسَّهُوق : الكَذَّاب . والتِّمْسَح والتِّمْسَاح : الكَذَّاب . ويقال : كَذُوب مِمْزَج أى يَخْلِط حقا بباطل، وأنشد :

لاتَقْبَلِى قَوْلَ كَذُوبٍ مِمْزَج * أَطْلَسَ وَغْدٍ فى دَرِيسٍ مُنْهِج

قال : ومُنْهِج من أَنْهَج الثوبُ أيضا . ويقال : إنه لَضَبٌّ تَلْعَة لا يُؤْخَذ مُذَنَّبًا ولا يُدْرَك حَفْرا، أى لا يؤخذ بذَنَبه ولا يُلْحَق لُبْعد حَفْره ولُبْعد أُغْوِيَّتِه وهى الحُفْرة . ويقال : جاءنا بالكَذِب الفِلْقان والخِبْرِيت والسِّخْتِيت . ويقال : عَجَبٌ عاجِبٌ وعَجِيب وعُجَاب بمعنى مُعْجِب .

[اجتماع عمر بن أبى ربيعة وكثير وجميل بباب عبد الملك بن مروان وإنشادهم الشعر بين يديه]

قال وحدثنا أبو الحسن وٱبن درستويه قالا حدثنا السكرى قال حدثنى المعمرى قال : سمعت أبا مُسْهر يحكى أن عُمر بن أبى ربيعة وكُثَيِّر عَزَّة وجَمِيل بن مَعْمر، قال أبو على : وقرأت أنا هذا الخبر أيضا على أبى عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة قالوا : اجتمع هؤلاء بباب عبد الملك بن مروان فأذن لهم فدخلوا، فقال : أنشدونى أرقّ ما قلتم فى الغوانى، فأنشده جميل بن معمر :

حَلَفْتُ يمينًا يا بُثَيْنَةُ صادقا * فإن كنتُ فيها كاذبا فَعَمِيتُ
إذا كان جِلْدٌ غير جِلْدِك مَسَّنِى * وباشَرَنِى دُونَ الشِّعَار شَرِيتُ(١)
ولو أن راقى الموت يَرْقِى جَنازتى * بمَنْطِقِها فى الناطقين حَيِيت

(١) يقال : شرى جلده : خرج عليه الشَّرَى وهو بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة واحدة غالبا وتشتد ليلا لبخار حار يثور فى البدن دفعة .

وأنشد كثير عزة :

بأبي وأمّى أنتِ مِنْ مظلومة * طَبِنَ[1] العَدُوُّ لها فَغَيَّرَ حالَها
لو أنَّ عَزَّة خاصَمَتْ شمسَ الضحى * فى الحسن عند مُوَفَّق لَقَضى لها
وسَعَى الىَّ بصَرْمِ عَزَّة نِسْوة * جَعَلَ المليكُ خدودَهُنَّ نِعالَها

وأنشد ٱبن أبى ربيعة المخزومى القرشى :

ألا لَيْتَ قَبْرِى يوم تُقْضَى مَنِيَّتى * بتلك التى مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكِ والفم[2]
ولَيْتَ طُهورِى كان رِيقَكِ كُلَّه * وليت حَنُوطى من مُشَاشِك والدَّم
ألا لَيْتَ أم الفضْل كانت قَرِينتى * هُنَا أو هُنَا فى جَنَّةٍ أو جَهَنَّم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف .

* * *

قال وقال المعمرى : سمعت إبراهيم بن عبد الرحمن بن يعقوب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يقول : كان يعقوب بن سليمان بن يعقوب بن إبراهيم بن طلحه بن عبيد الله شاعرا ، وكان يُشَبِّب بامرأة من قومه ، فخالَجَه منها شىء فأرسل إليها :

وقد كُنْتِ لى حَسْبًا مِن الناس كُلِّهم * تَرَى بك نفسى مَقْنَعًا لو تَمَلَّتِ
أرى عَرَض الدنيا وكلَّ مُصيبةٍ * يَسيرا إذا عَنْكِ الحوادثُ زَلَّتِ
فأبْلَيْتِنِى ما لم أكن منك أَهْلَه * وأَشْكَعْتِ[3] نَفْسًا لم تكن عنك مَلَّت
فقلتُ كما قد قال قبلى كُثَيِّر * لعَزَّةَ لَمَّا أَعْرَضَتْ وتَوَلَّت
فقلتُ لها يا عَزَّ كُلُّ مُصيبةٍ * اذا وُطِّنَتْ يَوْمًا لها النفسُ ذَلَّت
فإن سَأَل الواشون فِيمَ صَرَمْتَها * فَقُلْ نَفْسُ حُرٍّ سُلِّيَتْ فتَسَلَّت

* * *

قال أبو الحسن وٱبن دستوريه قال المعمرى : لقيت أبا زيد الأشجعى ، وكان والله فصيحا ، فقلت له : كيف وَلَدُك؟ قال : بِشَرٍّ لابارك الله فيه ، لَقِيته على فرس مُحْمَلَج اليَدَيْن ، بَعِيدِ ما بين الفَهْدَتَيْن ،

(١) طبن : فطن .
(٢) المعروف : ألا ليت أنى يوم تقضى منيتى * لثمت الذى ما بين عينيك والفم
(٣) أشكعت : أغضبت .

أَعْنَقَ حديدِ النَّظـر صَهَّال واسع المُنْخَرين مُقَلَّص الشاكلة ، لا بارك الله له فيـه . فقلت له : يا أبا زيد، ألا تَضْرِب على يده ! قال : وهل لى به طُـوقَةٌ[1] . فقلت له : تقول طُوقَةٌ! قال : وأنت والله أيضا تقولها الا أنك تستثبت .

قال : وجئت أبا زيد وإذا شاة له مطروحة فى جُحْر، فقلت له : ما هذه الشاة ؟ قال : أخذها الذئب، فقلت له : فكيف لم تدفعه عنها؟ قال : إنه كان خُلُجًّا مُلُجًّا[2] مسطوح الذراعين يُعْجِبُنى والله أن أقول له هَجْ .

قال وقال المعمرى قال لى بعض من سألته من أهل البادية : قلت لأعرابى : أىّ شىء تُحْسِن من القرآن؟ قال : إن معى مالا أحتاج معه الى أكثر منه : مِدْحَةَ الرب وهِجَاءَ أبى لهب .

* * *

وقال المعمرى أخبرنى إسحاق قال رأيت أبا العَتَاهِية واقفا فى طرف المقابر وهو ينشد :

نُنَافِس فى الدنيـا ونحن نَعِيبها * وقد حَذَّرَتْنَاها لَعَمْرِى خُطوبُها
وما نَحْسَبُ الأيام تَنْقُص مـدَّةً * بَلَى إنَّهـا فينا سَـريعٌ دَبِيبُهـا
كأنِّى برَهْطِى يَحْمِلون جنـازتى * الى حُفْـرة يُحْثَى عليهـا كثِيبُها
فَكَمْ ثَمَّ من مُسْـترجِع متوجع * ونائحـةٍ يعـلو علىَّ نحِيبُهـا
وباكية تبـكى عـلىَّ وإننى * لَفِى غَفْـلة عن صوتها ما أُجِيبها
أيا هاذِمَ[3] اللَّذات ما مِنْكَ مَهْرَبٌ * تحاذر نفسى منـك ما سَيُصِيبها

* * *

قال : وكتب يحيى بن أحمد بن عبد الله بن يزيد بن أسد السلمى الى طاهر بن عبد الله :

أنا بالعَسْكَر وَقْفٌ * للتَّعَازِى والتَّهَـانى
ولتشييع فلان * والتَّـلَقِّى لفـلان
أو لِبَيْعٍ أو لرَهْنٍ * أو لِدَيْنٍ بالضمان

(١) فى هامش الأصل أنه بضم الطاء وسكون الواو ولم نجده فيما بيدنا من كتب اللغة . (٢) بهامش الأصل أنه بضم الأول والثانى من الكلمتين . (٣) هاذم اللذات : قاطعها .

[حديث فضل وفضيل المريين]

قال التيمى وحدثنى رَكَّاض بن فَرْوة المُرِّى القتالى قال : كان فى بنى مرة فَضْل وفُضَيْل أَخَوان لأب وأم، ولا أعلم أنى رأيت تَبَارَّهُما لأحدٍ قطُّ، ولا رأيت أكمل منهما فى رجال الناس قط، أجمل جمالا ولا أفرس فُرُوسِيَّةً ولا أسخى ولا أشجع، فَرُمِيَ(١) فى جنازة أحدهما فمات، فخرجنا بجنازته وأخوه مَعَنا يُهادَى حتى وَقَفْنا على قبره فَدَلَّيناه فيه وهو ينظر اليه قد آحْنَوْنَى وٱنْعَقَف حتى صار كأنه سِيَةٌ، فلما رَضَمْنا عليه لَبِنَه قال هذا البيت :

سأبكيك لا مُسْتَبْقِيًا فَيْضَ عَبْرة * ولا مُبْتَغٍ بالصَّبْر عاقِبة الصَّبْر

ثم آنْكَبَّ لوجهه، فحملناه الى منزل أبيه فمات فى الثانى أو الثالث .

✦ ✦ ✦

وأنشدنا أبو البِلَاد لحاتم الطائى

ذَرِينى ومالى إن مالَكِ وافرٌ * وإنَّ فَعَالِى تَحْمَدِى غِبَّه غدَا

ألم تعلمى أنى إذا الضيف أَمَّنِى * وَعَزَّ القِرَى أَقْرِى السَّدِيفَ(٢) المُسَرْهَدَا

سأحْبِس من مالى دِلَاصًا(٣) وسابحا * وأَسْمَرَ خَطِّيًّا وعَضْبًا مُهَنَّدا

[حديث أم الهيثم مع أبى عبيدة]

قال التيمى أخبرنى عُمَر بن خالد العثمانى قال : قَدِمَتْ علينا عجوزٌ من بنى مِنْقَر تُسَمَّى أم الهيثم، فغابت عنا، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : إنها عليلة، فقال : هل لكم أن نَعُودها؟ فجئنا فاستأذَنَّا، فقالت لِجُوا، فسلَّمنا عليها، فإذا عليها أهدام وبُجُدٌ(٤) وقد طَرَحَتْها عليها، فقلنا : يا أم الهيثم كيف تَجِدِينَك؟ قالت : كُنْتُ وَحْمَى بالدَّكَة، فَشَهِدْتُ مَأْدُبة، فَأَكَلْتُ جُبْجُبة، من صَفِيف هِلَّعَة، فَأَعْتَرَتْنِى زُخَّة. فقلنا : يا أم الهيثم، أىَّ شىء تقولين؟ فقالت : أَوَلِلناس كلامان! والله ما كلمتكم إلا بالعربى الفصيح.

✦ ✦ ✦

قال التيمى حدثنى القَحْذَمى قال : قيل لأعرابى : إن فلانا شَمَّك، قال : المَطْلِىُّ باللُّؤم وجها، الزَّالِق عن المَجْد رِجْلا، قد يَنْبَح الكلبُ القمر .

(١) فى اللسان : تقول العرب اذا أخبرت عن موت انسان : رمى فى جنازته . (٢) السديف : شحم السنام. والمسرهد : السمين . (٣) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . (٤) البجد : جمع بجاد وهو كساء مخطط .

قال وحدّثنى أبو هفان عن إسحاق قال : سمعت يحيى بن جعفر البرمكى يقول لرجل اعتذر اليه : يا هذا، أحْتَجُّ عليك بغالب القضاء، واعْتَذر إليك بصادق النية .

وحدّثنى آبن حبيب عن آبن الكلبى قال حدّثنى رجل من طيئ يقال له آبن زُرَيْق من بنى لام عن أبيه قال : كان منا رجل يقال له عُرَام بن المُنْذِر بن زبيد بن قيس بن حارثة بن لام قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ، فدخل على عمر ليُزَمِّنَه ، فقال له عمر : ما زَمانَتُك ؟ فقال :

ووالله ما أدْرِى أَأَدْرَكْتُ أُمَّةً * على عهد ذى القرنين أم كنت أقْدَما

مَتَى تَنْزِعا عَنِّى القَمِيص تَبَيَّنا * جَنَاجِنَ لم يُكْسَيْنَ لَحْماً ولا دَما

الجَنَاجِنُ : عِظَام الصدر . فقال عمر : ويحكم ! دَعُوا هذا وزمِّنُوه فإنه لا يدرى مَتَى مِيلادُه .

قال أبو هَفَّان أنشدنى إسحاق لنفسه فى خزيمة بن خازم وكان يَدَّعِى ولاءهم :

إذا كانت الأحرار أَصْلِى ومَنْصِبِى * ودافِعُ ضَيْمِى خازمٌ وآبن خازم

عَطَسْتُ بأَنْفٍ شامخ وتناولتْ * يَدايَ الثُّرَيَّا قاعدا غير قائم

قال وأنشدنا أبو هفان عن إسحاق لامرأة :

قُصَارَكَ مِنِّى النُّصْحُ مادُمْتُ حَيَّةً * وَوُدٌّ كماء المُزْنِ غَيْرُ مَشُوب

وآخرُ شىءٍ أنت فى كلِّ مَرْقَدِى * وأوَّلُ شىءٍ أنْتَ عند هُبُوبى

قال آبن حبيب : قُرِع بابُ آبن الرِّقَاع الشاعر، فخرجت بُنَيَّة له صغيرة، فقالت : مَنْ هاهنا؟ قالوا : نحن الشعراء، قالت : وما تريدون؟ قالوا : نُهَاجِى أباك، فقالت :

تَجَمَّعْتُمُ من كل أوْبٍ وبَلْدَةٍ * على واحدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحد

فاسْتَحْيَوْا ورجعوا .

قال وحدّثنا آبن حبيب عن هشام قال : سأل معاوية رضى الله تعالى عنه النَّخَّار العُذْرِىّ عن قُضَاعة ، فقال : كَلْبٌ ساداتُها وأوتادُها ، والقَيْنُ فُرْسَانُها وأَسِنَّتُها ، وعُذْرة شُعَراؤها وفِتْيانُها ، وجُهَيْنة خَيْرُها نَبأً فى الإسلام . ويقال : نَثاً .

قال وقال إبراهيم بن إسحاق التيمى : كتب الىَّ أخى يعقوب بن إسحاق : يا أخى ، إن كنت تَصَدَّقْتَ بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر فتَصَدَّق بما بقى على الآخرة وهو الأقل .

وقال إسحاق قيل لعُقَيْبة المَدينى : ألا تَغْزُو وقد أقدرك الله عليه ! فقال : والله إنى لَأُبْغِض الموتَ على فراشى فكيف إليه أَمضى رَكْضًا .

وقال إسحاق : جاور ابْنُ سَيابة قوما فأزعجوه ، فقال لِمَ تُخْرِجُونى من جواركم ؟ قالوا : أنت مُرِيب ، قال : فَمَنْ أَذَلُّ من مُرِيبٍ وأَخَسُّ جِوَارًا منكم .

[كتاب الحجاج الى عبد الملك بن مروان فى أمر قطرى بن الفجاءة وردّه عليه يوصيه بالجد فى قتاله]

قال وقال أبو سعيد قال حدّثنا محمد بن عمران قال حدّثنى أبو إسحاق إبراهيم المؤدب قال : كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يُعَظِّم أمر قَطَرِىّ بن الفُجَاءة المازنى ، فكتب اليه عبد الملك . أوصيك بما أَوصى به البَكْرِىُّ زيدا ، فقال الحجاج لحاجبه : نادِ فى الناس : من أخبر الأميرَ بما أوصى به البكرى زيدا فله عشرة آلاف درهم ، فقال رجل للحاجب : أنا أخبره ، فأدخله عليه ، فقال له : ماقال البكرى لزيد ؟ قال : قال لابن عمه زيد : — والشعر لموسى بن جابر الحنفى —

أقــول لزيد لا تُتَرْتِرْ[1] فإنَّهــم * يَرَوْنَ المَنايا دونَ قتلك أو قتلى
فإن وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعْها وإن أَبَوْا * فَشُبَّ وَقُودَ الحرب بالحَطَب الجَزْل
فإن عَضَّتِ الحَرْبُ الضَّروس بنابها * فَعُرْضــةُ نارِ الحَرْب مِثْلُك أو مثلى

فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين ، عُرْضة نار الحرب مِثْلِى أو مثله .

* * *

قال وقال أنشدنا أبو جعفر لملْحَان :

وأبيضَ مُجْتابٍ إذا اللَّيْــلُ جَنَّه * رَعَى حَذَر النــار النُّجومَ الطَّوالعا
اذا آستُثْقِل الأقوامُ نَوْمًا رأيتَــه * حِــذَارَ عِقاب الله لله ضــارعا

المُجْتاب : الذى يَخْتَرِق الدُّور والظلمات .

(١) الترترة : إكثار الكلام ، قال فى اللسان مادة ترتر : وقد روى : « لاتثرثر » . و « لا تبربر » وكل ذلك كثرة الكلام .

* * *

قال أبو على وأنشدنا أبو الحسن لأبى كريمة فى صفة الخمر — وهو بصرى —

كأنَّها عَرَضٌ فى كَفِّ شاربها * تَخَالُها فارغا والكأْسُ مَلْآن

وأنشدنا لعمرو القُضَاعى — وهو تيمى بصرى — يصف نوقا :

خُوصٌ نَوَاجٍ إذا صاح الحُدَاةُ بها * رأيت أَرْجُلَها قُــدَّام أَيْديهـا

ولعبد الله بن عبد الرحمن أبى الأنوار المُهَلَّبى البصرى :

قوم إذا أَكَلُوا أَخْفَوْا كلامَهــمُ * وٱسْتَوْثَقُوا من رِتاجِ الباب والدار

لايَقْبِسُ الجارُ منهـم فَضْلَ نارِهِم * ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمَــة الجار

ولِمُمَزِّق الحضرمى البصرى :

إذا وَلَدَتْ حَلِيـلَةُ باهِلِيٍّ * غُلاما زِيدَ فى عَدَدِ اللئام

ولو كان الخليفــة باهليا * لَقَصَّر عن مُساماةِ الكِرام

ولبعض اليشكريين البصريين :

كُنَّا نُدارِيهـا فقد مُزِّقَتْ * وٱتَّسع الخَرْقُ على الراقع

كالثوب إذ أَنْهَجَ فيه البِلَى * أَعْيَا على ذى الحيلة الصانع

[قصيدة سيار بن هبيرة فى عتاب أخويه خالد وزياد ومدح أخيه منخل]

قال أبو على وقرأنا على أبى الحسن عن جعفر، وذكر جعفر انه سمع ذلك من أبى جعفر محمد بن على بن الحسين، وسمع ذلك مع أبيه أيضا من ابى محلم، وقال أبو محلم : أنشدنى مَكْوَزَة وأبو مَحْضَة وجماعة من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مَنَاة لسَيَّار بن هُبَيرة بن ربيعة بن المنحو[1] أحد بنى ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة يعاتب خالدا أو زيادا أخويه ويمدح أخاه مُنَخَّلا :

تَنَــاسَ هَوَى عَصْماء إمَّا نَأَيْتَهـا * وكيف تَنَاسِيكَ الذى لَسْتَ ناسِـيا

لعمرى لَئِن عَصْماءُ شَــطَّ مَزارُها * لقد زَوَدت زادا وإن قَلَّ باقيا

وما هِىَ من عَصْماء إلا تَحِيَّــةٌ * تُوَدِّعُنيهـا إذ أَحَــمَّ ٱرتحَالِيـا

(١) فى بعض النسخ بن نبطى بن المجر أحد بنى ربيعة الخ وليحرر النسب .

لَيَالِيَ حَلَّتْ بالقَرِيَّيْن حَلَّةً * وذى مَرَخ يا حَبَّذَا لك واديا
خَلِيلَيَّ مِنْ دون الأخِلَّاء لا تكن * حِبَالُكما أُنْشُوطةً مِنْ حِبَالِيا
ولا تَسْقَيَا قبل الممات بصُحْبَتى * ولا تُلْبِسانى لِبْسَ من عاش قاليا
فان فراقى عبرة تُخْلِفَنْكُما * وشِيكًا وإن صاحبتمانى لياليا
أرَى أَخَوَىَّ اليوم شَحًّا كِلَاهما * عَلَىَّ وهَمَّا أن يَقُولا الدَّوَاهِيا
يُؤَذِّنُنى هذا ويَمْنَعُ فضله * وهذا كَمَعْنٍ أو أَشَدُّ تَقَاضيا

يُؤَذِّنُنى : يُحْرِمُنى، وأنشد :

أَذَّنَنا شُرابُ رَأْسُ الدَّيْر * شَيْخًا وصِبْيانًا كَغِرْان الطَّيْر

قال أبو محلم : ومَعْنٌ : رجل كان كَلَّاءً بالبادية يَبِيع بالكَالِئِ أى بالنسيئة ، وكان يُضرب به المثل فى شدة التقاضى، وفيه يقول القائل : — قال أبو الحسين أنْشَدَناه المبرد للفرزدق —

لعمرك ما مَعْنٌ بتارِك حقِّه * ولا مُنْسِئٌ معن ولا مُتَيَسِّر

والقَرِيَّان وذُو مَرَخ : ببلاد بنى حَنْظَلة، وهى مَسَايِلُ الماء .

لقد كان فى أيديكم ذو حُوَاشَةٍ * فآلَيْتَ لا تُعْطِيه إلا مُفَادِيا
تَحَلَّلْ هداك الله ربى ألا تَرَى * تَخَاذُلَ إخوانى وقِلَّةَ ماليا
وعَضَّ زمانٍ عَضَّ بالناس لم يَدَعْ * شَرِيدًا من الأموال إلا عَنَاصِيا

قال أبو على : عَنَاصِيا : بقايا ، وعَنَاصِى الشَّعَر : بقاياه ، واحدتها عُنْصُوَةٌ . وذو حُوَاشَةٍ : ذو ذمة وقرابة، ويقال : تَحَوَّشْتُ من فلان أى تَذَمَّمْت منه .

فألْحَق أقواما كِرَامًا فأصبحوا * شَرِيدين بالأمصار مُلْقًى وعاريا
كَفَى حَزَنًا عن لا تَحِنَّ جِمَالكم * الىَّ وقد شَفَّ الحَنِينُ جِمَاليا
وعَنْ لا أرى شوقا الىَّ يَصُوركُم * ولا حاجةً مِن تَرْكِ بَيْتِىَ خاليا
وإنى لَعَفُّ الفَقْر مُشْتَرَكُ الغِنى * سَرِيعٌ إذا لم أرض دارى ارْتِحَالِيا
كِلَانا غَنِىٌّ عن أخيه حَيَاتَه * ونحن إذا مُتْنا أَشَدُّ تَغَانِيا

أَخالِدُ فامنع فَضْــلَ رِفْدِك إنَّما * أجاعَ وأَعْرَى اللهُ مَنْ كُنْتَ كاسيا
رأيتُــك تُقْفِينى بكل عظيمة * عَرَتْكَ وتُقْفِى باللِّبان ســوائيا

قال أبو الحسن : الصواب تَقْفُونى بكل عظيمة . قال أبو محلم : تُقْفِى : تُكْرِم وهى القَفِيَّة . قال أبو على : تَقْفُو : تكرم أيضا وهى القفية ، والصواب عندى ما قال أبو الحسن . وعَرَتْكَ : نَزَلَتْ بك .

وتُؤْثِرُ مَنْ لو أنَّه مُتَّ لم يَجِــدْ * كَوَجْدِى ولا يُبْلِيك مِثْلَ بَلائيا
وأَهْوَنَنــا أن مات فَقْــدًا عليكم * وأَهْوَنَ دَفْعًا عنك أن كنتَ جانيا
ولو مُتَّ سالت بَعْضُ نفسى حَسْرةً * عليك وأمْسَى عنك فى الحى لاهيا
إذا نَحْنُ داوانا المُؤَسُّون بالأَسَى * شَفَوْه ولا يَشْفِى المُؤَسُّون ما بيا

المُؤَسُّــون هاهنا : المُعَزُّون ، يقول : إذا عَزَّوْنا سَلَا ذاك عنك ، ولا يَشْفى المؤسون وَجْدِى عنك ، يقال : أَسَّاه أى عَزَّاه ، ويقال : هَلُمَّ نُؤَسِّى فلانا أى نُعَزِّيه ، والأَسَى : السُّلُوُّ والصبر .

جَزَى الله رَبُّ الناس عَنِّى مُنَخِّلا * وإن بان عنى خَيْرَ ما كان جازيا
أخاك الذى إن زَلَّتِ النَّعْلُ لم يَقُلْ * تَعِسْتَ ولكنْ عَلَّ نَعْلُك عاليــا

عَلّ : يقول أَعْلُ ، أى رَفَعَك الله .

وعَوْراءَ قــد قيلت فلم أستمع لها * ولا مِثْلِها مِنْ مِثْل مَنْ قالها لِيا
فأَعْرَضْتُ عنها أن أقول بقيلها * جوابا وما أكْثَرْتُ عنها سؤاليا
وإنى لَأَسْتَحْيِي لنفسى أنْ أُرَى * أَفُتُّ ذِئار النِّيبِ فَوْقَ بَنَــانيا

أَفُتُّ الذِّئار ، يعنى بعر الإبل على خِلْف الناقة إذا صُرَّتْ .

وإنى لَأَسْــتَحْيِيك والخَرْقُ بيننا * من الأرض أن تُلْفَى أَخًا لِىَ قاليا
وإنى لأستحيي أخى أن أرَى له * عَلَىَّ من الحَقِّ الذى لا يَرَى لِيا
ولكِنَّنى قد كُنْتُ مِمــا أشُدُّها * بِأَنْساع مَيْسٍ ثم تَعْلُو القَيافيا
عليهــا فَتًى لا يَجْعَل النوم هَمَّــه * دَلِيلٌ إذا ما الليل أَلْقَى المَرَاسِــيا

[رثاء حكيم بن معية فى أخيه عطية بن معية]

وأنشد لحكيم بن مُعَيَّة أحد بنى ربيعة الجوع يرثى أخاه عطية بن معية :

لو لم يُفَارِقْنِي عَطِيَّـةُ لم أَهُنْ * ولم أُعْطِ أعدائى الذى كُنْتُ أَمْنَع[1]

شجـاعٌ إذا لاقَى ورَامٍ إذا رَمَى * وهابٍ إذا ما آدْلَمَسَ الليلُ مِصْدَع

سأبكيك حَتى تُنْفِد العينُ ماءها * ويَشْفِى منى الدمـعَ ما أتوجع

* * *

وأنشد ليزيد بن المنتشر من بنى قشير : — وكان غاويا فأخذه ثور أخوه فحلق رأسه —

أقول لثَـوْرٍ وهْوَ يَحْلِق لِمَّتِى * بعَقْفاءَ مَرْدُودٍ عليها نِصابُها

تَرَفَّقْ بها ياثور ليس ثوابُها * بهـذا ولكن عند رَبِّى ثوابُها

فَرَاح بها ثَوْرٌ تَرِفٌ كأنَّها * سَلاسِـلُ دِرْعٍ لِينُها وآنسكابُها

خُدَارِيَّة كالشَّرْيةِ الفَرْد جادَها * من الصـيف أنواء رِوَاءٌ سَحابُها

فأصبح رأسى كالصُّخَيْرةِ أَشْرَفَتْ * عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابُها

أَلَا رُبَّمـا ياثَوْرُ قد غَلَّ وَسْطَها * أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضَابُها

قوله : خُدَارِيَّة أى سوداء . والشَّرْية : شجرة الحنظل تُشَبَّه اللِّمَم بها لحسنها ، لأنها غَطِشَةٌ جَعْدة .

وأنشد ليزيد بن الطَّثَرِيَّة :

ألا طَرَقَتْ لَيْـلَى فأحزن ذِكْرُها * وكم قد طَرانا طَيْفُ ليلى فأحْزَنا

ومُعْتَرِض فوق القُتُـود تَحـالُه * مَتَاعًا مُعَـلًّى أو قَتِيـلًا مُكَفَّنا

جَلَوْتُ الكَرَى عنه بذِكْرِك بعدما * دَنَا الليـل وآلْتَجَّ الظلامُ فأَغْدَنا

ألا عَلَّ لَيْلَى إنّ تَشَكَّيْتُ عندها * تَبـارِيحَ لَوْعات الهوى أن تَلِينَّا

على أنها خاست بعهدى وحاذَرَتْ * عُيونَ الأعادى والصَّبِيَّ المُلَحَّنا

المُلَحَّن : الذى يُومِئُ إليك بما يريد ولا يُصَرِّح به . والطَّثْر : أن يَغْلِىَ اللَّبَن فيُكَثِّع فى رأس اللبن ثَخَنٌ ، يقال : قد طَثَرَ اللبن إذا عَلَا ذلك فَوْقَه .

(١) هذا البيت دخله الخرم وتقدم مثله غير مرة .

[حديث الحجاج مع الفرزدق لما حمل حاجب بن خشينة على أهل العراق]

قال أبو محلم: لمَّا كان يومٌ من أيام دَيْرِ الجَمَاجم حَمَل حاجب بن خُشَيْنة العَبْشَمِىّ أحد بنى الخَطَّاب آبن الأعور بن عوف بن كعب بن عبد شمس فى الخيل على أهل العراق مع الحجَّاج فأزال صُفُوفَهم، فقال الحجاج للفرزدق وهو عنده: ألا ترى ما أكرم حَمْلة آبْن عَمِّك؟ فقال: أيها الأمير، إنه رجل جَوَاد، وقد سَفَرَ ماله فحَمَل حَمْلة مُفْلِس، فقال له الحجاج: فهل لك أن تَحْمِل كما حمل وأُلْحِقَ عطاءك بعطائه؟ فقال: إنى أخاف إذا حَمَلْت أن ينقطع أصل العطاء.

قال أبو محلم يقال: سَفَرَ الرجلُ ماله أى مَزَّقه. وسَفَر الرجل شَعَره وجَلْمَطه وجَلَطه وسَحَفه أى حَلَقه. قال ثعلب: كان آبن الأعرابى ينشد:

مُولَعَات بِهَاتِ هاتِ وإن شَفَّـــــر مالٌ طَلَبْن مِنْـكَ الخِلَاعا

بجعل المـال هو الفاعل، ولا يُنْكَر أن يكون أبو محلم لم يسمع البيت، بجعـل الرجل فاعلا. قال أبو الحسن: حفظى بالسين غير المعجمة مخففا ومثقلا والشين منكرة[1]، فإما أن يكون آبن الأعرابى سها أو سها الحاكى عنه. قال أبو على: سَفَر من سَفَرْت البيت أى كَنَسْته، فكأنه لما مَزَّق ماله كَنَسه. وشَفَّر بالشين يجوز على وجه بعيـد، كأنه أنفق ماله فبقى المـال على شَفِير. ويمكن أن تكون الشين بدلا من السين كما قالوا: الجِحَاس والجِحَاش. وأنشد لرجل من عُكْل يقال له السَّمْهَرِىُّ بن أسد:

أقـول لأدنى صاحِبَىَّ نَصيحةً * ولِلأَسْمَـــر المِغْوارِ ماتَرَيانِ

الأسمر هنا: رجل من طَيِّئ:

فقال الذى أبدى لِىَ النُّصْح منهما * أَرَى الرَّأْىَ أن تَجْتَازَ نَحْوَ عُمَان
فإن لا تَكُنْ فى حاجِبٍ و بِلاده * نَجَاةً فقد زَلَّتْ بك القَدَمان
فَتًى من بنى الخَطَّاب يَهْتَزُّ للنَّدَى * كما آهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفْرَتَيْنِ يمـان
هو السيف إن لا يَبْتَه لان مَتْنُه * وغَرْباه إن خاشَنْتَه خَشِنان

حاجب هذا هو حاجب بن خُشَيْنة العبشمى.

(١) أورد البيت صاحب المحكم فى مادة شفر بالمعجمة وخلع، وحكى أن تشفير المـال قاله.

[كتاب الفرزدق الى تميم بن زيد عامل الحجاج فى رجل كان معه فى البعث يقال له خنيس]

قال أبو محلم : كان تَمِيم بن زيد القَيْنى — والقين بن جَسْر من قُضَاعة — عاملا للحجاج على السِّنْد، وكان معه فى البعث رَجُلٌ من بكر بن وائل يقال له خُنَيْس ، وكانت أُمُّه رَقُوبا لم يكن لها ولد غيره ، فطال تَجْمِيرُهم إيَّاه — قوله رَقُوبا ، الرَّقُوب : التى لاتلد إلا واحدا . والتجمير : أن يَطُول مُقَامه فى البَعْث ، يقال : جُمِّر فلان أى حُبِس عن أهله — فاشتاقت إليه أمه ، فَدُلَّتْ على قبر غالب ابن صَعْصَعة أبى الفَرَزْدَق ، فعاذت بقبره — وقَبْرُه بكاظمة وهو موضع بين اليمامة والبصرة على البحر وفيه رباط — فَوَجَّه الفرزدق الى تميم رجلا وكتب معه :

تَمِيمَ بن زَيْدٍ لا تكُونَنَّ حاجتى * بظَهْرٍ ولا يَعْيَا علىَّ جوابُها

قال أبو على وأنا أقول : ولا يُعْيِي أجود .

خَذَلَّ خُنَيْسا واتَّخِذْ فيه مِنَّةً * لِحَوْبَةِ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرَابُها

أتتنى فعاذت ياتَمِيمُ بغالبٍ * وبالحُفْرة السافى عليها تُرَابُها

فنظر تميم فلم يَعْلَم : أَسمُ الرجل خُنَيْس أم حُبَيْش ، فقال له كاتبه : تراجعه ، فقال بعد قوله ولا يَعْيَا علىَّ جوابها : ولكن خَلِّ كلَّ من فى الجيش من خنيس وحبيش ، فخلَّاهم فرجعوا الى أهليهم .

* * *

وأنشدنا أيضا لعُوَيف يمدح طلحة بن عبد الله بن عوف أخى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما :

فَقَدْتُ حَيَاةً بعد طَلْحة حُلْوةً * إذا شَعَبَتْه أن يُجِيب شَعُوب

يَصُمُّ رجالٌ حين يُدْعَوْن للنَّدَى * ويُدْعَى ابْنُ عوف للندى فيجيب

وذاك امرؤ من أىِّ عِطْفَيْه يلتفت * الى المَجْد يَحْوِى المَجْدَ وهْوَ قريب

قال أبو محلم : أنشد جرير قول الأخطل :

وانِّى لَقَوَّامٌ مَقَاوِمَ لم يكن * جَرِيرٌ ولا مَوْلَى جَرِيرٍ يَقُومها

يعنى الفرزدق ، فلما بلغ جريرا ذلك قال : صَدَق ، يَقُوم عند اسْت القَسِّ يأخذ القُرْبان .

وقال أبو محلم قال أبو الحسناء العنبرى للفرزدق : قد كَفَاكَه جَرْوُ هِرَاشٍ ، يعنى جريرا لم يَكِلْه الى هجائك ، فقال له الفرزدق : قد علمتُ فى طُول عُنُقك أنك أحمق .

وأنشد لمسعود بن وكيع أحد بنى عبد شمس :

لَيْتَ[1] شَبابى عادَ لى الأَوَّلى * وعَيْشَ عَصْرٍ قد مَضَى أَغْرَلِّى
هَفْهَفَةَ أَطْلَالُهُ مُظِلِّى * إذ ذاك لم يُقْلَ ولم يُمَلِّى
وَمَأْدُ غَيْسَانِىَ مُتْمِهِلِّى * أَرُوح قد أُزْجِى لِىَ الطَّوَلِّى

قال أبو على يقال : عيش أغرل وأرغل أى تام لم ينقص منه شىء . والأغرل من الرجال : الأقلف . ومُتْمَهِلٌّ : تامٌّ . والغَيْسان : الشباب والنشاط ، قال أبو على وقال غيره : الغيسان : أول الشباب . ومَأْدُهُ : تَثَنِّيه .

ولم يُحزنى الْكِبَرُ الهِدْمِلِّى * ويَلْتَفِعْ بالشَّمَطِ المِسْحَلِّى
ولم يَبِنْ غَيْدَانِىَ المُضِلِّى * كَأَنَّمَا بى من نُحُولِى سُلِّى
أو مِنْ نَطَاة خَيْبَرٍ بِى مَلِّى * وما تَرُدُّ لَيْتَ أولَعَلِّى

قال أبو على : الهِدْمِلُ : الذى انتهى عُمُرُه . والمِسْحَلان : جانبا الرأس . ويَلْتَفِعْ : يَلْتَحِفْ . والغَيْدَان : الشباب والنشاط . وخَيْبَر : مَحَمَّة ، وإليها تنسب الحُمَّى وهى قريتان : نَطَاة والشِّقُّ . ومَلٌّ : حَرٌّ .

ولَيْلَةٍ طَخْيَاءَ يَرْمَعِلِّى * فيها على السارى سَدًا مُخْضَلِّى
لها مِنَ آثناء الظَّلام جُلِّى * كأنما طَعْمُ سُرَاها الخَلِّى
أسْأَدْتُها إذا الضَّعَافُ كَلُّوا * وسَئِموا دُلْجَتَها ومَلُّوا

قال أبو على : طَخْيَاء : مظلمة . والسَّدَا : ما سقط من السماء من النَّدى . وأثناءُ الظلام : المتراكمة قد تَثَنَّى بعضُها على بعض . وأسْأَدْتُها : سِرْتُ فيها .

وهابَهَا الجَنَّامَةَ الهِوَلُّ * إن جارَ هادِيها ولم يَنْدَلِّى
أو ضَلَّ فى المَوْماة لم أَضِلّ * ماض على ماهَوَّلَتْ مُدِلُّ
* كما تَقَضَّى إذ غدا الأَجْدَلُّ *

(١) كذا وقعت هذه الأرجوزة فى الأصل مضبوطا رويها بالرفع تارة والجر أخرى ومرة بهما معا كما ترى ، هذا الضبط بقلم الشيخ محمد الشنقيطى فى نسخته .

قال أبو على : الجَثَّامة : الذى يَجْثِم فى مكانه . والهِوَلُّ : الذى يَهُوله الشىءُ . والأَجْدَل : الصَّقْر. وتَقَضَّى : انْقَضَّ . قال أبو محلم : النَّدَى : ما كان من نَدَى الأرض . والسَّدَى : ما كان من ندى السماء . وقال حكيم بن مُعَيَّة الراجز :

قد أغْتَدِى والطَّيْرُ ما يطير * وللنَّـدَى من السَّدَى غَدِير

قال أبو محـلم يقال فى بعض أمثال العرب : « إنَّ تَحْتَ طِرِّيقَتِه عِنْدَأْوَةً» ، طرِّيقته : إطراقه وسكونه . وعِنْدَأْوَة : داهية .

وأنشد أبو محلم للبَرْدَخْت على بن خالد الضَّبِّى أحد بنى السِّيد بن مالك بن بكر بن سَعْد بن ضَبَّة :

إذا كان الزمانُ زمان عُكْلٍ * وتَيْم فالسَّلامُ على الزمان
زمان صار فيه العِزُّ ذُلًّا * وصار الزُّجُّ(١) قُـدَّام السِّـنان

قال أبو الحسن : حفظى : قادمة السِّنان

لعـــل زمانَنـا سَيَعُود يوما * كما عاد الزمان على بِطَـان

بِطَان بن بِشْر الضَّبِّى :

أبَعْـدَ مُحَمَّـد وأبى حصين * وبعـد القَرْم عَتَّاب الطِّعان
وبعـد أبى سليمان إذا ما * تَرَوَّح للندى سَبِطَ البَنَان
تُرَجِّى الخـيرَ أو تَرْجُو ثَرَاءً * إذا شَنِجَت(٢) بنـائلها اليَدَان
فما ضَرَبَتْ ضِرَارُ فيك عِرْقًا * مَتَى جَرَتِ الكَوَادِنُ(٣) فى الرِّهان

محمد بن عُمَيْر بن عُطارد بن حاجب بن زُرَارة . وأبو حصين : زيد بن حصين الضَّبِّى أحد بنى السِّيد وكان على أصبهان . وعَتَّاب بن وَرْقاء الرِّياحى . وأبو سليمان : خالد بن عَتَّاب بن ورقاء .

وأنشد أبو محلم للمَعْلُوط السَّعْدِىّ :

نَعَرَ الخَلِيطُ نَوًى عليك شَطُونا(٤) * وأراد يوم عُنَـيْزَةٍ لِبِينـا
غَيْرَان شَمَّصه(٥) الوُشَاةُ فنَفَّرُوا * وَحْشًا عليك عَهِدْتُهُنَّ سُكُونا

(١) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح . (٢) شنجت : تقبضت . (٣) الكوادن من الخيـل : الهجان .
(٤) نوى شطون : بعيدة . (٥) التشميص فى الأصل : نخس الدابة لتسرع فى السير ، والمراد هنا أن الوشاة نفروه حتى فعل فعل الدابة الشموص .

إن الظَّعائن يَوْمَ حَزْم عُنَيْزة * أَبْكَيْن يوم فراقهن عُيُونا
غَيَّضْن من عَبَراتهنَّ وقُلْنَ لى * ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا
أَعُصِيتَ يَوْم لوَى الغُمَيْر فإننا * يوم المُجَيْمِر مِثْلَ ذاك عُصِينا
لولا الخليلُ يَخاف لَوْمَ خليله * لاتُزْمِعَنَّ لنا المَلَامةَ حِينا
إن الليالى يالَهُنَّ لَيالِيًا * قَرَّتْ بهنَّ عُيونُنا ورَضِينا
كنا قُبَيْلَ فَنائهن بِغِبْطَة * يالَيْتَهُنَّ بذى السَّلام بَقِينا
ما بال قولك قد غُبِنْت ولم أكن * عند المواطن فى الأمور غَبِينا
أَفَلَمْ تَرَيْنى للكِرام مُكَرِّما * وبَنِي اللِّئَام وللسَّوَام مُهِينا

* * *

قال أبو محلم يقال : جل دِلْعَوْسٌ ومُجَامِجٌ ودُحَامِس وجَلْفَزِيز إذا كان عظيما ضخما، وأنشد :

يارُبَّ خالٍ لكَ بالحَزِيز(١) * خَبٍّ على لُقْمَتِه جَرُوز(٢)
مُهْتَضِم فى ليلة الأزِيز * كلَّ كثير اللحم جَلْفَزِيز
* بَيْنَ سُمَيْراء وبَيْنَ تُوزِ *

قال أبو على : كذا أملى علينا الأزيز بزايين ، وهو عندى الأرِيز براء وزاى وهو شدة البرد . ومُهْتَضِم : يأخذ الناقة فيَسْرِقُها ويُصَيِّرها فى أَهْضام الوادى وهى ما خفى منه .

[عبد الملك بن مروان وحسن استماعه للحديث]

قال أبو على قال أبو الحسن الأخفش : قرأت على أبى جعفر محمد بن على بن الحسين رحمه الله تعالى، وذكر أبو جعفر أنه سمع ذلك مع أبيه من أبى محلِّم، قال أبو محلم حدثنى أبو نُعَيم الفَضْل ابن دُكَيْن عن زكرياء بن أبى زائدة عن الشَّعْبى قال : ربما حَدَّثْت أمير المؤمنين عبد الملك بن مَرْوان رحمه الله تعالى وقد هيأ اللقمةَ، فيُمْسِكها فى يده مُقْبِلا علىَّ، فأقول : أَحِرْها يا أمير المؤمنين، فإن الحديث من ورائها، فيقول : الحديث أشهى الىَّ منها . أحرها أى أَزْدَرِدْها .

قال : وكان من كلامهم : مارأيت أحدا أَطَرَّ ضَرْسا ولا أَسْرَع إحارةً للرغيف منه . أَطَرُّ : أَحَدُّ .

(١) الحزيز : موضع . (٢) الجروز : السريع الأكل .

[شعر حريث بن سلمة]

قال وأنشدنا أبو محلم لحريث بن سلمة بن مُرَارة بن مُحَفِّض أحد بنى خزاعىّ بن مازن هذه الأبيات :

ألم تَرَ قومى إذ دعاهم أخوهم * أجابوا وإن يَرْكَبْ الى الحرب يَرْكبوا
هُمُ حَلَفُوا عند الحَايْس ومُدْرِك * وعند بلال لا أسِيرُ ويَشْرَبُوا

قال : هؤلاء سلاطين كلهم ، يقول : إنى إن سُيِّرْت أى حُلِّئْت عن الماء لم يشربوا هم .

وهم حَفِظوا غَيْبِى كما كنت حافظا * لهم غَيْبَ أخرى مثلها لو تَغَيَّبوا
بَنُو الحرب لم تَقْعُدْ بهم أُمَّهاتهم * وآباؤهم آباء صِدْقٍ فأَنْجَبُوا
وإنِّى لأَجْلُو عن فَوَارِسِىَ العَمى * إذا ضَنَّ بالنفس الجَبان المُوَجَّب

المُوَجَّب : الذى يَجِبُ قلبُه من الجُبْن :

أجود إذا نفسُ البخيل تَطَلَّعَتْ * وأَصْبِر نفسى والجَماجم تُضْرَب

وأنشدنا أيضا لحريث بن سلمة :

إنْ تَكُ دِرْعى يوم صَحْراء كُلْبَة * أُصِيبت فما ذا كم عَلَىَّ بِعار
ألم تَكُ من أَسْلابكم قبل هذه * على الْوَقَبَى يوما ويومَ سَفَار

يوم صَحْراء كُلْبة ، وهى موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل . والوَقَبَى وكذلك سَفَار : ماء لبنى مازن .

فتِلْك سَرَابِيلُ آبنِ داودَ بَيْنَنا * عَوَارِىّ والأيام غيرُ قِصَار

قال أبو على : السَّرَابيل : الدروع لداود ، فجعلها لسليمان .

وكائنْ أَخَذْنا منكم مِنْ أَخِيذة * مِنَ البِيض شَنْباء اللِّثات نَوَار
ومن سَيِّدٍ ضَخْمٍ كأن مَجَرَّه * بحيث تَلاقَيْنَا مَجَرُّ حُوَار
وسابغةٍ زَغْفٍ (١) ونَهْدٍ مُقَلِّصٍ (٢) * وأَدْماءَ من سِرِّ الهِجَان حِضَار
ونحن طَرَدْنَا الحَىَّ بَكْرَ بن وائل * الى سَنَةٍ مثل السِّنَان ونار

(١) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويوصف بها المفرد والجمع .
(٢) مقلص : وثاب .

قال أبو على : سَنَة، أراد أَسْكَاهم السواد وهو بلد وباء .

وحُمَّى وطاعُونٍ ومُومٍ وحَصْبَةٍ * وذى لِبِدٍ يَغْشَى المُهَجْهِجَ (١) ضارى
وحُكْمِ عَدُوٍّ لا هَوَادَةَ عنده * ومَنْزِلِ ذُلٍّ فى الحياة وعار
فإنَّ تميما لم تَدَعْ بطنَ تَلْعَةٍ * لكم بَيْنَ ذى قار وبين وَبَار

قال أبو على : وقع فى الكتاب وِبَار بكسر الواو، والصواب وَبَار بفتحها .

أزاحَتْكُمُ عنها الرِّماحُ وفِتْيَةٌ * مَسَاعِيرُ حَرْبٍ كلَّ يومٍ غِوَار
فأَقْعُوا على أذنابكم وتَنَكَّبُوا * مُهَادَاتَنَا فى كل يوم نِفَار
وطاعَنْتُ جَمْعَ القوم حتى رأيتُهم * على قُلُصٍ تَعْدُو بهم وبِكَار
فأَضْحَوْا بِدُرْنَى (٢) والوجوهُ كأنها * وجوه كلاب يَهْتَرِشْنَ (٣) حِرار
وكانت يمينا قبل ذاك جَعَلْتُها * علىَّ فقد أوقَعْتُها بقَرَار
لَأَلْتَمِسَنْ منكم كَمِيًّا بضَرْبةٍ * إذا ما أنا شَاهَدْتُ يَوْمَ ذِمار
فإن هى نالت نَفْسَه لم أُبَالِها * وإن يَنْجُ منها فهى ذاتُ حِبَار (٤)

قوله : أوقعتها بقَرَار أى أوقعتها مَوْقِعَها .

وقال أبو محلم يقال : وَقَعَ هذا الأمر بِقُرِّه وبِقُرٍّ، أى وَقَعَ مَوْقِعَه، وأنشد :

* فَتَنَاهَيْتُ وقد صابت بِقُرّْ *

قال : وأنشد للفرزدق :

هل تَذْكُرِين إذ الرِّكَاب مُنَاخة * بِرِحالها لِرَوَاح أهل المَوْسِم
إذ نحن نَسْتَرِقُ الحديثَ وفَوْقَنا * مِثْلُ العجاج من الغُبَار الأقْتَم
وكذاك نُخْبِر بالخواجب بيننا * ما فى النفوس ونحن لم نَتَكَلَّم

وأنشدنا أبو محلم لربيعة بن مالك بن سعد بن زَيْدِ مَنَاةَ بن تميم — وهو جاهلى — يتفجع على قومه :

ألا إنَّما هذا المَلَال الذى تَرَى * وإدبار جسمى رَدَّى العَبَرات
وكم من كريم قد تَجَلَّدْتُ بعده * تَقَطَّعُ نفسى إثْرَه حَسَرات

(١) يقال : هجهج بالسبع إذا صاح به ليكف . (٢) درنى : موضع باليمامة . (٣) الاهتراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض . (٤) ذات حبار : ذات أثر فيه وإن لم تقتله .

قال أبو محلم : أنشدنى يونس لرجل من قدماء الشعراء فى الجاهلية :

إن يَغْدِرُوا أو يَكْذِبُوا * أو يَخْتِرُوا[1] لا يَحْفِلوا
يَغْدُوا عليك مُرَجِّلِيـ * ـن كأنهم لم يفعلوا
كأبى بَرَاقِشَ كُلَّ لَوْ * نٍ لَوْنُهُ يَتَحَوَّل

أبو براقش : دُوَيبَّة مثل العَظَاية تراها مَرَّة خضراء ومرة حمراء ومرة صفراء فى وقت واحد .

قال : وأنشد لسنان بن مُحَرِّش السَّعْدى :

وبِتُّ بالحِصْنَيْن غيرَ راض * يَمْنَع مِنِّى أَرَقِى تَغَاضِى
كأنما أُغْضِى على مَضَاض * من الحَلُوء صادق الإمْضاض
* فى العين لا يَذْهَب بالتَّرْحاض *

الحَلُوء : شىء يُكْحَل به الصبيان يُجْعَل فيه زيت ويُحَكُّ على شىء ويُصَيَّر فى خِرْقة . والتَّرْحاض : الغَسْل، يقال : رَحَضْت الشىء إذا غسلته .

قال : وأنشدنا أبو محلم للخَطِيم بن نُوَيْرة العُكْلى :

ألا يا لقومى للشَّباب الذى مضى * حَمِيدا وأخْدَانِ[2] الصِّبا والكَوَاعب
وللعَصْر الخالى وللعيش بَهْجَةٌ * وللقلب إذ يَهْوَى هَوَى آنِسة ناشب
وجاراتها اللاتى كأنّ عيونها * عُيون المَهَا يَفْقَهْنَنا بالحواجب

قال أبو الحسن الأخفش : معناه يَقْبِضْنَها .

حديثًا مُسَدًّى من نَسِيج يُزِينُهُ * من الوُدّ قد يُلْحِمْنَه بالمَعَاتب

وأنشد لمُدْرِك :

ومَدَّدَ عينيه وبَلَّتْ دموعُه * ضَمَارِيطَ وَجْه قد تَثَنَّت غُضُونُها

قال أبو محلم : الضمارِيط : الغُضون ، واحدها ضُمْرُوط . والضُّمْروط أيضا : الغامض من الأرض، قال جرير :

إن عَرِينًا وبَنِى سَلِيط * مُخَلِّفون كَنَفَ الضُّمْروط

(١) الختر : الغدر والخديعة أو أقبح الغدر . (٢) أخدان الصبا : رفاق الصبا .

عمرين بن ثعلبة بن يربوع رهط واقد بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان بدريا وأول من قتل فى الإسلام رجلا من المشركين . قال أبو محلم : أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن واقدا قتل عمرو بن الحضرمى، فقال عليه الصلاه والسلام: "وَاقِدٌ وَقَدَت الحربُ عليهم والحَضْرَمِيُّ حَضَرت الحرب" وتفاءل بذلك صلوات الله عليه .

وقال أبو الحسن أنشدنا أبو محلم :

هَجَرْتُكِ أياما بذى الغَمْرِ إننى * على هَجْرِ أيَّامٍ بذى الغَمْرِ نادم
فلما انقضت أيام ذى الغَمْر وارْتَمَى * بنا الدهر لامتنى عليك اللوائم
هَجَرْتُك أخشى أن تُلامِى وإننى * كعازبةٍ عن طِفْلِها وهى رائم
وليس علينا أن تَجُود بكِ النَّوَى * سوانا ولا مِنْ عَنْ تَمُوت النمائم
ولكنَّما بِى أن تَجُودِى بنائل * سواى وتبقى لى عليك الذَّمائم

قال : وأنشدنا أبو محلم لرجل من بنى العنبر، وقيل إنها لبعض شعراء طيئ :

إنِّى وإن كان ابن عَمِّى كاشحا * لَمُزَايِلٌ من دونه وورائه
ومُعِيرُه نَصْرِى وإن كان امرأً * مترحزحا فى أرضه وسمائه
واذا تَخَرَّقَ فى غِناه وَفَرْتُه * واذا تَصَعْلَكَ كُنْتُ من قُرَنائه
واذا تَجَلَّفتِ الجَوالفُ مالَه * عَطَفَتْ صَحِيحَتُنا على جَرْبائه
واذا غدا يوما لِيَرْكَبَ مَرْكَباً * صَعْباً قَعَدْتُ له على سِيسَائه

سيساؤه : مَتْنُه وظهره، ويقال : ما بين الكتفين وهو مُلْتَقَى العُنُق والظهر .

واذا اكْتَسَى ثوبا قَشِيبا لم أقل * يا ليت أنَّ عَلَىَّ فَضْلَ ردائه

* * *

قال أبو العباس أنشدنى ابن الأعرابى :

أَأُخَيَّ[1] أخبرنى ولستَ بصادقٍ * وأخوك يَنْفَعُك الذى لا يَكْذِب
أمن القَضِيَّة أن إذا استغنيتُمُ * وأَمِنْتُمُ فأنا الغَرِيب الأجْنَب

(١) قائل هذه الابيات : هُنَيّ بن أحمر الكنانى ، وقيل : إنها لزُرَارَة الباهلى ، كذا باللسان مادة «حيس» .

وإذا الشدائد بالشدائد مَرَّةً * أشجيتكم فأنا المحبُّ الأقرب[1]
وإذا تكون كريهةٌ أُدعَى لها * وإذا يُحاس الحيسُ يُدعَى جُندَب
وبجُندَبٍ نَهْلُ البلاد وعَذْبُها * ولِيَ الملاحُ وجَنْبُهُنَّ المُجدِب
عَجَبًا لتلك قضيَّةً، وإقامتى * فيكم على تلك القضية أعجب
تلك الظُّلامَة قد عرفتُ مكانَها * لا أُمَّ لى إن كان ذاك ولا أَب

[مسألة الحجاج لأعرابى كلمه فوجده فصيحا]

قال أبو محلم قال الحجاج لأعرابى كلَّمه فوجده فصيحا : كيف تركْتَ الناسَ وراءك؟ فقال : تركتهم أصلح الله الأمير حين تَفَرَّقوا فى الغيطان، وأخمدوا النيران، وتَشَكَّت النساء، وعَرُض الشَّاء، ومات الكَلْب . فقال الحجاج لجلسائه : أَخِصْبًا نَعَتَ أم جَدْبا؟ قالوا : بل جدبا . قال : بل خِصْبا . قوله : تفرقوا فى الغيطان معناه أنها أَعْشَبَت فإبلُهم وغنمهم ترْعَى . وأَخمدوا النيران معناه اسْتَغْنَوْا باللبن عن أن يَشْتَوُوا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها . وتَشَكَّتِ النساء أعْضَادَهُنَّ من كثرة ما يَمْخَضْن الألبانَ . وعَرُض الشاء : اسْتَنَّ من كثرة العُشْب والمرعى . قال أبو على : الصواب عَرَضَ الشاء وليس عَرُض بشىء . ومات الكَلْب : لم تمت أغنامهم وإبلهم فيأكُلَ جِيفَهَا . ومن أمثال العرب : «نَعِمَ كَلْبٌ فى بُؤْس أهله»، لأنه إنما يَنْعَم فى القَحْط ويَمُوت فى الخِصْب .

* * *

قال أبو على حدّثنا أبو الحسن أحمد بن جعفر بحظة البرمكى قال حدّثنا حرمى قال قال لى أبو الحسن موسى بن هارون حدّثنى يعقوب بن بشر قال : كنت مع إسحاق بن إبراهيم الموصلى فى نُزهة لنا، فمرّ بنا أعرابىٌّ فوجَّه إسحاقُ خلفَه بغلامه زياد الذى يقول فيه إسحاق :

وقُولَا لساقينا زِيادٍ أَرِقَّها * فقَدْ هَرَّ بعضُ القوم سَوْقَ زياد

ومعنى هَرَّ كَرِه، قال الشاعر :

أحِينَ بَلَغْتُ من كِبَرِى أَشُدِّى * وهَرَّ لقائِىَ الأَسَدُ الهَصُور

---

(١) الذى باللسان فى مادة حيس :

وإذا الكتائب بالشدائد مرة * هجرتكُمُ فأنا الحبيب الأقرب

قال : فوافانا الأعرابى ، فلما شرب وسمع حَنين الدواليب قال :

باتت تَحِنُّ وما بها وَجْـدِى * وأَحنُّ من وَجْـدٍ الى نَجـد
فدموعُها تَحْيَا الرياضُ بهـا * ودموعُ عينى أحرقت خَدِّى
وبساكِنِى نَجْـدٍ كَلِفْتُ وما * يُغْـنِى لهم كَلَفى ولا وَجْدى
لوقِيسَ وَجْدُ العاشـقين الى * وجدى لزاد عليه ما عنـدى

قال : فما مضى إسحاق الى منزله إلا محمولا سُكْرًا .

[مطلب دخول المأمون على أم الفضل بن سهل بعد قتل ابنها وما قاله يعزيها وما أجابت به]

قال وحدّثنى أبو الحسن قال حدّثنى ميمون بن هارون قال : لما قُتِلَ الفضـل بن سهل دَخَلَ المأمون على أمه فوجدها تَبْكِى ، فقال لهـا : أنا أَبْنُـكِ مَكانَه فَدَعِى البكاءَ ، فقالت : إنّ ابنا تَرَكَ لى ابنا مثلك لَجَدِيرٌ أن يُبْكَى عليه .

[بنـان وفضـل الشاعرة]

وحدّثنا أبو الحسن قال حدّثنى على بن يحيى قال : كان بَنَـانٌ يَتَعَشَّق فَضْـلَ الشاعرةَ وكانت تَتَعَشَّقه ، فبلغه عنها ما يكره ، فَتَجَنَّبها . فصارت الىَّ مُسْتَعْتِبةً له ، وسألتنى أن أجمع بينهما لتَحْلِف له ، فَفَعَلْتُ . فلما حَلَفَتْ له قَبِل وأقام عندى ، فلما دار النبيذ بينهما دَعَتْ بالدواة فكتبت :

يا فَضْـلُ صَـبْرًا إنَّها مِيتَةٌ * يَجْرَعُها الكاذب والصادق
ظَنَّ بَنَانٌ أنَّنى خُنْتُـه * رُوحِى إذًا من بَدَنِى طالِقُ

* * *

قال أبو على قال لى أبو الحسن بحظة قالت حَبَشِيَّة : بات عندى المتوكّل ليلةً وخرج من عندى نصفَ الليل ، فغلبتنى عينى ، فرأيت قائلا يقول لى فى النوم : ياحبشية ، حَمَلْتِ الليلة بأشأمِ خَلْقِ الله ، فكان المنتصر ، فجلس يوما على البساط الذى بُسِط له على البِرْكة المربعـة بعد قتل أبيـه ، فرأى على البساط صورة مكتوبة عند رأسها بالفارسية ، فدعا ببعض الفُرْس فقرأها ، فكانت هذه صورة بابك ابن بابكان الذى قَتَلَ أباه ، فما عاش بعده إلا ستة أشهر ، وكذلك أتّفق للمنتصر .

قال وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا حماد عن أبيه :

جَفَانا أبو صالح بعد ما * أقام زمانا لنا واصلا
يَرُوح ويَغْدُو بألواحه * الى الباب مسترشدا سائلا
فلما تَرَأَّس فى نفسه * وليس لذلك مُسْتَاهِلا
تَنَبَّلَ عَنَّا فلم يأتنا * وما كنت أحسبه فاعلا
فعاد كَحَيْرانَ فى جهله * كما كان مِنْ قبلِهِ جاهلا

قال فأجابه :

بَخِلْتَ وَأَعْقَبْتَ الجَفاءَ وإنما * يُؤاخى من الفتيان كلَّ فَتًى سَمْحِ
ولستَ بسَمْحٍ لا ولا فى أُرُومةٍ * ولكنَّ مطبوعا على اللؤم والشحِّ

قال : وأنشدنا أبو الحسن قال أنشدنا أبو هَفَّان لبعض المحدثين :

تَعَوَّذْ إذا أصبحتَ من دَوْلة الغِنى * أبا حَسَنٍ وادْعُو إلٰهَكَ بالفقر
رأيناك ما آستغنيتَ لا تَحْمِل الغِنى * وتَلْبَسُ جِلْبابًا من التِّيه والكِبْر
وأنتَ إذا أعْسَرْتَ خِلٌّ موافق * تَبَرُّ وتَلْقَى بالمودَّة والبِشر
فَلَيْتَكَ ما أعسرت فينا مُخَلَّدٌ * وليتك ما أَيْسَرْتَ فى ظُلْمة القبر

قال أبو على : أنشدنا جَحْظة لنفسه :

فلا تَيْأَسْ وإن صَحَّتْ * عَزِيمتُهم على الدَّلَجِ
فإنّ الى غَداة غَدٍ * يَجِىءُ الله بالفَرَجِ

قال : وغَنَّى ثُمَرَةُ للمستعين بالله هذين البيتين :

وما أَنْسَ لا أنْسَ ذاك الخُضوع * وفَيْضَ الدموع وغَمْزَ اليد
وخَدًّى مُضافٌ الى خدها * قيامًا الى الصبح لم نَرْقُد

قال : وأنشدنا أبو العِبَر لنفسه :

وفى ساعدى مِمَّنْ تَعَلَّقْتُ عَضَّةٌ * تُذَكِّرنى ذاك الشَّنِيبَ المُفَلَّجا
وآثارُ خَدْشٍ فى يَدَىَّ مليحةٌ * أقام عليها القلبُ منِّى وعَرَّجا
أما والذى أمسيتُ أرجو ثوابه * لقد حَلَّ ما أخشاه وٱنقطع الرجا

قال : وأنشدنا قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

دَبَّ المَشِيبُ الى الشبا * ب دَبِيبَ ذى خَتْلٍ مُسَارِقْ
إن المَشِيب طليعةٌ * للموت فى كل الخلائق

وأيضا :

زَعَمُوا أن حُبَّها كان سِحْرًا * ظَلَموها وسُورةِ الأنفالِ
مارأت بابِلًا ولا تُحْسن السحـ * ـرَ سُلَيْمَى إلا بحسن الدلالِ

قال : وأنشدنا عبد الله بن طاهر لنفسه :

يَزِيدُنِى البُعْدُ شوقا إليك * وطُولُ صُدودك حِرْصًا عليك
ولو كنت أملك ما تَمْلكين * من الصبر ماطال شوقى إليك

قال : وأنشدنا أبو هفان :

أمِثْلى يُرَوَّع بالنائبات * ويَخْشَى بَوَائق صَرْف الزمن
أذاقنىَ اللهُ مُرَّ الهوان * وأدخلنى فى حِرَامى إذَنْ

قال : وأنشدنا الناشئ لنفسه :

وكان لنا أصدقاء حُمَاة * وأعداءُ سوءٍ فلم يَخْلُدوا
تَساقَوْا جميعا كئوس الحِمَام * فمات الصَّدِيق ومات العَدُو

[مطلب أن إسحاق الموصلى كان لكثرة علومه وفنونه أول داخل على المأمون مع أهل العطاء على آختلافهم لقبض عطائه]

قال وحدّثنى أبو الحسن قال : سمعت ميمون بن هارون يقول قال حُمَيْد الطُّوسى : كنت حاضرا دهليز المأمون، فدعا بالناس لقبض أرزاقهم، فكان أوّل من دخل إسحاق الموصلى مع الوزراء، ثم دعا بالقُوّاد فكان أوّل من دخل إسحاق الموصلى، ثم دعا بالقضاة فكان أوّل من دخل إسحاق، ثم دعا بالفقهاء والمُعَدِّلين فكان أوّل من دخل هو، ثم دعا بالشعراء فكان أوّل من دخل هو، ثم دعا بالمُغَنِّين فكان أوّل من دخل هو، ثم دعا بالرُّماة فى الهَدَف فكان أوّل من دخل هو، فعجبت من كثرة علمه وفنونه .

* * *

قال : وحدّثنا أبو الحسن قال أنشدنى خالد الكاتب لنفسه :

كتبتُ اليك بماء الجفون * وقلبى بماء الهوى مُشْرَب
فكَفِّى تَخُطُّ وقلبى يُمِلّ * وعيناى تمحو الذى أكتب
فليس يتم كتابى إليك * لشوق فَمَنْ ها هُنا أعجب

* * *

قال أبو على حدّثنا أبو بكر محمد بن مزيد أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى أبو غَزِيّة الأنصارى ثم أحد بنى مازن بن النجار قال حدّثنى مجمع بن يعقوب الأنصارى قال : أدركت حَسَّان بنَ الغَدِير شيخا كبيرا من أجمل الشيوخ وأحسنهم ، فحدّثنى قال : سارت علينا سائرة من بنى جُشَمَ بنِ بكر ، فرأيت فيهم فتاةً ما رأيت فى نُساء العرب مثلها حسنا ، فكنت أخطبها ، فلم يُقَدَّر لى تزويجُها ، فضرب الدهرُ بيننا ، فإنى بعد ذلك بأربعين سنة لَقِيت بلادى إذ أهلوها قد ساروا ، وإذا بها عجوز تسأل عنى ، فلما دَفَعَتْ الى ورأت كِبَرى قالت : أأنت ابن الغدير؟ فقلت : نعم ، قالت : لقد أَكَل الدهرُ عليك وشَرِبَ ! قال : فذلك قولى فيها وقد كَبِرت أيضا وتغيرت :

قالت أُمامة يوم بُرْقَةِ واسط * يا بن الغَدِير لقد جَعَلْتَ تَنَكَّرُ
أصبحتَ بعد شبابك الغَضِّ الذى * وَلَّت شَبِيبتُه وغُصْنُكَ أخضر
شيخا دِعَامَتُك العَصا ومُشَيَّعًا * لا تَبْتَغى خَبَرًا ولا تُسْتَخْبَر
فأجبتُها أنْ مَنْ يُعَمَّر يَعْتَرِف * ما تزعمين ويَنْبُ عنه المَنْظَر
ولقد رأيتُ شبيهَ ما غَيَّرْتنى * يَسْرى علىَّ به الزمان ويُبْكِر
وجعلتُ يُغْضِبُنى اليسيرُ ومَلَّنى * أهلى وكنت مكرَّما لا أُكْهَر (١)
وشَرِبْت فى القَعْب الصغير وقادنى * نحوَ الجماعة من بَنِىَّ الأصْغَرُ

قال أبو على : أخبرنا أبو بكر محمد بن مزيد أبى الأزهر قال حدثنا الزبير قال : أنشدنى أبى لحكيم ابن عِكْرِمة :

(١) لا أكهر : لا أنهر .

تقـــول بُثَيْنَـــةُ إذ أَنكَرَتْ * قُنُوءا من الشَّعَر الأجمر
برأسى كَبِرْتَ وأَوْدَى الشباب * فقلت مجيبا لها أَقْصِرى
أما كنتِ أبْصَرْتِنى مَرَّةً * ليالِىَ نحن بذى جَوْهَر
ليـالِىَ أنـتم لنـا جِـيرةٌ * ألا تذكرين! بلى فاذكرى
واذ أنا أَغْيَدُ غَضُّ الشباب * أَجُرُّ الرِّداء مـع المِـئْزَر

أنشدنيه الزبير بطرح الواو، وأصحاب العروض يُسَمُّونه المخزوم .

وإذ لِمَّتى كجَنَاح الغُـراب * تُرَجَّل بالمسك والعنـبر
فَغَـيَّرَ ذلك ما تعلمين * تَغَـيُّرُ ذا الزمن المُنْـكَر
وأَنْتِ كلؤلؤة المَـرْزُبان * بمـاء شـبابك لم يُعْصَر
وقد كان مضمارنا واحدا * فأنّى كَبِرْتَ ولم تَكْبَرى

[إنشاد الحجاج شعر مالك بن أسماء]

قال أبو على وحدثنى أبو بكر بن أبى الأزهر قال أخبرنا الزبير بن بكار فى صفر سنة ست وأربعين ومائتين قال حدثنى عبد الله بن إبراهيم الجمحى قال حدثنا سعيد بن سليم : كان الحجاج بن يوسف ينشد قول مالك بن أسماء :

يا مُنْزِلَ الغَيْث بعد ما قَنِطُوا * ويا وَلِىَّ النَّعماء والمِنَن
يكون ما شئتَ أن يكون وما * قَدَّرْتَ أن لا يكون لم يكنِ
لو شِئْتَ إذ كان حُبُّها عَرَضًا * لم تُرِنِى وَجْهَهـا ولم تَرَنِى
ياجارة الحَىِّ كُنْتِ لى سَكَنًا * إذ ليس بَعْضُ الجيران بالسَّكَن
أَذْكُر من جارتى ومجلسها * طَرَائِفًا من حَديثها الحَسَنِ
ومن حَدِيثٍ يَزِيدُنى مِقَـةً * ما الحَدِيث المَوْمُوق من ثَمَنِ

ثم يقول : أَحْسَن! فَضَّ الله فاه (١)!

(١) هذه الجملة إن لم تكن لا فيها سقطت من الناسخ فهى جملة مراد بها التعجب لا الدعاء كقولهم : قاتله الله ما أحسنه .

[مطلب ما وقع لجابر الزرامى مع أوفى بن مطر الخزاعى وانسلال جابر من قومه استحياء من كذبته]

قال وحدثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدثنى محمد بن يزيد قال حدثنى التوزى عن أبى عبيد قال: خرج ثلاثة نفر من بنى مازن وهم أَوْفَى بن مطر الخُزاعى وجابر ومالك الزَّرَاميَّان ليُغيروا على بنى أسد ابن خزيمة، فَلَقُوا أعداءهم، فَقُتِل مالك وأَرْثَثْتُ[1] أوفى جريحا، فقال أوفى لجابر: احملنى، قال: إن بنى أسد قريب وأنت مَيِّتٌ لا محالة، وأن يُقْتَلَ واحد خير من أن يُقْتَل اثنان، قال: وَيْحَكَ! فازْحَفْ بى الى عَمَايَةَ، قال: عماية أرضٌ فَضَاءٌ ولا يَسْتُرُك منها شيء، قال: فانهض بى الى قُسَاس، قال: ماقساس إلا حَرْمَلة لبنى أسد، قال: فَمَاوانَ، قال: إنما ذلك تَحْتَ أقدامهم، ونَجَا. فأتى الحَىَّ فأخبرهم أن أوفى ومالكا قد قُتِلا، وتَحَامَل أَوْفَى الى بعض هذه المياه فَتَعالَج به حتى بَرَأ، ثم أَقْبَل. فقال رجل من القوم وجابرٌ فيهم: لولا أن المَوْتَى لم يَئِنْ بَعْثُها لأنبأتكم أن هذا أوفى! قال أبو عبيدة: فانْسَلَّ جابر من القوم فما يُدْرَى أين وَقَع ولا وَلَدُه الى الساعة اسْتِحْياءً من القوم من كَذْبته التى كَذَبَها، وخُبِّر أوفى بما قال جابر، ففى ذلك يقول:

ألا أَبْلِغَا خُلَّتى جابِرا * بأن خَلِيلَكَ لم يُقْتَلِ
تَخَطَّأَتِ النَّبْلُ أحشاءَه * وأَخَّرَ يَوْمِى فلم يَعْجَلِ
تَجَاوَزْتَ مَاوانَ عن ساعة * وقُلْتَ قُسَاسُ من الحَرْمَلِ
وقُلْتَ عَمَايةُ أرضٌ فَضَاءٌ * فَلاأْيًا أَؤُوبُ الى مَعْقِلِ
فَلَيْتَكَ لم تَكُ من مازِنٍ * ولَيْتَكَ فى الرَّحْمِ لم تُحْمَلِ
ولَيْتَ سِنَانَكَ صِنَّارَةٌ * ولَيْتَ رُمَيْحَكَ من مِغْزَلِ
ولَيْتَ بِحَقْوَيْكَ ذا زَرْنَبٍ * جَمِيشًا يُرَكَّلُ بالفَيْشَلِ

قال أبو على: الزَّرْنَب: لحم الفرج من خارج. والكَيْنُ: لحمه من داخل

* * *

قال أبو على وأنشدنا قال أنشد أحمد بن يحيى لوزير بن عبد الرحمن الأسدى:

أيا كَبِدا ماذا أُلَاقِى من الهوى * إذا الرَّسُّ فى آل السَّراب بَدَا لِيَا
ضَمِنْتُ الهوى للرَّسِّ فى مُضْمَرِ الحَشَا * ولم يَضْمَنِ الرَّسُّ الغَدَاةَ الهوى لِيَا
أَعُدُّ الليالى لَيْلَةً بعد ليلة * لِلُقْيَانِ لاهِ ما يَعُدُّ الليالِيَا

(١) ارثث: حمل من المعركة رثيثا أى جريحا.

✦ ✦ ✦

قال أبو على : وأنشدنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال أنشدنى أحمد بن يحيى نُمَير بن كُهَيْل الأسدى :

ذَكَرْتُكِ والحَجِيجُ لهم ضَجِيجٌ * بمكّة والقلوبُ لها وَجِيبُ
فقلت ونحن فى بَلَدٍ حرام * به لله أُخْلِصَتِ القلوب
أتوب اليكَ يارَحْمَنُ مما * عَمِلْتُ فقد تَظَاهَرت الذُّنُوب
وأمّا مِنْ هَوَى سُعْدَى وحُبِّى * زِيارَتَها فإنى لا أتوب
وكيف وعندها قلبى رَهِينٌ * أَتوب اليكَ منها أَوْ أُنيب

قال : وأنشدنا أيضا قال أنشدنى أحمد بن يحيى لبعض الأعراب :

تَمُرُّ الصَّبا صَفْحًا بساكن ذِى الغَضَا * ويَصْدَع قلبى أن تَهُبَّ هَبُوبُها
قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما * هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حيث كان حَبِيبُها

قال وحدّثنا أبو الحسن أحمد بن جعفر بحظة البرمكى قال : من عجيب ما أنشدنا أبو العباس ثعلب :

وإنى لَمَطْوِىّ الضُّلوع على هَوًى * هو المَثَل الأعْلَى بما يَغْلِب المُرْدِى
ولو أن خَلْقًا كان يكتُم نَفْسَه * هَوَاها لما أَطْلَعْت نَفْسِى على وجدى

قال وحدّثنا قال : ومن عجيب الأخبار أن جعفر بن يحيى البرمكى سأل المنجّمين : متى يَرْكَبُ الى داره التى بناها على الشَّطّ ؟ فأشاروا عليه بيوم، فركب فيه فأَخَذَه من الرَّعْد والبرق والمطر ما لم يَرَ مِثْلَه فى سالف دهره، فَرَكِبَ على كل حال، فمرَّ بسكرانَ قد ارْتَطَم[1] وهو يقول :

ويَعْمَل بالنُّجوم وليس يَدْرى * وَرَبُّ النَّجْمِ يفعل ما يشاء

فقال : ما خاطبنى هذا السكران إلا بلسان غيره، ورجع .

✦ ✦ ✦

قال وأنشدنا بحظة قال أنشدنى ابن العَطَوِىّ عن أبيه أبى عبد الرحمن :

أَحْسَنُ مِنْ غَفْلة الرَّقيب * ولَحْظَةِ الوَعْد من حبيب
والنَّقْر والنَّغْم من كَعَاب * مُصيبة القَوْل والقَضِيب

(١) ارتطم السكران : تخبّط وتعثّر .

ومن بَنَاتِ الكُرُوم راحت * فى راحَتَىْ شادنٍ رَبِيب
كَتْبُ أديبٍ الى أديب * طالت به مُدَّة المَغِيب
فَنَمَّقَتْ كَفُّه سطورا * تَمْشُقَ الصَّفْو فى القلوب
يا بادئًا بالكتاب فَضْلًا * والفضل من شِيمَة الأديب
نَحْنُ على الوُدِّ، أىُّ شىءٍ * أقْبَحُ من غادرٍ أريب
مَنَحْتَ ضَيْفِى عُبوسَ وجهى * وسائلى شِدَّة القُطُوب
وعشت فى الناس مستهاما * يا أطْوَعَ الناس للرقيب
إن كان ودّى لأهل ودى * قَصَّرَ مِنْ باعِه الرَّحيب
وأنت منهم فكن قريبا * أو نائيا وافر النصيب
وأَبْلِ ما شئتَ صَفْوَ ودّى * تَجِدْه فى ثوبه القَشِيب

* * *

قال وحدّثنا جحظة قال حدّثنا ميمون بن هارون بن مَخْلَد بن أبَان قال : كان عندنا بالبصرة رجل يُتْعِب دَوابَّه وغلمانَه فى قضاء حوائج الناس بغير مَرْزِيَّة[1] ، فسألته عن ذلك ، فقال : يا أبا عثمان ، سَمِعْت تغريد الأطيار بالأسحار، فى أعالى الأشجار، وتَمَتَّعْتُ بمخزونة الدِّنان ، على سَمَاع القِيَان ، فاطَرِبْت طَرَبِى على ثناء رجل أَحْسَنَ اليه رَجُل .

[شهادة أبى العتاهية فى شعر أبى نواس]

قال وأنشدنى جحظة قال أنشدنى حماد لأبى نواس :

إذا امْتَحَن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفَتْ * له عن عدوّ فى ثياب صديق

فلما سمع هذا البيت أبو العَتَاهِية قال : لو نَطَقَت الدنيا لَمَا وَصَفَتْ نفسها بفوق هذا الوصف .

ولما قال أبو نواس :

جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلْقَ الجُموح * وهان عَلَىَّ مأثورُ القبيح
وإنِّى عالمٌ أنْ سَوْف تَنْأَى * مَسَافَةُ بين جُثْمانى وَرُوحى

قال أبو العتاهية : لقد جَمَعَ فى هذين البيتين خَلَاعةً وجُونا و إحْسانا وَعِظَةً .

(١) أى بغير أن يرزأ أحدا من الناس شيئا أى يأخذ منهم أجرا على قضاء حوائجهم .

* * *

قال أبو على حدّثنا أحمد بن جعفر بحظة قال حدّثنا حماد بن إسحاق الموصلى قال حدّثنى أبى قال: رايت ثلاثةً يَذُوبون إذا رأوا ثلاثة : الهَيْثَم بن عَدِىٍّ اذا رأى آبن الكلبى، وعلَّوية إذا رأى مُخَارقا، وأبا نُوَاس إذا رأى أبا العَتَاهية .

[المفاضلة بين أبى تمام والبحترى]

قال أبو على وحدّثنا بحظة قال تَحَادَثْنا يوما فى الطائى والبُحْتُرى أيُّهما أشعر، فقال بعض من حَضَرَ مَجْلِسَنا : هل يُحْسِنُ الطائى أن يقول :

تَسَرَّع حَتَّى قال مَنْ شَهِدَ الوَغَى * لِقَاء عَدُوٍّ أم لِقَاء حَبِيب

فقلت من الطائى سرقه حيث يقول :

حَنَّ الى المَوْتِ حتى قال جاهِلُهُ * بأنه حَنَّ مُشْتاقا الى وَطَن

* * *

قال وأنشدنى أبو بكر بن أبى الأزهر قال أنشدنى أحمد بن الحارث الخَزَّاز صاحب المدائنى لعبد الله بن عاصم :

إذا أنت لم تَعْمَلْ بأمرٍ تَخَافُه * عليك حَسِبْتَ الماء إن ذُقْتَه دَمَا
وسَدَّ عليك الخَوْفُ أمْرَك كُلَّه * وصِرْتَ قَعُودًا حَيْثُما سِيقَ يَمَّمَا

قال وحدّثنا قال حدّثنى الزُّبَيْر قال : كان الزبير إذا جاءه من ناحيةِ وَلَدِ عَلِىٍّ أَذًى وجاءه مثله من ناحية آل عمر، قال : لَأَنْ يَظْلِمَنى والله آلُ عَلِىٍّ أحَبُّ الىَّ، وينشد :

فإن كنتُ مَقْتُولًا فكُنْ أنتَ قاتلى * فبَعْضُ مَنَايا القوم أكْرَمُ من بَعْض

قال أبو على : وأنشدنا بحظة لنفسه :

أرَى الأعيادَ تَتْرُكُنى وتَمْضِى * وأَوْشَك أنها تَبْقَى وأَمْضِى
علامةُ ذاك شَيْبٌ قد علانى * وضَعْفِى عند إبرامى ونَقْضِى
وما كَذَب الذى قد قال قَبْلِى * إذا ما مَرَّ يومٌ مَرَّ بَعْضِى
أرَى الايام قد خَتَمَتْ كتابى * وأحْسَبُهَا سَتُعْقِبُه بفَضِّ

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنى أبو هفان قال : كَتَبْتُ الى مؤاجرٍ بالبصرة وكنت آلَفُه :

يا حَسَنًا وجهُه ومِئْزَرُهُ * ومن يَرُوق العِبادَ مَنْظَرُهُ
زُرْنا لِتَحْيا بك النفوسُ فما * يَطِيب عيشٌ ولستَ تَحْضَره

قال فكَتَب الىَّ :

دَعْنِي من المدح والهجاء وما * أصبحتَ تَطْوِيهِ لى وتَنْشُره
لو ضُرِب الدرهمُ الصحيح على الـ * ـفؤاد عندى لذاب أكْثَرُه

قال وحدّثنا جحظة قال حدّثنى أبو بكر بن الأعرابى قال حدّثنى أبو على البصير أن خُشَاخِشًا المدينى نظر إليه يوم عيد الفطر وهو فوق تل يصيح صياحا شديدا، فقيل له : ما هذا ؟ قال : أَنْعِرُ فى قفا شهر رمضان، فغاب عنِّى أبو على البصير أياما، ثم جاءنى فأنشدنى :

أقول لصاحِبِىَّ وقد رأينا * هلال الفطر من خَلَل الغَمام
غَدًا نَغْدُو الى ما قد ظَمِئْنا * إليه من الملاهى والمُدام
ونَسْكَرَ سَكْرَةً شَنْعاء جهرا * ونَنْعِرُ فى قفا شهر الصيام

قال جحظة : ومن بديع ما أنشدَنَاه خالد الكاتب لنفسه :

قد قلتُ لما أن بدا مُتَبَخْتِرا * والرِّدْف يَجْذب خَصْرَه مِنْ خَلْفه
يا من يُسَلِّم خَصْرَه من ردفه * سَلِّم فؤاد مُحِبِّه من طَرْفه

قال : وأنشدنا جحظة قال أنشدنا دِعْبِل لنفسه :

أذْكُرْ أبا جعفر حَقًّا أمُتُّ به * أنِّى وإيَّاك مَشْغُوفانِ بالأدب
وأننا قد رَضَعْنا الكأس دِرَّتَها * والكأسُ دِرَّتُها حَظٌّ من النَّسَب

قال وحدّثنى جحظة قال حدّثنى أبو العَيْناء قال : تَعَشَّقَتْنى امرأةٌ قبل أن ترانى، فلما رأتنى استقبحتنى فأنشدتها :

وفاتِنةٍ لما رَأَتْنى تَنَكَّرَتْ * وقالت دَمِيمٌ أحْوَلٌ ما له جسم
فإن تُنْكِرى منِّى أحْوَلًا فإننى * أديبٌ أريبٌ لا عَيِىٌّ ولا فَدْم

فقالت لى : يا هذا، لم أُرِدْك لتَوْلِية ديوان الزِّمام .

قال أبو على : وأنشدنا جحظة قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

أبَتْ ظبيـــة الإحرام أن تَتَنَقَّبا * فأبْصَرت وَجْهًا كان غنًى مُغَيَّبا
وعارَضْتُها حتى رأتنى أمامَهـا * فقلت لها أهلا وسهلا ومرحبا
ولَسْتُ بناسيها غَـداةَ رأيتُهـا * وقد وَقَفَتْ تَرْمى الجمار المُحَصَّبا
فيا حَصَياتٍ كُنَّ فى لَمْسِ كَفِّها * رُزِقْتُنَّ رَيًّا مِنْ نَشَا المِسك أَطْيبا

قال : وقال أنشدنى آبن المنجم :

ومُسْتَطِيلٍ على الصَّهْباء باكَرَها * فى فِتْية بآصطباح الراح حُذَّاق
فكلُّ كَفٍّ رآها ظَنَّها قَـدَحا * وكلُّ شخص رآه ظَنَّـه الساقى

[أبو سعيد المخزومى وعلى بن جبلة العكوك]

قال أبو على وحدّثنا جحظة قال حدّثنى المروانى قال قال لى أبو سـعيد المخزومى : دَخَلْتُ يوما على حُمَيْد الطُّوسى والى جنبـه رَجُل ضَرِيرٌ، فأنشدته البائية، وجعَل الضرير كلما ذَكَرْتُ بيتا يقول : أحْسَن الخبيثُ ! فأمر لى بخِلْعة وخمسة آلاف درهم، فلما خرجت قام الىَّ البَوَّابون، فقلت : لا أَهَبُ لكم شيئا أو تقولوا لى مَنْ هذا الضرير؟ فقالوا : هذا عَلِيُّ بن جَبَلَة العَكَوَّك، فآرْفَضَضْتُ والله عَرَقًا .

قال جحظة : وعلى بن جبلة الذى يقول فى حميد الطوسى :

دَجْلَةُ تَسْـقى وأبو غانم * يُطْعِم من تَسْـقِى من الناس
والناسُ جِسْمٌ وإمام الهـدى * رأسٌ وأنت العين فى الراس

قال وحدّثنا قال : اعْتَلَّ أبو هَفَّان فى منزل آبن أبى طاهر فأبطئوا عليه يوما بالغداء، فقال :

أنا فى مَنْزِل خِـلٍّ * مُشْـفِقٍ بَرٍّ رفيـق
رجُلٍ أعْمَـرُ من منـ * ـزله ظَهْـرُ الطريق
ليس لى أكْلٌ سوى لَحْـ * ـمِى وشُرْبٌ غير ريق

قال أبو على قال أبو الحسن جحظة أنشدنا أبو هفان يفتخر وهو أجود ما قيل فى الآفتخار :

فإن تسألى فى النـاس عنا فإننا * حُلِىُّ العُلَى والأَرْض ذات المَنَاكب
وليس بنا عَيْبٌ سـوى أن جُودَنا * أضَرَّ بنـا والبَأْس من كلِّ جانب

فأفْنَى الرَّدَى أعمارَنا غيرَ ظالم * وأفْنَى النَّدَى أموالَنا غير عائب
أَبُونا أبٌ لو كان للناس كُلِّهم * أَبًا واحدا أغناهُمُ بالمَناقب

[جحظة وعبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات]

قال وحدّثنى جَحْظة قال : كتب الىَّ عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات وهو مقيم بالمَطِيرة(١) وعنده جاريته شَمُولُ ، وكانت من المُحْسِنات، وكان الناس يقصدونها لسماعها :

شَرِبْنا بالمَطِيرة ألْفَ يوم * صَبُوحا قبل أن يبدو النهار
وأفنينا العُقَار بها جِهارا * فلم يُصْبِحْ بحانتها عُقَار
وضَجَّ البائعون بها وقالوا * أناسٌ يَشْرَبون أم البحار
هُمُ ناسٌ ولكنْ أىُّ ناسٍ * لصُحْبة مثلهم خُلِعَ العِذَار

قال : فصنعته هزجا، فلما سمعه بدر — يعنى الأستاذ — وصلنى فى دفعتين بأربعمائة دينار، قال : فكتبت الى عبد الله بن محمد جواب شعره :

لِى منْ تَذَكُّرِىَ المَطِيره * عَيْنٌ مُسَهَّدة مَطِيره
سَخِنَت لفقد مَوَاطِنٍ * كانت بها قِدْما قَريره
أيامَ لِلأيَّامِ إحْسانٌ وأفعالٌ نَضِيره
أيام نَحْوِى حَيْثُ كُنْتُ لعاشقٍ كَفٌّ مشيره
فى فِتْيَة لم يَعْرِفوا * لدوام نيلهم ذَخِيره

فغلبت عليه .

[قصيدة لدعبل الخزاعى]

قال أبو على وأنشدنا جحظة قال أنشدنا ثعلب لدعبل :

بانت سليمى وأمْسَى حَبْلُها انْقَضَبا * وزَوَّدُوك ولم يَرْثُوا لك الوَصَبا
قالت سلامةُ أيْنَ المالُ قلت لها * المالُ وَيْحَك لاقى الحَمْدَ فاصْطَحَبا
الحَمْدُ فرق مالى فى الجُفون فما * أبْقَيْنَ ذَمًّا ولَا أبْقَيْن لى نَشَبا

(١) قرية من نواحى سامراء، وكانت من متنزهات بغداد وسامراء، قال البلاذرى إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون .

قالت سلامةُ دَعْ هذى اللُّبون لنا * لِصِبْيةٍ مثلِ أفراخ القَطَا زُغُبا
قلت آحْبِسِيها ففيها مُتْعةٌ لهمُ * إن لم يُنِخْ طارقٌ يَبْغِى القِرَى سَغِبا
لمّا آحْتَبَى الضَّيفُ وآعْتَلَّت حَلُوبَتُها * بكى العيالُ وغَنَّتْ قِدْرُنا طَرَبا
هٰذى سبيلى وهذا فآعلمى خُلُقى * فآرْضَىْ به أو فَكُونِى بَعْضَ من غَضِبا
ما لا يَفُوت وما قد فات مَطْلَبُه * فلن يَفُوتَنِى الرزقُ الذى كُتِبا
أَسْعَى لأطلبَه والرزقُ يَطْلُبُنِى * والرزق أكثرُ لى مِنِّى له طَلَبا
هل أنت واجدُ شىء لو عُنِيتَ به * كالأجر والحمد مُرْتَادا ومُكْتَسَبا
قوم جَوَادُهُمُ فَرْدٌ وفارسهم * فرد وشاعِرُهم فرد إذا نُسِبا

قال وأنشدنى ثعلب :

الجَهْلُ بعد الأرْبَعين قَبِيحُ * فَزَعِ الفؤادَ وإن ثَنَاه جُموح
وَبِيعِ السَّفاهة بالوقار وبالنُّهَى * ثَمَنٌ لَعَمْرُكَ إن عَقَلْتَ رَبيح
فلقد حَدَا بك حادِيَانِ الى البِلَى * ودَعاكَ داعٍ للرَّحِيل فَصِيح

قال ميمون بن إبراهيم : أَنْشَدِ المأمون هذه الأبيات، فقال : مالى وما لهذا المعنى من الشعر! قال اليزيدى فقلت :

يَسْعَى اليك بها غُلَامٌ أَهْيَفٌ * من جَيْبِه رِيَّا العَبِير تَفُوح
مَيْسَانُ أمَّا دَلُّه فمُخَنَّثٌ * غَنِجٌ وأمَّا وَجْهُه فَصبيح

قال جحظة : أنشدتُ هذه الأبيات عبيدَ الله بن عبد الله، فقال : والله لو سمعها دِعْبِلٌ لَحَسَدك عليها، وهى هذه :

مَدَدْتُ يَدِى يوما الى فَرْخ باخِلٍ * كما يَفْعَل الخِلُّ الصديقُ المؤانِسُ
فأومأ الى غلمانه فَتَوَاثَبُوا * الىَّ ووجهُ النَّدْل إذْ ذاك عابس
فهذا لِبَطْنِى حين أَسْقُط دائِس * وذاك لِجَنْبِى حين أَنْهَضُ رافس
فَأَنْشَدْت بيتا قاله ذو صَرَامةٍ * وقد نَاوَشَتْه بالرِّماح الفوارس
(ومَنْ يَطْلُب المَالَ المُمَنَّع بالقَنا * يَعِشْ مُثْرِيًا أو يُودِ فيمن يُمارِس)

* * *

قال أبو على وحدّثنى جحظة قال حدّثنى الأمير عبيد الله بن عبد الله قال حدّثنى الزبير قال : كنت أؤدّب المعتزّ، فهوى جاريةً لأمّه قبيحةً، فصبر فنحل جسمُهُ وحُمَّ، فسألتُه عن خبره، فأنشدنى :

جَزِعْتُ للحُبِّ والحُمَّى صَبَرْتُ لها ✻ إنّى لأعجب من صَبْرى ومن جَزَعى

وخبّرنى فيما بينى وبينه بعشقه للجارية ، قال : فأخبرت قبيحة بالقصّة ، فوهبتها له فعُوفِى . قال جحظة : فحدّثنى عبد الله بن المعتز أنها أمّه .

[اسحاق الموصلى والفضل بن يحيى]

قال وحدّثنى جحظة قال حدّثنى حماد بن الموصلى قال قال أحمد بن عبيد لأبى : يا أبا محمد، لو ذهبتَ الى إخوانك وتركتَ التيه! فقال : لا والله لا أدخل الى واحد منهم إلا بخمسين ألف درهم وفرس وخِلْعة، فوالله لقد دخلت على الفضل بن يحيى فأجلسنى معه على مُصلاّه، وخرج خادمٌ فقال : لقد رزق الله الأمير ولدًا، فقلت :

ويَفْرح بالمولود من آل بَرْمك ✻ بُغاةُ النَّدى والرُّمْح والسَّيْف والنَّصْل
وتَنْبسطُ الآمال فيه لفضله ✻ ولا سيّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضل

فقال : ياصالح، ادفع لأبى محمد مائة ألف درهم، فصنعتُ له لحنًا، فلما غنّيته به أمرَ لى بمائة ألف درهم أخرى، أفترى لى أن أُغنّى بعد هؤلاء!

* * *

قال أبو على وأنشدنا جحظة لنفسه :

أنا ابن أُناسٍ موّلَ الناسَ جُودُهم ✻ فأضحَوْا حديثًا بالنوال المُشَهَّر
فلم يَخْلُ من إحسانهم لَفْظُ مُخْبِر ✻ ولم يخل من تقريظهم بَطْنُ دَفْتَر

* * *

قال وحدّثنى جحظة قال : دخل رجل على عمر بن فرج ، فتنصّل إليه من ذنب له فرَضِى عنه، فلما خرج قال : يا غلام، خذ الشّمْعة بين يديه ، فقال : دَعْنِى أمْشِ فى ضَوْءِ رضاك، فاستحسن ذلك منه وأمر له بِصِلةٍ حَسَنة .

[الحزين الكنانى وسليمان بن نوفل بن مساحق]

قال أبو على وحدّثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير قال : كان الحزين سأله سليمان ابن نوفل بن مُسَاحِق أن يرثى أباه نَوْفَلا، ففعل فلم يُثِبْه شيئا . قال الزبير : أخبرنى بذلك مصعب ابن عثمان، فقال الحزين :

فما كان من شأنى وشأن ابن نوفل * وشأن بكائى نَوْفَلَ بنَ مُسَاحِقِ
بَلَى إنّها كانت سوابقَ عَبْرة * على نَوْفل من كاذبٍ غَيْرِ صادق
فَهَلّا على قبر الوليد بَكَيْتُما * وقبر سليمان الذى دون دَابِق(١)
وقَبْرُ أبى حَفْصٍ أخى وأخيكما * بَكَيْت بحُزْنٍ فى الجوانح لاصق

قال الزبير : يعنى بالوليد وسليمان ابنَىْ عبد الملك . وقال مصعب : يريد بأبى حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، ويريد بقوله أخى وأخيكما يَزِيدَ بن عبد الملك . قال الزبير قال لى يونس بن عبد الله ابن سالم : أراد بأبى حفص سَهْلَ بن عمرو بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهل العامرى .

* * *

قال أبو بكر قال الزبير قال الحزين لثابت بن سباع بن عبد العزى حليف بنى زهرة :

كلُّ قُرَيْشٍ قد حَبَانى بِنِعْمةٍ * وأَحْسَنَ إلّا ثابتَ بْنَ سِباع
هَجِينٌ لئيمٌ لا يقوم ببَيْتِه * وليس بذى فضل ولا بِشُجاع

قال وأنشدنا أحمد قال أنشدنى محمد بن يزيد لأعرابى :

لا تَعْجَبِى يا سَلْمَ من نُحُولى * وَوَضَحٍ أَوْفَى على خَصِيلى
فإن نَعْتَ الفَرَس الرَّحِيل * يَتِمُّ بالغُرَّة والتَّحْجِيل

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لوَضّاح اليمن :

صَبَا قلبى ومالَ إليك مَيْلَا * وأَرَّقَنِى خَيالُك يا أُثَيْلَا
يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بنا فتُبْدِى * رَقِيقَ محاسنٍ وتُكِنُّ غَيْلَا

الغَيْل : الذِّراع الممتلئة لحما .

---

(١) دابق بكسر الباء وقد روى بفتحها : قرية قرب حلب من أعمال عزاز بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة، وبه قبر سليمان بن عبد الملك بن مروان .

وأنشدنا قال أنشدنى أحمد بن يحيى لأعرابى :

تَبِعْتُ الهوى يا طَيْب حَتَّى كأننى * مِنَ أجْلِك مَضْرُوسُ (١) الجَرِيرِ قَئُود
تَعَجْرَفَ دَهْرًا ثم طاوَعَ قَلْبَــه * فصــرَّفَه الرُّوّاض حيث تريد
وان زِيَادَ الحُبِّ عَنْــكِ وقد بَدَتْ * لعيــنَىَ آياتُ الهــوى لشــديد
وما كلُّ ما فى النفس يا طَيْب مُظْهَرٌ * ولا كلُّ ما لا تَسْــتَطيع تَذُود
وانى لأرجو الوصــل منك كما رجا * صَدَى الجَوْفِ مِنْ بادٍ صَدَاه صَلُود
وكيف طِلَابى وصلَ منْ لو سألتُه (٢) * قَذَى العين لم يُطْلِبْ وذاك زَهِيــد
ومن لو رأى نفسى تَسِيلُ لقال لى * أرَاك صحيحا والفــؤادُ جَلِيــد
فيأيُّهــا الرِّئْم المُحَــلَّى لَبَــانُه * بِكَرْمَيْنِ كَرْمَىْ فِضَّــةٍ وفَــرِيد
أَجَــدَّك لا أمْشِى بِرَمَّانَ (٣) خاليا * وغَضُــورَ (٤) إلَّا قيــل أين تريد

[شىء من أمثال العرب]

قال وحدّثنى محمد بن يزيد قال: من أمثال العرب : «أرَاكَ بَشَرٌ ما أحَارَ مِشْفَرٌ» يريد : إذا رأيت جسمه أغناك عن طَعْمِه . ومثله من أمثالهم : «الجَوَادُ عَيْنُه فِرَارُه» يعنى الفرس اذا رأيتــه كَفَاك أن تَفُرَّه . قال وقال أبو إسحاق الأحول : إنمـا هو فُرَاره بضم الفاء، ولم أسمعها أنا إلا بالكسر من محمد بن يزيد .

* * *

وأنشدنى محمد بن يزيد أيضا لأعرابى :

سَــقْيًا لأيَّامٍ ذَهَبْنَ من الصِّبا * ولَيْــلٍ لنــا بالأَبْرَقَيْن قَصِــير
وتكذيبِ لَيْــلَى الكاشحين وسَيْرِنا * بنَجْــدٍ مَطايانا لغــير مَسِــير
و إذ نَلْبَس الحَوْكَ (٥) الرقيــق و إذ لنــا * جمــامٌ تُرِى المكروه كُلَّ غَيُــور

(١) الجرير: حبل من أدم يخطم به البعير . قال فى اللسان : اذا أرادوا أن يذللوا الجمل الصعب لاثوا على ما يقع على خطمه قِدًا ، فاذا يبس حزوا على خطم الجمل حزا ليقع ذلك القد عليه اذا يبس فيؤلمه فيذلّ ، فذلك القد هو الضرس وقد ضَرسته وضرّسته اه .

(٢) أطلبه : أعطاه ما طلب . (٣) رمان : جبل فى بلاد طىّ فى غربى سَلْمَى وهو أحد جبلى طيّ .

(٤) غضور : ماء على يسار رمان . (٥) الحوك : الثياب .

فلما عَلَا الشَّيْبُ الشبابَ وبَشَّرَتْ * ذُرَى الحِلْمِ أعلى لِمَّتِى بِقَتِير
وخِفْتُ انقلابَ الدهر أن يَصْدَعَ العصا * وأن تَغْدِرَ الأيامُ غيرَ غَدُور
رَجَعْتُ الى الأولى وفَكَّرْتُ فى التى * إليها أو الأخرى يكون مَصِيرى
وليس امْرِؤٌ لاقٍ بَلاءً بيائس * من الله أن يَنْتَاشَه بِجَدِير (١)

قال أبو على قال أبو بكر محمد بن أبى الأزهر أنشدنا الرياشى لرجل من بنى الحارث هذين البيتين:

مُنًى إنْ تكن حَقًّا تَكُنْ أحسنَ المُنَى * وإلا فقد عِشْنَا بها زَمَناً رَغْدَا
أمانِىُّ من سُعْدَى حِسَانٌ كأنها * سَقَتْكَ بها سُعْدَى على ظَمَإٍ بَرْدَا

[شعر لجران العود]

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لِجَرَانِ العَوْد:

وَجَدْتُ بَشَاشَةً لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا * لأَقْضِىَ ما عَلَىَّ من النُّذُور
فلستُ بعائدٍ لَمَّا ٱلتقينا * بِرَوْضٍ بين مَحْنِيَةٍ وقُور
إذا قَبَّلْتُها كَرَعَتْ بفيها * كُروعَ العَسْجَدِيَّة فى الغَدِير
فيأخذنى العِنَاقُ وبَرْدُ فيها * بِمَوْتٍ فى عِظامِى أو فُتُور
فَنَحْيا تارةً ونموت أخرى * ونَخْلِط ما نُمَوِّت بالنُّشُور
وأَقْبَلُ (٢) حين أدْخُل فى حَشَاها * قُبُولَ القِدِّ فى عُنُق الأسير

* * *

قال وحدّثنا الرياشى قال حدّثنا الأصمعى قال: كان معاوية رحمه الله تعالى يقول: أنا للأَنَاة وعَمْرٌو للبَدِيهة، وزياد للصِّغَار والْكِبَار، والمُغِيرة للأمر العظيم.

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لأعرابى من بنى عبد الله بن غَطَفَان، وأنشدنيه بُنْدار بن لُدَّة الكَرْخى لجَمِيل بن مَعْمَر:

ومما شَجَانِى أنَّها يَوْمَ أَعْرَضَتْ * تولت وماءُ العين فى الجفن حائر

(١) كذا فى الأصل بالجيم والدال المهملة ولعلها محرفة عن جرير بالراء، وقد تقدّم شرحه فى الصفحة السابقة.

(٢) أقبل: أيبس يريد أنه حين يحضنها يلتصق بها حتى يصير كالقد اليابس اذا دار بعنق الأسير.

فلما أعادت من بعيد بنظرة * إلىَّ ٱلتفاتاً أسلمتْه المحاجر
يقولون لا تَنْظُرْ وتلك بَلِيَّة * بَلَى كلُّ ذى عينين لا بُدَّ ناظِرُ
أَلَام إذا حَنَّتْ قَلُوصى من الهوى * ولا ذَنْبَ لى فى أن تَحِن الأباعر

قال وأنشدنا بندار :

أيا حُبَّ لَيْلَى عافِنِى منك مَرَّةً * وكيف تُعَافِينى وأنت تزيد
ويا حُبَّ ليلى أعطنى الحكم وٱحتكم * عَلَىَّ فما يُبْغَى علىَّ شهود

قال وأنشدنى أحمد بن يحيى لبعض الأعراب :

وفى الموت لى من لَوْعة الحُبِّ راحةٌ * ولَكِنَّنى أخْشَى ندامَتَها بَعْدِى
أقول لها بُقْيا عليها من الهوى * وَقَاكِ إلهُ الناس أن تَجِدِى وَجْدِى

قال وأنشدنا :

فَتًى مَتَى أهْوَى أما يَنْفَد الهوى * وحتى متى كَفِّى على موضع القلب
فهأنا للعُشَّاق يا عَزَّ قائدٌ * وبى تُضْرَبُ الأمثال فى الشرق والغرب

قال : وأنشدنا للأقرع بن مُعَاذ القُشَيرى :

ألا أَيُّها الواشى بلَيْلَى ألا ترى * الى مَنْ تَشِى أَوْ مَنْ به جئتَ واشيا
لَعَمْرُ الذى لم يَرْضَ حَتَّى أُطِيعَه * بِلَيْلَى إذًا لا يُصْبِح الدهرَ راضيا
إذا نحن رُمْنَا هَجْرها ضَمَّ حُبُّها * صَمِيمُ الحَشا ضَمَّ الجَناحِ الخَوافِيا

قال وأنشدنا أيضا لنافذ بن عُطَارد العَبْشمى :

ويُذْكى الشَّوقَ حين أقول يَخْبُو * بكاءُ حمامة فَيَلِجّ حينا
مُطَرِّقة[1] الجَناح إذا ٱسْتَقَلَّت * على فَنَنٍ سَمِعْت لها رنينا
يميل بها ويرفعها مرارا * ويَشْغَف صَوْتُها قَلْباً حزينا

(١) يقال : طرق جناح الطائر : لبس الريش الأعلى الريش الأسفل ، يريد أن ريش جناحها طرائق بعضها فوق بعض .

[قصيدة ليزيد بن الطثرية]

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى ليزيد بن الطَّثَرِيَّة : — وفى هذه القصيدة بيتان ذكر الرِّياشى أنهما لجميل بن معمر فى قصيدته —

ألا ياصَبَا نَجدٍ لقد هِجتِ من نَجْد * فَهَيَّجَ لى مَسْرَاكِ وَجْدًا على وجدى
ألا هَلْ من البَيْن المُفرِّق من بُدّ * وهل لليالٍ قد تَسَلَّفْنَ من رَدّ
وهل مثلُ أيَّامى بنَعْف سُوَيْقَة[1] * رَوَاجِع أيَّام كما كُنَّ بالسَّعْد
وهل أخوَاىَ اليوم إن قلت عَرِّجا * على الأثْل مِنْ وَدَّانَ[2] والمَشْرَب البَرْد
مقيمان حَتَّى يَقْضِيَا لى لُبانَةً * فيستوجبا أجرى ويستكملا حمدى
وإلّا فَرُوحَا والسَّلامُ عليكما * فما لَكُما غَيِّى وما لَكُما رشدى
وما بيَدَىَّ اليومَ من حَبْلِ الذى * أُنَازع من إرْخائه لا ولا شَدّ
ولكن يَكُفّى أُمَّ عَمْرٍو فليتها * اذا وَلِيَتْ رَهْنًا تَلى الرَّهْن بالقَصْد
و ياليت شعرى ماالذى تُحْدِثَنَّ لى * نَوَى غُربة بَعْدَ المشقة والبُعْد
نوى أم عمرو حيث تَغْتَرِب النوى * بها ثم يخلو الكاشِحُون بها بَعْدى
أتَصْرِمُ لِلائى الَّذِين[3] هُمُ العِدَا * لِتُشْمِتَهم بى أم تَدُوم على الوُدّ
وظَنِّى بها والله أن لن يضيرنى * وُشاةٌ لديها لا يَضيرونها عندى
وقد زعموا أن المُحِبَّ إذا دَنا * يَمَلُّ وأن النَّأْى يَشْفِى من الوَجْد
بكُلٍّ تَدَاوَيْنا فلم يُشْفَ ما بنا * على أن قُرْبَ الدار خيرٌ من البُعْد
هَوَاىَ بهذا الغَوْرِ غَوْرِ تهامةٍ * وليس بهذا الجَلْس[4] من مُسْتَوَى نَجْد
فوالله رَبِّ البيت لا تَجِدِينّى * تَطَلَّبْتُ قَطْعَ الحَبْل منك على عَمْد
ولا أشترى أمرا يكون قَطِيعة * لما بيننا حَتَّى أُغَيَّب فى لَحْدى

(١) نعف سويقة : موضع ذكره ياقوت ولم يبينه ، وقد ورد فى قول الأحوص :

وما تركت أيام نعف سويقة * لقلبك من سلماك صبرا ولا عزما

(٢) قال أبو زيد : ودان من الجحفة على مرحلة بينها وبين الأبواء على طريق الحاج فى غربيها ستة أميال .

(٣) هكذا فى الأصل ، ولعل الثانى بدل من الأول وإن اختلف المدلول كما لايخفى . (٤) الجلس : الغليظ من الأرض .

فمن حُبِّها أحببت من ليس عنده * يَدٌ بِيَدٍ تُجْزَى ولا مِنَّة عندى
ألا رُبَّما أَهْدَى لى الشوقُ والجوَى * على النأى منها ذُكْرَةً فَلَمًا تُجْدى

[رواة الشعر و رواة الحديث]

قال وحدثنا الزبير قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنى يحيى بن سعيد القطان قال : رُواة الشِّعرِ أعقل من رواة الحديث، لأن رواة الحديث يروون مصنوعا كثيرا، ورواة الشعر ساعةَ يُنْشِدون المصنوع ينتقدونه ويقولون : هذا مصنوع .

* * *

قال وحدثنى محمد بن يزيد قال : كنت بِسُرَّ منْ رَأى أيام المتوكل، وكانت الجيوش متكاثفة، فما كان أحد من مُرَّار الطريق يَعْدَم حَصاة تتلقاه من خَذْف حوافر الخيل، فأنشدنى بعضهم :

لا تَقْعُدَنَّ بسامَرَّا على الطُّرُق * إن كنتَ يوما على عينيك ذا شَفَق
حَوافِرُ الخيـل أقْواسٌ وأَسْهُمُهـا * صُمُّ الحجارة والأغْراضُ فى الحَدَق

ويروى : مُلْسُ الحجارة .

قال وقال لنا الرياشى قال العتبى قال رجل من محارب يُعَزِّى ابن عم له على ولده :

وإنَّ أخاك الكارِهَ الوِرْدِ وَارِدٌ * وإنك مَرْأًى من أَخيك ومَسْمَعُ
وإنك لا تَدْرِى بأَيَّةِ بَلْدة * صَدَاكَ ولا عن أىِّ جَنْبَيْكَ تُصْرَعُ
أَتَجْزَع إن نَفْسٌ أتاهما حِمامُها * فَهَلَّا التى عن بَيْنَ جَنْبيك تَدْفَعُ (١)

قال وقال الرياشى : أنشدنى العتبى لرجل من بنى دارم لابن عم له (٢) يعاتب قريبه :

تَطَلَّع منه بِغْضَـة ما يُجِنُّهـا * الىَّ ودُونى غَمْرَة ما يَخُوضُهـا
وَجَدْتَ أباك شانِئًا فشَنِئْتَنى * شَبِيهٌ بِفَرْخَىْ بَيْضَةٍ من يَبِيضُها

(١) ذكر ابن هشام فى المغنى من أوجه عن أن تكون زائدة للتعويض من أخرى محذوفة، واستشهد بقوله : أتجزع ان نفس البيت، ثم قال قال ابن جنى : أراد فهلا تدفع عن التى بين جنبيك، فحذفت عن من أول الموصول وزيدت بعده. (٢) المراد أن الشاعر وهو رجل من بنى دارم يعاتب بهذا الشعر ابن عم له .

[رؤيا إسحاق الموصلى أن جريرا يدس فى فمه كبة شعر]

قال وحدّثنا حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال حدّثنى أبى إسحاق قال : رأيت فى منامى كأنّ شيخا دَخَل علىّ وفى يده كُبَّة شَعَر فجعل يَدُسُّها فى فىّ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا جَرِير، فقَصَصْت الرؤيا على أبى، فقال : إن صدقت رؤياك نِلْتَ من الشّعر حاجتك، قال حماد قال أبى : فرأيت رجلا أشبه الناس بذلك الشيخ، فسألته عن نسبه، فإذا هو عمارة بن عُقَيل بن بلال بن جرير.

* * *

وقرأت عليه قال حدّثنى أبى قال : قيل لعَقِيل بن عُلَّفة وأراد سفرا : أين غَيْرَتُك على من تُخَلِّف أهْلَك ؟ قال : أُخَلِّف معهم الحافِظَيْن : الجُوعَ والعُرْىَ، أُجِيعُهُنَّ فلا يَمْرَحْنَ، وأُعْرِيهِنّ فلا يَبْرَحْنَ.

وأنشدنا حَمّاد قال أنشدنى أبى إسحاق :

لا يَمْنَعَنَّك من بِغَا ... ءِ الخَيْرِ تَعْقادُ التَّمَائِمْ (١)
ولا التَّشَاؤم بالعُطَا ... س ولا التَّقَسُّم بالأزالم
ولقد غَدَوْتُ وكُنْتُ لا ... أَغْدُو على واقٍ (٢) وحاتم (٣)
فإذا الأشائم كالأيا ... من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خَيْرٌ ولا ... شَرٌّ على أحد بدائم
قد خُطَّ ذلك فى الزَّبُو ... ر الأوَّلِيَّات القَدَائم

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لأعرابى :

إن الضُّيوف تَحَامَوْنِى وحَقَّ لهم ... ما مِنْهُم إبِلى يوما ولا شائى
إذا الضَّرِيكُ (٤) عَرَانا بات ليلتَه ... دون البيوت بلا خُبْزٍ ولا ماء

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

وكُلُّ لَذاذةٍ سَتُمَلُّ إلا ... مُحادثَةَ الرجال ذوى العقول
وقد كنا نَعُدُّهم قليلا ... فقد صاروا أقلَّ من القليل

---

(١) الشعر لمرقش السدوسى وقيل هو لخُزَز بن لَوْذان كما فى اللسان مادة حتم. (٢) الواقى : الصرد، قال أبو الهيثم : قيل للصرد واق لأنه لا ينبسط فى مشيه فشبه بالواقى من الدواب اذا حفى. (٣) الحاتم : الغراب الأسود أو غراب البين وهو أحمر المنقار والرجلين. (٤) الضريك : الفقير السيّئ الحال.

قال وقال المِسْمَعى أنشدنى دماذ : — والشعر لبَشَّار بن بُرْد —

شَطَّ بسَلْمَى عاجلُ البَيْنِ * وجاورتْ أُسْدَ بنى القَيْنِ
وحَنَّتِ النَّفْس لها حَنَّةً * كادت لها تَنْقَدُّ نِصْفين
يابنة من لا أشتهى ذكره * أَخْشَى عليك عُلَق الشَّيْن
طالَبَها قلبى فَرَاغَتْ به * وأَمْسَكَتْ قلبى مع الدَّيْن
فكنتُ كالهِقْلِ(١) غدا يَبْتَغِى * قَرْنًا فلم يَرْجِعْ بأُذْنَيْن

[حديث ابنة الخس مع أبيها]

قال أبو على وحدّثنا أبو بكر محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى عمر بن إبراهيم السعدى ثم الغُوَيْثى قال : قال لابنة الخُسّ أبوها يوما : أىُّ شىء فى بطنك؟ أخبرينى به وإلا ضربت رأسك ، فقالت : أرأيتك إن أخبرتك بما فى بطنى أيَكُفُّ ذاك عنى عَذَابَك اليوم ؟ قال : نعم ، قالت : أَسْفَلُه طعام ، وأعلاه غلام ، فاسأل عما شئت . قال : أىُّ المال خير؟ قالت : النَّخْل ، الراسخاتُ فى الوَحْل ، المُطْعِماتُ فى المَحْل ، قال : وأىُّ شىء ؟ قالت : الضأن قَرْيةٌ لاوَبَاءَ بها ، تُنْتِجها رُخَالًا(٢) ، وتَحْلُبها عُلالا ، وتَجُزُّ لها جُفَالًا(٣) ، ولا أرى مثلها مالا ، قال : فالإبلُ مالَكِ تُؤَخِّرينها ؟ قالت : هى أذكار الرجال ، وأرقاء الدماء ، ومُهُور النساء ، قال : فأى الرجال خير؟ قالت :

خَيْرُ الرجال المُرْهَقُون كما * خير تِلاع الأرض أَوْطَؤُها(٤)

قال : أيُّهم ؟ قالت : الذى يُسْئل ولا يَسْأل ، ويُضيف ولا يُضَاف ، ويُصْلِح ولا يُصْلَح ، قال : فأىُّ الرجال شر ؟ قالت : التُّطَيْط النُّطَيْط ، الذى معه سُوَيْط ، الذى يقول : أدركونى من عبد بنى فلان فإنى قاتله أو هو قاتلى . قال : فأى النساء خير ؟ قالت : التى فى بطنها غلام ، تحمل على وركها غلام ، يمشى وراءها غلام . قال : فأى الحِمال خير ؟ قالت : السَّبَحْل الرَّبَحْل ، الراحلة الفَحْل ، قال : أرأيتَك الجَذَع؟ قالت : لايَضْرِب ولا يَدَع . قال : أرأيتك الثَّنِى؟ قالت : يَضْرِب وضِرَابُهُ(٥)

(١) الهقل : الفتىّ من النعام . (٢) الرخال : جمع رخل بالكسر وبهاء ، وككتف : الأنثى من ولد الضأن .
(٣) أى تجز مرة وذلك أن الضائنة إذا جزت لم يسقط من صوفها شىء الى الأرض حتى يؤتى عليه . (٤) فى اللسان مادة رهق أنه لابن هرمة ، وقد رواه : * خير تلاع البلاد أكلؤها * وهو الذى يستقيم به الوزن .
(٥) كذا بالأصل والإعراب يقتضى النصب ولعله وقف عليها بالسكون .

وَفِىّ ــ قال أبو على : الصواب أَنِىٌّ أى بطىء ــ قال : أرأيتَــك السَّدَس؟ قالت : ذاك العَرَس . قال أبو عبد الله : التُّطَيْط : الذى لا لحية له . والتُّطَيْط : الهِذْرِيان وهو الكثير الكلام يأتى بالخطإ والصواب عن غير معرفة . والسَّبَحْل والرِّبَحْل : البَجِيل الكثير اللحم .

[خروج كلاب بن أمية فى البعث وما دار بين أبيه وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه]

قال وقال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك قال حدّثنى عبد العزيز بن محمد عن هشام ابن عروة عن أبيه : أن كِلَاب بن أُميَّة بن الأسكر خرج فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وأمية يومئذ شيخ كبير ، وخرج معه أخ له آخر ، فانبعث أمية يقول :

يا أم هَيْــثَم ماذا قلت أبلانى * رَيبُ المَنون وهــذان الجديدان
إمَّا تَرَىْ حَجَرى قد رَكَّ(١) جانبُــه * فقــد يَسُرُّك صُلْباً غَيْرَ كَذَّان(٢)
إمَّا تَرَيْنِى لا أَمْضِى الى سَــفَر * إلَّا معى واحدٌ منكم أو اثنــان
ولست أَهْدى(٣) بلادا كنت أسكنها * قد كنت أهدى بها نَفْسى وصُحْبانى
يا ابْنَىْ أُمَيَّــة إنى عنكما غانى * وما الغِنَى غَيْرَ أنّى مُرْعَشٌ فانى
يا ابنى أمية إن لا تَشْهَدَا كِبَرِى * فإن نَأْيَكما والثُّكْل مِثْــلان
إذ يَحْمِل الفَرَسُ الأَحْوَى ثلاثتنا * واذ فِــراقُكما والمَوْتُ سِــيَّان
أصبحتُ هُزْءًا لراعى الضَّأن أُعْجِبُه * ماذا يَرِيبُــك مِنِّى رَاعِىَ الضان
أنعَقْ بضَأنِك فى نَجْــدٍ تُحَفِّره * من الأباطح وَاحْبِسْها بِجُــدان
إن تَرْعَ ضأنا فإنِّى قــد رَعَيْتُهم * بِيضَ الوُجوه بَنِى عَمِّى وإخوانى

وقال أيضا :

لِمَنْ شَيْخَان قد نَشَدَا كِلابا * كتابَ الله إن رَقَب الكِتابا
تُنَفِّضُ مَهْــدَه شَفَقًا عليه * وتَجْنُبُه أبا عِرَنَا الصِّــعابا
اذا هَتَفَتْ حَمامةُ بطن واد * على بَيْضاتِهــا دَعَوَا كلابا

(١) ركّ : ضعف وانهار . (٢) الكذان : الرخو . (٣) كذا فى الأصل بالدال المهملة فى هذين الفعلين ولتحرر الرواية .

تَرَكْتَ أباك مُرْعَشَةً يداه * وأُمَّكَ ما تُسيغ لها شرابا
أُناديه وَوَلَّانى قَفَاه * فلا وأبى كلاب ما أصابا
فانَّ مُهاجِرِين تَكَنَّفاه * لَيَتْرُكَ شَيْخَه خَطِئا وخابا
وإن أباك حَيْثُ عَلِمْتُماه * يُطارِد أَيْنُقاً شُسُباً(١) طِرابا
إذا بَلَغ الرَّسِيم فكان شَدًّا * يَخِرُّ فَخالَط الذَّقَنُ الترابا

فلما أنشدها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، كتب الى سعد بن أبى وقاص : أن رَحِّلْ كِلَاب بن أُمَيَّة بن الأسكر، فَرَحَّله . فقدم على عمر بن الخطاب فأمر به فأُدْخِل، ثم أرسل الى أمية فتحدّث معه ساعة، ثم قال : ياأبا كلاب، ما أَحَبُّ الأشياء اليك اليوم؟ قال : ما أحب اليوم شيئا، ما أفْرَح بخير، ولا يَسُوءُنى شر، فقال عمر رضى الله عنه : بلى علىّ ذلك، قال : بلى، كِلَابٌ أُحِبُّ أنه عندى فأُشَمَّه، فأمر بكلاب فأخرج اليه، فلما رآه الشيخ وثب إليه فجعل يشمه ويبكى، وجعل عمر رضى الله تعالى عنه أيضا يبكى .

قال وأنشدنا أحمد بن يحيى لعبد الله بن حسن أو لبعض الهاشميين :

لا خير فى الوُدِّ مِمَّن لا تَزَالُ له * مُسْتَشْعِرًا أبدا من خِيفةٍ وَجَلا
إذا تَغَيَّب لم تَبْرَح تُسِيء به * ظَنًّا وتسأل عما قال أو فعلا

| حديث الأصمعى فى تطوافه مع رجل من ولد حاتم وامرأة من ولد ابن هرمة

قال أبو على : وقرأت عليه قال حدّثنى أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى قال حدّثنى أبو عثمان المازنى عن الأصمعىّ قال : سرت فى تَطْوَافى فى العرب بِجَبَلَىْ طيئ ، فَدَفَعْت الى قوم منهم يَحْتَلِبون اللَّبن ثم يَصِيحون : الضَّيْفَ الضيف، فإن جاء من يَضِيفُهم وإلا أراقوه فلا يَذُوقون منه شيئا دون الضيف الا أن يَجْهَدَهم الجوع، ثم دَفَعْت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القِرى، فقال : القرى والله كثير، ولكن لاسبيل اليه . فقلت : ما أحسب عندك شيئا، فأمَرَ بالحِفَان فأُخْرِجت مُكَمَّة بالثريد عليها وَذْرُ(٢) اللحم، وإذا هو جادٌّ فى المنع، فقلت : والله ما أشبهت أباك حيث يقول :

(١) شسب : جمع شاسب وهو النحيف اليابس من الضمر . (٢) وذر : جمع وذرة وهى قطعة اللحم الصغيرة لاعظم فيها أو ماقطع منه مجتمعا عرضا .

وأُبْرِزُ قِدْرى بالفِنـاء قَليلُها * يُرَى غَيْرَ مَضْنون به وكثيرُها

فقال : إلَّا أُشْبِهْهُ فى هذا فقد أشبهته فى قوله :

أَمَاوِىَّ إمَّا مانعٌ فَمُبِينٌ * وإمَّا عطاء لايُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فانا والله مانع مبيِّن، فرحلت عنه ودَفَعْت الى امرأة من ولد آبن هَرْمة فسألتها القِرَى، فقالت : إنى والله مُرْمِلة مُسْنِتَة ما عندى شىء، فقلت : أَمَا عِندَكِ جَزُور؟ فقالت : والله ولا شاة ولا دَجاجة ولا بَيْضـة، فقلت : أَمَا آبن هَرْمة أبوكِ ؟ فقالت : بلى، والله إنِّى لَمِنْ صَمِيمهم ، قلت : قاتل الله أباك! ما كان أكذبه حيث يقول :

لا أُمْتِـعُ العُوذَ بالفِصَال ولا * أَبْتَـاع إلَّا قَريبةَ الأجَل

إنى إذا ما البخيـل آمَنَهَا * باتت ضَمُوزًا منِّى على وَجَل

وَوَلَّيْت، فنادت : اِرْبَعْ أيها الراكب، فعلُه والله ذلك أَقَلَّه عندنا، فقلت : إلَّا تكونى أوْ سَعْتِينا قِرًى فقد أو سعتينا جوابا .

يقال : ضَمُوز (١) بالفتح للواحداة، وضُمُوز بالضم للجماعة .

* * *

وحدّثنا قال قال الزبير حدثنى آبن يحيى بن محمد قال حدثنى عمى عن إبراهيم بن محمد قال : نزلت بأبيات آبن هرمة بعد أن هلك، فرأيت حالهم سيئة، فقلت لبعض بناته : قد كان أبوكنّ حسن الحال فما ترك لكن شيئا؟ قالت : كيف وهو الذى يقول :

لا غَنَمِى مُدّ فى البقاء لها * إلَّا دِرَاك القرى ولا إبـلى

ذاك أفناها ذاك أفناها .

قال وأنشدنى محمد بن يزيد لعبد الصمد بن المُعَذَّل :

هى النفس تَجْزِى الوُدَّ بالودّ أهلَه * وان سُمْتَها الهِجْرانَ فالهجرُ دينُها

إذا ما قَرِينٌ بَتَّ منها حِبَالَه * فأَهْوَنُ مَفْقودٍ عليها قَرِينُها

لَبِئْس مُعـارُ الوُدِّ مَنْ لا يَرُبُّه * ومُسْتَوْدَع الأسرار من لا يَصُونها

(١) يقال : ناقة ضامز وضموز : تضم فاها لا تسمع لها رغاء .

وقال وحدثنا أبو بكر بن أبى الأزهر قال حدثنا أبو العباس قال حدثنى ابن عائشة فى إسناد ذكره قال قال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه : مِنْ أعجز الناس مَنْ عَجَز عن اكتساب الإخوان ، وأَعْجَزُ منه مَنْ ضيع من ظَفِرَ به منهم .

وقال معاوية رحمه الله تعالى : الرَّجُلُ بلا إخوان كيمين بغير شمال .

قال وأنشدنا أبو العباس :

وكنتُ إذا الصَّديقُ أراد غَيْظى * وأشْرَقَنِي على حَنَقٍ بِرِيقى
غَفَرْتُ ذُنوبَه وصَفَحْتُ عنه * مَخافَةَ أن أعيش بلا صديق

قال وأخبرنا ابن أبى الأزهر قال أخبرنا أبو عبد الله قال : دعا مالك بن أسماء بن خارجة جارية له لتَخْضِبَه ، فقالت : كَمْ أَرْقَع خَلَقَك؟ فقال :

عَيَّرْتِنِي خَلَقًا أَبْلَيتُ جِدَّتَه * وهل رأيتِ جديدا لم يَعُدْ خَلَقا

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لدعبل بن على الخزاعى :

نَعَوْنِى ولَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شامتٍ * وغيرُ عَدُوٍّ قد أُصِيبت مَقاتِلُهْ
يقولون إن ذاق الردى مات شعْرُه * وهَيْهات عُمْرُ الشِّعر طالت طوائله
سأَقْضِى ببيتٍ يَحْمَدُ الناسُ أمرَه * ويكثر من أهل الرواية حامله
يموت ردىء الشِّعْر مِنْ قبل أهله * وجَيِّدُه يَبْقَى وإن مات قائله

قال أبو العباس : وأخذ هذا المعنى أيضا من نفسه ، فقال فى قصيدة أولها هذه الأبيات :

إذا غَزَوْنا فَمَغْزانا بأَنْقَرَةٍ * وأهلُ سَلْمَى بِسِيفِ البحر من جُرُتِ(١)
هَيْهات هَيْهات بين المَنْزِلَيْن لقد * أَنْضَيْتُ شوقى وقد طَوَّلْتُ مُلْتَفَتِي
أحببتُ أهلى ولم أَظْلِم بُحُبِّهم * قالوا تَعَصَّب جَهْلا قَوْلَ ذى بَهَت
لَهُمْ لسانى بتقريظى وممْتَدحى * نَعَمْ وقلبى وما تحويه مَقْدُرَتى
دَعْنى أَصِلْ رَحِمى إن كنتَ قاطِعَها * لابُدَّ للرَّحِم الدُّنْيا من الصِّلة
فاحفظ عشيرتك الأَدْنَيْن إنَّ لهم * حَقًّا يُفَرِّق بين الزَّوْج والمَرَت

(١) جُرُت بضم فسكون قرية من قرى صنعاء باليمن وقد حرك لضرورة الشعر .

قَوْمِى بَنُو حِمْيَرٍ والأَزْدُ إخوتُهم * وآلُ كِنْدة والأَحْياءُ من عُلَت
ثُبْت الحُلوم فإن سُلَّتْ حَفَائظهم * سَلُّوا السيوفَ فأَرْدَوْا كلَّ ذى عَنَت
نَفْسِى تُنَافِسُنى فى كلّ مَكْرُمة * الى المعالى ولو خالَفْتُها أبت
وكم زَحَمْتُ طريق الموت مُعْتَرِضا * بالسيف ضَيقًا فأَدَّانى الى السَّعَت
قال العواذل أَوْدَى المالُ قلت لهم * ما بين أجرٍ ونَحْرٍ لى ومَحْمَدت
أَفْسَدْتَ مالَك قلت المالُ يُفْسدنى * إذا بَخِلْتُ به والجود مَصْلحتى
لاتَعْرِضَنَّ بمَزْحٍ لامرئ طَبِنٍ (١) * ماراضه قلبه أَجْراه فى الشَّفَت
فَرُبَّ قافيةٍ بالمَزْح قاتلة * مَشْئُومةٍ لم يُرَدْ إنماؤُها نَمَت
رَدُّ السَّلَى مُسْتَتِمًّا بعد قطعته * كَرَدِّ قافيةٍ من بعد ما مَضَت
إنّى إذا قلت بيتا مات قائلُه * ومَنْ يُقال له والبَيْتُ لم يَمُت

قال وقال أنشدنى الرياشى لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل

غَدَرَ ابن جُرْمُوزٍ بفارس بُهْمةٍ * يَوْمَ اللقاء وكان غيرَ مُعَرَّدِ (٢)
يا عمرو لو نَبَّهْتَه لوجدتَه * لاطائشا رَعِشَ الجَنَان ولا اليد
ثَكِلَتْك أُمُّك إن قَتَلْتَ لَمُسْلِما * وَجَبَتْ عليك عُقوبةُ المُتَعَمِّد

قال وقال حدّثنى الرياشى قال حدّثنا الأصمعىّ عن ابن عون قال : رأيت قاتل الزبير وقد حَمَلَ عليه الزبير، فقال له : أَنْشُدك الله، قال : ثم حمل عليه الزبير، فقال : أَنْشُدك الله ثلاثا، فلما انصرف عنه حمل على الزبير، فقال الزبير : قاتله الله! يُذَكِّر بالله و ينْساه! .

قال وقال حدّثنى الرياشى عن الأصمعىّ عن ابن أبى الزناد قال أَنْشد ابن عمر قولَ حسان بن ثابت الأنصارى :

يَأْبَى لِىَ السَّيفُ واللسانُ وقَوْ * م لم يُضَامُوا كَلِبْدةِ الأَسَد

فقال ابن عمر : أفلا قال : يأبى لى الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله .

---

(١) فى نسخة راده بدال مهملة وكلاهما له معنى صحيح لمحرر الرواية .
(٢) يقال : عرد الرجل عن قرنه إذا أحجم عنه ونكل .

قال وقال أنشدنا الرياشى قال أنشدنى مؤرج لنفسه :

فُزِّعْتُ بالبَيْن حتى ما يُفَزِّعنى * وبالمصائب فى أهلى وجيرانى

لم يترك الدهرُ لى عِلْقًا أَضَنُّ به * إلا اصْطفَاه بموت أو بهجران

قال ثم قتل[1] أمير المؤمنين الزبير، فقمت فما ألتقينا .

قال وأخبرنا الزبير قال حدّثنى أخى هارون عن عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المُسَاحق عن ابيه عن وهب بن مسلم عن أبيه قال : دخلت مسجد النبى صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق، فمررنا بسعيد بن المسيب فسلمنا عليه فردّ، ثم قال : ياأبا سعيد، مَنْ أشعرُ أصاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد : عمر بن أبى ربيعة وابن قيس الرُّقَيَّات، فقال له ابن مساحق : حين يقولان ماذا؟ قال : حين يقول صاحبنا :

خليلىَّ ما بالُ المَطَايا كأننا * نَرَاها على الأدبار بالقوم تَنْكُص

وقد أَتْعَبَ الحادى سُرَاهنَّ وانْتَحَى * بهنَّ فما يألو عَجُوزٌ مُقَلِّص

يَزِدْنَ بنا قُرْبًا فيَزْداد شَوْقُنَا * إذا زاد قربُ الدار والبُعْدُ يَنْقُص

وقد قُطِّعَتْ أعناقُهن صَبابةً * فأَنْفُسُها مما تُكَلَّف شُخَّص

ويقول صاحبكم ما شاء، فقال له نوفل : صاحبُكم أشعر بالغزل وصاحبُنا أكثر أفانينَ شعر ، فلما انقضى ما بينهما استغفر الله سعيد مائة مرة بعد بالخمس .

قال أبو على أنشدنى أبو بكر محمد بن أبى الأزهر قال أنشدنى أحمد بن إسحاق أبو المُدَوِّر قال أنشدنى ابن الاعرابى : — واسمه محمد بن زياد —

ولئن[2] سَأَلْتَ بنى سُلَيْم أَيُّنَا * أَدْنَى لكل أُرومة وفَعَال

لَيُنَبِّئَنَّك رَهْط مَعْنٍ أنهم * بالعلم للأَتْقَوْن من سَمَّال[3]

---

(١) هكذا فى الأصل ولا ارتباط بين هذه العبارة وما قبلها ، فلعل هنا كلاما سقط من الناسخ . (٢) الأبيات للفرزدق ؛ راجع كتاب النقائض طبع مدينة ليدن ص ٢٧٨ (٣) هو سمال بن عوف جد لمجاشع بن مسعود الصحابى وهو أبو قبيلة ؛ سمى بذلك لأنه لطم رجلا فسمل عينه .

إن السماء لنا عليك نجومها * والشَّمْس مُشْرقةٌ وكلُّ هلال

تَبْكِى المَرَاغة بالرِّغام على ابْنها * والنائحات يَهِجنَ بالأعوال

سُوق النَّواهِق مات مَنْ يَبْكِينه * وتَعَرَّضى لِمُصَعِّد القُفَّال

قال محمد : رأيته فى شعر الفرزدق : مصاعد ، ورأيت فى شرح البيت : النواهق والناهقات : ذُكْران الحمير، يقول : مات من يبكيه إلا الحَمِير .

وسَرَتْ مَدَامعُها تنوح على ابنها * بالرَّمْل قاعدةً على جَلَّال(١)

قال محمد : ولم يأت هذا البيت فى القصيدة .

قالوا لها احْتَسِبِي جَرِيرًا إنه * أَوْدَى الهِزَبْرُ به أبو الأشْبَال

ألقى عليه يَدَيْه ذو قُومِيَّةٍ(٢) * وَرْدٌ فَدَقَّ مَجَامِعَ الأوصال

قد كنتُ لو نَفَع النَّذِيرُ نَهَيْتُه * ألّا يكون فَرِيسة الرِّئْبَال(٣)

انِّى رأيتك اذ أَبَقْتَ فلم تَئِلْ * خَيَّرْتَ نفسك من ثلاث خِلَال

بين الرُّجوع الىَّ وهى بَغِيضةٌ * فى فيك مُدْنِيَة من الآجال

أو بين حَىِّ أبى نَعَامَةَ هاربا * أو باللِّحَاق بِطَيِّئ الأجبال

يريد بِحَىِّ أبى نَعامة : اذ هو حَىٌّ، يقال : فَعَلْتُ ذلك فى حَىِّ فلان أى وفُلان حَىٌّ . وأبو نَعامة : قَطَرِىُّ بن الفُجاءة من بنى مازن .

فاسأل فإنَّك من كُلَيْب واتَّبِعْ * بالعسكرين بَقِيَّةَ الأطلال

واسأل بقومك يا جَرِيرُ ودارِمٍ * مَنْ ضَمَّ بطنُ مِنِّى من الثُّزَّال

الثُّزَّال ها هنا : الحُجَّاج، قال عامر بن الطُّفيل :

أنازلةٌ أسْمَاءُ أم غير نازله * أَبِينِي لنا يا أَسْمَ ما أنتِ فاعله

تَجِد المَكارم والعَدِيدَ كِلَيْهما * فى مالك ورَغائب الآكال

(١) جلال كشداد : طريق نجد الى مكة . (٢) القومية : القوام . (٣) الرئبال : الأسد .

✦
✦ ✦

قال وقال: وأنشدنى أبو على أحمد بن إسحاق:

وأبيَضَ يَغْشَى المُعْتَفُون فِناءه * له حَسَبٌ زاكٍ ومَجْدٌ مُؤَثَّل

ولا تَكْرَه الجاراتُ أن يَعْتَفِينَه * اذا قام بالعبد الأسيرُ المُرَجَّل

قال: الأسير المُرَجَّل: الزِّق، يريد أن يشترى زِقًّا بعبد.

[تفسير قوله تعالى (وأنتم سامدون)]

قال ابن الأعرابى فى قول الله عز وجل: (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) قال: السامد: المُنْتَصِب هَمًّا وحزنا، وأنشد للكُمَيت بن معروف الأسدى:

رمى المِقْدَار نِسْوةَ آلِ حَرْب[1] * بِمِقْدَارٍ سَمَدْن له سُمُودا

فَرَدَّ شعورَهُنَّ السُّود بيضا * ورَدَّ خُدودَهُنَّ البِيضَ سُودا

فانك لو شَهِدْت بكاءَ هندٍ * ورَمْلة اذ تَصُكَّانِ[2] الخدودا

بَكَيْتَ بكاءَ مُعْوِلة حَزِينٍ * أصاب الدهرُ واحدها الفقيدا

✦
✦ ✦

قال أبو على قال أبو بكر: وأنشدنى محمد بن يزيد:

اذا لم تَصُنْ عِرْضا ولم تَخْشَ خالقا * وتَسْتَحْيِ مخلوقا فما شِئْتَ فاصنع

قال: وأنشدنى مسعود بن بشر لقريف الكلبى:

انِّى امرؤ نَبَهٌ وان عَشِيرتى * كَرَمٌ وان سماءهم تُسْتَمْطَرُ

حَدِبُوا عَلَىَّ كما حَدِبْتُ عليهم * فلئن فَخَرْتُ بهم لَنِعْمَ المَفْخَر

قال قال: وأنشدنى محمد بن يزيد قال: أنشدنى دعبل لرجل من أهل الكوفة فى امرأته وقد[3] تزوّجت غيره:

اذا ما نَكَحْتِ فَلَا بالرِّفاء * وإمَّا ابْتَنَيْتِ فلا بالبَنِينا

(١) المشهور فى كتب اللغة وغيرها رمى الحدثان الخ، ولعلهما روايتان. (٢) تصكان الخدود: تلطمانها.
(٣) ذكر فى اللسان فى مادة حرم عن ابن برى أن الشعر لرجل خطب امرأة من قومه فردّته.

تَزَوَّجْتِ أَصْلَعَ فى غُرْبَةٍ * تُجَنُّ الخَلِيلَةُ منه جُنُونا
اذا ما نُقِلْتِ الى بَيْتِهِ * أَعَدَّ لجنبيك سَوْطا مَتِينا
يُشِمُّكِ أخبثَ أعراضِهِ (١) * اذا ما دَنَوْتِ لِتَسْتَنْشِقِينا
كأنَّ المَساويكَ فى شِدْقِهِ * اذا هُنَّ أُكْرِهْنَ يَقْلَعْنَ طِينا

قال أبو على : وأنشدنا قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنى العتبى فى السَّرِىِّ بن عبد الله بن الحارث :

كأنَّ الذى يأتى السَّرِىَّ لحاجة * أناخ اليه بالذى كان يَطْلُب
اذا ما ابنُ عبد الله خَلَّى مكانَه * فقد حَلَّقَتْ بالجُود عَنْقاءُ مُغْرِب

قال وقال لى محمود بن يزيد : ما سمعت أهجى من هذا البيت ، وأنشدنيه لأخى دعبل بن على الخزاعى

قَوْمٌ اذا ذُعِرُوا أو نابهم فَزَعٌ * كانت حُصُونَهُمُ الأعراضُ والحُرَم

قال : وأنشدنى محمد بن يزيد قال : أنشدنى بلال بن هانئ بن عُقَيْل بن بلال بن جرير لجُمَاهِر ابن عبد الحكيم الكلبى :

قَضَى كلُّ ذى دَيْنٍ ووَفَّى غَرِيمَه * ودَيْنُك عند الزاهرية ما يُقْضَى
أُكاتِم فى حُبِّى ظريفةَ بالتى * اذا استبصر الواشون ظَنُّوا به بُغْضا
صُدُودا عن الحىِّ الذين أوَدُّهم * كأنِّى عَدُوٌّ لا يَطُور (٢) لهم أرضا
ولم يَدْعُ باسم الزاهرية ذاكرٌ * على آلةٍ الا ظَلِلْنا لها مَرْضَى
وما نَقَع الهِيمان بالشرب بعدهم * ولا ذاقت العينان مذ فارقوا غَمْضا
فلا وَصْلَ الا أن تُقَرِّب بيننا * غُرَيْرِيَّةٌ (٣) تشكو الأخِشَّة (٤) والغَرْضا

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد قال أنشدنى التوزى عن الأصمعى لنافع بن خليفة الغَنَوِى :

تُغَطِّى تُمَيْرٌ بالعمائم لُؤْمَها * وكيف يُغَطِّى اللؤمَ طَىُّ العمائم
فان تَضْربونا بالسِّياط فاننا * ضَرَبْنا كُمُ بالمُرْهَفات الصوارم

---

(١) أعراض : جمع عرض وهو الجسد ومنه الحديث (يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك) . (٢) لا يطور لهم أرضا : لا يحوم حولها . (٣) الأخشة : جمع خشاش بالكسر وهو ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب .
(٤) الغرض للرحل كالحزام للسرج .

وان تَحْلِقُوا منا الرءوس فاننا * حَلَقْنا رءوسا باللّحى والغَلاصم
وان تَمْنَعوا منا السلاح فعندنا * سِلاحٌ لنا لا يُشْتَرَى بالدراهم
جَلامِيد أَمْلاءُ الأَكُفِّ كأنّها * رءوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ فى المَوَاسم

قال وقال أنشدنا محمد بن يزيد :

فلا هَجْرَ القِلَى هَجَرَتْكَ نفسى * ولا هَجَرَتْكَ هِجْران الدَّلال
ولكنَّ المَلال سَمَا اليها * فعاذَتْ بالصُّدود من الملال
وشَجعَنى على الهِجْران أنى * رأيتك حين أهجرُ لا تبالى
فَدَيْتُك لا أبالى سوء حالى * اذا ما كُنْتَ أنت بخير حال
سأَمْنَحُ بعدك الإخوان هجرا * وأُقْلِى الوصل غابرةَ الليالى

[إنشاد حسان بن ثابت شيئا من شعره للنابغة وثناؤه عليه وعلى الخنساء]

قال أبو على : قرأت على أبى بكر محمد بن أبى الأزهر قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزومى عن رجل من الأنصار نسى اسمَه قال : جاء حسان بن ثابت رضى الله عنه الى النابغة ، فوجد الخنساءَ حين قامت من عنده ، فأنشده قوله :

أولاد جَفْنَةَ حَوْلَ قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المُفْضِل
يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهم * بَرَدَى يُصَفَّق بالرَّحِيق السَّلْسَل
يُغْشَوْن حتى ما تَهِرُّ كلابهم * لا يسألون عن السَّواد المُقْبِل

... الابيات ، فقال : إنك لشاعر ، وان أخت بنى سلم لَبَكَّاءة .

* * *

قال قال وأنشدنا الرياشى :

ليس الكَرِيم بمن يُدَنِّس عِرْضَه * ويرى مُرُوءته تكون بمن مَضَى
حتى يَشِيد بناءَهم ببنائه * ويَزِينَ صالحَ ما أَتَوْهُ بما أتى

قال قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

لَسْنَا وان كَرُمَتْ أوائلُنا * يومًا على الأحساب نَتَّكِل
نَبْنِى كما كانت أوائلنا * تَبْنِى ونَفْعَل كالذى فَعَلوا

قال : وأنشدنا أيضا محمد :

إنّى وإن كُنْتُ ابنَ فارس عامر (١) * وفى السِّرّ منها والصَّريح المُهَذَّب
فما سَوَّدَتْنى عامرٌ عن وراثة * أَبَى اللهُ أن أسمو بأمّ ولا أب
ولكنّنى أَحْمِى حِماها وأَتَّقِى * أذاها وأَرْمِى مَنْ رماها بمَنْكِب

قال أبو على : وقرأت على أبى بكر محمد بن أبى الأزهر قال : أنشدنا أبو العباس لعبد الله رحمه الله (٢) :

سَبَّبْت لى من حاجتى سَبَبًا * بجميل رأيك يا أبا الفضل
حتى اذا قَرَّبْتَ أَبْعَدَها * وَوَقَفْتَها فى المَوْقف السَّهْل
أَرْجَأْتَها فكأنّما سَقَطَتْ * مكسورةَ الرِّجْلَيْن فى الوَحْل

قال : وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد للعباس بن الأحنف

ألا كَتَبَتْ تَنْهَى وتأمر بالهجر * فقلت لها لو أنَّ قَلْبَك فى صدرى
سأَصْبِر كى تَرْضَىْ وأَهْلِكُ حَسْرةً * وحَسْبِى بأن ترضىْ ويُهْلِكنى صبرى

قال : وأنشدنا الرياشى :

اذا ما خليلى ساءنى سُوءُ فعله * ولم يك عَمَّا ساءنى بِمُفِيق
صَبَرْت على ما كان من سُوء فعله * مخافة أن أَبْقَى بغير صديق

قال : وأنشدنا أيضا محمد بن يزيد :

بِيَدِ الذى شَغَفَ الفؤادَ بكم * فَرَجُ الذى يَلْقَى من الهَمِّ
فاسْتَيْقِنِى أن قد كَلِفْتُ بكم * ثُمَّ افعلى ما شئتِ عن علم

قال : وأنشدنى أبو العباس محمد بن يزيد قال : أنشدنى دعبل لرجل من أهل الكوفة :

بَكَتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَها أن تَبَدَّلَتْ * هلالَ بنَ قَعْقَاعٍ ببشر بن غالب
وما هِىَ الا كالعروس تَنَقَّلَتْ * على رَغْمِها من هاشم فى محارب

قال وحدّثنا أبو بكر قال حدّثنا أبو زيد قال حدّثنا ابن عائشة قال حدّثنى دريد بن مجاشع عن غالب القطان عن مالك بن دينار عن الأحنف بن قيس قال : قال لى عمر : يا أحنف ، من كثر ضحكه

(١) هذا بيت دخله الخرم وقد تقدّم له نظائر . (٢) هكذا فى جميع النسخ ، وانظر من هو من العبادلة .

قلت هيبته، ومَنْ مَزَح اسْتُخِفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرِف به، ومن كثُر كلامُه كثر سَقَطُه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه مات قلبه .

قال وحدّثنا أبو زيد قال حدثنا محمد بن سلّام قال حدّثنى يونس بن حبيب قال : صَنَع رجل لأعرابى ثَرِيدة ليأكلها، فقال له : لا تَسْقَعْها ولا تَشْرِمها ولا تَقْعَرْها . قال له : فَمِنْ أين آكل لا أبالك؟ معنى تسقعها تقشر أعلاها، وتشرمها : تخرقها، وتقعرها : تأكل من أسفلها .

[مطلب سؤال بعض الأعراب لابنة الخس]

قال وحدّثنا أحمد بن يحيى قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا داود بن إبراهيم الجعفرى عن رجل من أهل البادية قال : قيل لابنة الخُسّ : أى الرجال أحبُّ اليك ؟ قالت : السَّهْل النَّجِيب، السَّمْح الحسيب، النَّدْب الأريب، السيد المَهيب؛ قيل لها : فهل بقى أحد من الرجال أفضل من هذا ؟ قالت : نعم، الأهْيَف الهَفْهاف، الأَنِف العَيَّاف، المُفيد المِتْلاف، الذى يُخِيف ولا يَخَاف؛ قيل لها : فأىُّ الرجال أبغض اليك ؟ قالت الأُوْره[1] النَّئُوم، الوَكِل[2] السَّئُوم، الضعيف الحَيْزُوم[3]، اللَّئِيم المَلُوم؛ قيل لها : فهل بقى أحد شر من هذا؟ قالت : نعم، الأَحْمَق النَّزَّاع، الضائع المُضَاع، الذى لا يُهاب ولا يطاع؛ قالوا : فأى النساء أحب اليك؟ قالت : البَيْضاء العَطِرة، كأنها ليلةٌ قَمِرة؛ قيل : فأى النساء أبغض اليك؟ قالت العِنْفِص[4] القصيرة، التى ان اسْتَنْطَقْتَها سكتت، وان سَكَتَّ عنها نطقت .

[الفرزدق وكثير عزة]

قال أبو على قال لنا أبو بكر يروى عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : لَقِىَ الفرزدقُ كُثَيِّرًا بقارعة البَلاط وأنا معه، فقال : أنت يا أبا صخر أنسبُ العرب حيث تقول :

أريد لِأنْسَى ذكرَها فكأنما * تَمَثَّل لى لَيْــلَى بكل سبيل

فقال له كثير : وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول

تَرَى الناسَ ما سِرْنا يَسِيرون خَلْفَنا * وان نَحْنُ أَوْمَأنا الى الناس وَقَّفُوا

(١) الأوره : الأحمق . (٢) الوكل : العاجز . (٣) الحيزوم وسط الصدر أو ما يشتد عليه الحزام .
(٤) العنفص : المرأة البذية القليلة الحياء .

وهـذان البيتان لجميل سرق أحدهما كثير والآخر الفرزدق ، فقال له الفرزدق : يا أبا صخر ، هـل كانت أُمُّك تَرِدُ البصرة؟ فقال : لا ، ولكن أبى كان يَرِدُها . قال طلحة بن عبد الله : والذى نفسى بيده لَعَجِبْت من كثير وجوابه ، وما رأيت أحدا قط أحمق منه ، رأيتُنى أنا وقد دَخَلْتُ عليه ومعى جماعة من قريش ، وكان عليلا . فقلنا : كيف تَجِدُك يا أبا صخر؟ قال : بخير ، هل سمعتم الناس يقولون شيئا ؟ وكان يَتَشَيَّع . فقلنا : نعم ، يتحدّثون أنك الدجال . قال : والله لئن قلت ذاك انى لأجد ضعفا فى عينى هذه منذ أيام .

* * *

قال وأنشدنا الزبير لبعض البصريين القُشَيْريين :

ولما تَبَيَّنْت المنازلَ باللِّوى * ولم تُقْضَ لى تسليمةُ المتزوّد
زَفَرْت اليها زَفْرةً لو حَشَوْتها * سَرابيلَ أبدان الحديد المُسَرَّد
لَفُضَّت حواشيها وظَلت لَحَرِّها * تَلِين كما لانت لداود فى اليد

[مطلب خروج محمد بن عبد الله بن الحسن على الدولة العباسية وخطبته التى خطبها]

قال وحدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنى مصعب بن عثمان قال : لما خرج محمد بن عبد الله بن حسن ، قام على منبر المدينة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، انه قد كان من أمر هذا الطاغية أبى جعفر من بنائه القبة الخضراء التى بناها معانَدَةً لله فى ملكه وتصغيره الكعبة الحرام ، وانما أخذ الله فرعون حين قال : أنا ربكم الأعلى ، وان أحق الناس بالقيام فى هذا الدين أبناء المهاجرين الأوّلين والأنصار المواسين . اللهم انهم قد أَحَلُّوا حرامك ، وحَرَّموا حلالك ، وعملوا بغير كتابك ، وغَيَّرُوا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمَنُوا من أَخَفْت ، وأخافوا من آمَنْت ، فأحْصِهِم عددا ، واقْتُلْهم بَدَدا ، ولا تُبْقِ على الأرض منهم أحدا .

* * *

قال وأنشدنا الزبير لأعرابى :

وقالوا ألا تَبْكِى خُرَيْمَ بن مالك * فقلت وهل يَبْكِى الذَّلُول المُوَقَّع(١)
صَبَرْت وكان الصبر خيرَ مَغَبَّةٍ * وهل جَزَعٌ مُجْدٍ علَىَّ فأجْزَع

(١) الموقع : الذى بظهره آثار الدبر لكثرة ما حُمل عليه وركب فهو ذلول مجرّب ، يريد : وهل أبكى وأنا حكيم مجرّب قد أصابنى من البلاء ما أصابنى .

ولو شئت أن أبكى دما لَبَكَيْتُه * عليه ولكنْ ساحة الصبر أوسع
وانى وان أظهرت صَبْرًا وحِسْبَةً * وصانَعْتُ أعدائى عليه لَمُوجَع
وأعددته ذُخْرًا لكلِّ مُلِمَّةٍ * وسَهْمُ المنايا بالذخائر مُولَع

قال : وأنشدنى محمد بن يزيد من هذه الأبيات ثلاثة أبيات أوّلها :

ألم تَرَنِى أَبْنِى على الليث بَيْتَه * وأحثو عليه الترب لا أتَخَشَّع
أَرُدُّ بقايا بُرْدِه فوق سُنَّةٍ * إخال بها ضوءا من البدر يَسْطَع

قال وأنشدنا الزبير قال : قرأها علىَّ عمر بن أبى بكر لجميل، قال أبو بكر بن أبى الأزهر وأنشدنى محمد بن يزيد هذه الأبيات ما خلا السِّتَّ الأول :

فقد لانَ أيامُ الصِّبا ثُمَّ لم يَكَدْ * من الدهر شىءٌ بعدَهُنَّ يَلين
ظعائن ما فى قُرْبِهِنَّ لذى هَوًى * من الناس الا شِقْوَةٌ وفُتُون
وواكَلْنَه والهَمَّ ثم تركْنَه * وفى القلب من وَجْدٍ بهنَّ رَهين
فَواحَسْرَتا ان حِيلَ بينى وبينها * ويا حَيْنَ نفسى كيف فيك تَحِين
فَشَيَّب رَوْعاتُ الفِراق مَفَارِقى * وأَنْشَزْن نفسى فوق حيث تكون
شَهِدْت بأنِّى لم تَغَيَّرْ مَوَدَّتى * وأنى بكم حَتَّى الممات ضَنِين
وأن فؤادى لا يلين الى هَوًى * سواك وان قالوا بَلَى سَيَلِين
وإنى لأَسْتَغْشى وما بى نَعْسَةٌ * لَعَلَّ لِقاءً فى المنام يكون
ولما عَلَوْتُ اللَّابَتَيْن تَشَوَّقت * قلوب الى وادى القرى وعيون
كأنَّ دموع العين يَوْمَ تَحَمَّلَتْ * بُثَيْنَةُ يَسْقِيها الرِّشاشَ مَعِين
ورُحْنَ وقد وَدَّعْن عندى لُبانةً * لِبَثْنَةَ سِرٌّ فى الفؤاد كَمِين
كَسِرِّ الثَّرَى لم يعلم الناسُ أنه * ثَوَى فى قَرار الأرض وهْوَ دَفِين
فان دام هذا الصَّرْمُ منْك فانَّنِى * لأَغْبَرُ هارى الجانبين رَهين
لكيما يقول الناس مات ولم أَهُنْ * عليك ولم تَنْبَتَّ منك قُرون

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر : وجدت فى كتاب لى حدّثنا الزبير بن عباد، ولا أدرى عمن هو، قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: خرجت فى سفر فصحبنى رجل، فلما أصبحنا نزلنا منزلا، فقال : ألا أنشدك أبياتا! قلت : أنشدنى، فأنشدنى :

ان المُؤَمِّل هاجــه أحزانُه * لما تَحَمَّــل غُدوةً جِيرانُه
بانوا فَمُلْتَمِسٌ سوى أوطانهم * وطَنًــا وآخرُ هَمُّــه أوطانُه
قد زادنى كَلَفًا الى ما كان بى * رِئْمٌ عَصَى فأذاقنى عِصْيانُه
حُلْوُ الكلام كأنَّ رَجْعَ حديثه * دُرٌّ يُساقِطُه اليــك لسانُه
ان كانَ شىء كان منه ببــابل * فلِسَانُه قد كان أو إنسانه

قال قلت : انك لأنت المُؤَمِّل، قال : أنا المؤمل بن طالوت .

* * *

قال أبو بكر : قال الزبير تقول العرب : المَلَاحةُ فى الفم، والجَمَال فى الأنف، والحلاوة فى العَيْنَيْن .

قال أبو بكر أنشدنا الرياشى قال أنشدنا أبو عبد الرحمن بن عائشة لرجل من تيم قريش :

إنى اذا أحييت نار مُرْمِــلةٍ[1] * أُلْفَى بأرفع تَلِّ مُوقِــدًا نارى
كيما يراها فقــيرٌ بائسٌ صِرِدٌ[2] * ومُرْمِلٌ جاء يسرى بعــد إعسار
عَوَّدْتُ نفسى اذا ما الضيف نَبَّهَنى * عَقْرَ العِشَار على عُسْرِى وإيسارى
أَبِيت أَقْــرِيه من مالى كَرائِمَــه * أختصّ كلَّ كِنَازٍ[3] شَحْمُها وارى
ولا أخالف جارى عنــد غِيْبَتِــه * الى حَلِيلتِــه تُقْتَصُّ آثارى
وأترك الشىءَ أهواه ويُعْجِبــنى * أَخْشَى عَواقِبَ ما فيــه من العار
إنا كذلك قِــدْمًا إن سألتَ بنــا * أَهْلُ الحِفاظ ومِنَّا صاحبُ الغار

قال أبو على قال أبو بكر بن أبى الأزهر : أنشدت لأعرابى :

أريدُ بأن لا يَعْــلَمَ النــاسُ أننى * أُحِبُّــكِ يا لَيْــلَى وأن تَصافِينى
فكيف بِهِمْ لا بُورِكوا ان هَجَرْتُها * جَزِعْتُ وإمَّا زُرْتُهــا عَــذَلُونى

(١) كذا بالأصل وهو غير مستقيم الوزن والمعنى . وفى كتاب سيبويه : * إنى اذا أخفيت نار لمرملة * وهو مستقيم الوزن والمعنى .
(٢) الصرد : البرد، صَرِد يصرَد فهو صرِد أى شديد البرد . (٣) الكناز : الناقة الصلبة الكثيرة اللحم .

قال : وأنشدت أيضا لأعرابى :

ألا إنَّ حُسْنًا دُونه قُلَّةُ الحِمَى * مُنَى النفس لو كانت تُنَال شرائعُهْ
أَرَيْتَكَ ان شَطَّتْ بكَ العامَ نِيَّةٌ * ونَاكَ مُصْطافُ الحِمَى ومَرابِعُهْ
أَتَرْعَيْنِ ما اسْتُودِعْتِ أم أنت كالذى * اذا ما نَأَى هانت عليه ودائعه

قال أبو على : وهذا غلط عندى، والرواية :

* ألا ان حِسْيًا دونه قلق الحمى *

كذا أنشدنيه أبو بكر بن دريد ومن أثق بعلمه .

قال أبو بكر بن أبى الأزهر وأنشدنا الرياشى للحَكَم بن قَنْبَر :

العلم زَيْنٌ وتشريف لصاحبه * فاطْلُبْ هُدِيتَ فنونَ العلم والأدبا
لا خير فيمن له أَصْلٌ بلا أدب * حتى يكون على ما نابه حَدِبا (١)
كَمْ من حَسِيب أخى عِىٍّ وطَمْطَمَة * فَدْمٍ لدى القول معروف اذا نُسِبا
فى بَيْت مَكْرُمَةٍ آباؤه نُجُبٌ * كانوا الرءوس فاضحى بعدهم ذَنَبا
وخامِلٍ مُقْرِف الآباء ذى أدب * نال المعالى به والمال والحَسَبا
أمسى عزيزا عظيم الشأن مشتهرا * فى خَدِّه صَعَرٌ قد ظَلَّ مُحْتَجِبا
وصاحبُ العلم معروفٌ به أبدا * نِعْمَ الخَلِيط اذا ما صاحب صَحِبا

قال وأنشدنا أبو على أحمد بن إسحاق :

وكم كَذْبة لى فيك لا أَسْتَقِيلُها * بِقَوْلى لمن ألقاه إنِّى صالح
وأىُّ صلاح لى وجِسْمِىَ ناحل * وقَلْبِىَ مشغوف ودَمعى سانح

[مطلب ما قاله عصمة بن مالك الفزارى فى وصف ذى الرمة]

قال وحدثنى أحمد بن إسحاق أبو المدور قال حدثنى حماد بن إسحاق قال حدثنى إسحاق بن إبراهيم قال قال أبو صالح الفزارى : تذاكرنا يوما ذا الرُّمَّة، فقال لنا عصْمة بن مالك الفزارى وكان قد بلغ عشرين ومائة سنة : إياى فاسألوا عنه، كان حُلْوَ العينين، خفيف العارضين، بَرَّاق الثنايا، واضح

(١) فى نسخة «حربا» بالراء ولعلهما روايتان .

الجبين، حَسَن الحديث، اذا انشد بروجش صوته، جمعنى وإياه مُرْتَبَعٌ مرَّةً فأتانى، فقال لى : هَيَا عِصْمةُ، إن مِيًّا مِنقَرِيَّة، ومِنقَرٌ أخبثُ حَيٍّ وأقوفُه لأَثَر، وأَثْبَتُه فى نظر، وقد عرفوا آثار إبلى، فهل من ناقة نَزْدَار عليها مِيًّا؟ قلت : إى والله، الجُؤْذَر بنت يمانية لِحَدٍّ لى، فقال : عَلَىَّ بها، فأتيته بها، فركب ورَدِفْتُه حتى أشْرَفْنا على منزل مَىٍّ، فاذا الحىُّ خُلوف، فأمهلْنا وتَقَوَّض النساء من بيوتهن الى بيت مى، واذا فيهن ظَرِيفة جَمَعَتْهن، فنزلنا بها، فقالت : أنشدنا ياذا الرمة، فقال : أنشدهن يا عصمة — وكان عصمة راويته — فأنشدتهن قصيدته التى يقول فيها :

نَظَرْتُ الى أظعان مَىٍّ كأنَّها * ذُرَى النَّخْل أوأَثْلٌ تَميل ذوائبُه

فأسْبَلْتِ العَيْنان والصدرُ كاتمٌ * بمُغْرَوْرِقٍ نَمَّتْ عليه سواكبُه

بكى وامق حان الفراق ولم تَجُل * جوائلها أسرارُه ومَعَاتِبُه

فقالت الظريفة : فالآن فَلْتَجُلْ، فقالت لها مَيّة : قاتلك الله! ماذا تجيبين به مُنْذ اليوم؟ ثم أَنْشَدْتُ حتى بلغتُ الى قوله :

اذا سَرَحَتْ من حُبِّ مَىٍّ سَوارِحٌ * عن القلب آبَتْهُ بِلَيْلٍ عَوَازِبُه

فقالت لها الظريفة : قَتَلْتِيه قَتَلك الله! فقالت مى : انه لصحيح وهَنِيئًا له، قال : فتنفس ذو الرمة تَنَفُّسًا كاد يُطير حَرُّه شَعَرَ وجهى، قال : ثم أنشدت حتى بلغت الى قوله :

وقد حَلَفَتْ بالله مَيَّةُ ما الذى * أُحَدِّثها إلا الذى أنا كاذبه

اذًا فَرَمانى الله من حيث لا أرَى * ولا زال فى أرضى عَدُوٌّ أحاربه

قال فقالت مَىٌّ : خَفْ عَوَاقِبَ الله عز وجل يا غَيْلان، قال : ثم أنشدت حتى بلغت الى قوله :

اذا نازَعَتْك القولَ مَيَّةُ أوبدا * لك الوجهُ منها أو نَضَا الدِّرْعَ سالبُه

فَيَالَك مِنْ خَدٍّ أسِيلٍ ومنطق * رخيم ومن خَلْقٍ تَعَلَّل جادِبُه(١)

قال فقالت الظريفة : هذا الوجه قد بدا، وهذا القول قد تُنُوزع فيه، فمن لنا بأن يَنْضُو الدرعَ سالبُه، فقالت مىّ : صلى الله على رسول الله ما أنكر ما تجيبين به منذ اليوم . قال : فقامت الظريفة وقمن معها، فقالت : دَعُوهم فان لهم لَشَأْنا، فقمت فَجَلَسْتُ ناحيةً، وجَلَسَا بحيث نراهما ولا نسمع

(١) أى لا يجد فيه مقالا ولا يجد فيه عيبا يعيبه به فيتعلل بالباطل و بالشىء يقوله وليس بعيب . كذا فى اللسان .

من كلامهما إلا الحرف بعد الحرف، ووالله ما رأيتهما بَرِحا من مكانهما، وسمعتها تقول له : كَذَبْتَ، فوالله ما أدرى ما الذى كَذَّبَتْـه فيه الى الساعة . ثم خرج ومعـه قارورة فيها دهن وقلائد، فقال : أعصمة، هـذه دُهْنة طَيِّبة أتحفتنا بها مَىٌّ وهـذه قلائد قَلَّدَتْها مَىٌّ الجُؤْذَرَ، ولا والله لا قَلَّدْتُهُنَّ بعيرا أبدا، فَعَقَدَهُنَّ فى ذؤابة سيفه وانصرفنا . فلما كان بعدُ، أتانى فقال : هَيا عِصْمة : قد رَحلَتْ مَىٌّ فلم يَبقَ إلا الديار، والنظر فى الآثار، فانهض بنا ننظر الى آثارها . قال : فركب وتبعتُه، فلما أشرف على المُرْتَبَع قال :

ألا يا اسْلَمِى يا دَارَ مَىٍّ على البِلَى * ولا زال مُنْهَـلًا بجَرْعائكِ القَطْرُ
وإن لم تكونى غير شـام بقفرة * تَجُرُّ بهـا الاذيالَ صَـيْفِيَّةٌ كُدْر

قال : ثم انفضختْ عيناه بالبكاء، فقلت : مَهْ ياذا الرمة، فقال : إنِّى لَجَلْدٌ على ما ترى، وإنِّى لَصَبُور . قال : فما رأيت رجلا أشـدَّ صَبابة ولا أحسنَ عَزاء منه . ثم افترقنا فكان آخرَ العهد به . قال عصمة : وكانت مَىٌّ صفراءَ أُمْلُودا واردة الشعر حُلْوة ظريفة، وانَّ فى النساء اللاتى معها لأَحْسَنَ منها، وكان عليها ثوب أصفر ونِطَاق أخضر .

[شـــعر لابن أذينـــة]

قال وأنشدنا لابن أذَيْنة :

ولقـد وَقَفْتُ على الديار لَعَلَّها * بجواب رَجْع تَحِيَّـة تتكلم
لَبِثُوا ثلاثَ[1] مِنًى بمنزل غِبْطـة * وهُمُ على عَجَـلٍ لعمرُك ما هم
متجاوِرِين بغير دار إقامة * لَوْ قَدْ أُجِدَّ[2] رَحِيلُهم لم يَنْدَموا
والعِيسُ تَسْجَع بالحَنِين كأنها * بين المنـازل حين تسجع مَأْتَم
ولَهُنَّ بالبيت العَتِيـق لُبـانةٌ * والرُّكْن يَعْـرِفُهُنَّ لو يتكلم
لو كان حَيًّـا قبلهن ظعائنًـا * حَيَّا الحَطِيمُ وجُوهَهُنَّ وزمزم
وكأنهنَّ وقـد برزْنَ لواغِبًـا[3] * بَيْضٌ بأفنِيـة المَقـام مُرَكَّم
ثم انصرفن لهن زِىٌّ فاخر * فأفَضْنَ فى زَقَبٍ[4] وحَلَّ المُحْرِم

(١) يريد ثلاثة أيام التشريق وهى التى يقف فيها الحاج بمنى . (٢) أجد رحيلهم : اعتزموه . (٣) اللواغب : المعيات من السير . (٤) الزقب : الطريق الضيق .

[أوصاف النساء]

قال وحدّثنا الرياشى قال : سمعت الأصمعى يقول حدّثنى أبى عن مولاه ابن الأجْيَد قال : كان أوْفَى بن دَلْهَم يقول : النساء أربع ، فمنهن مَعْمَع[1] ، لها شَيْئُها أجْمَع ؛ ومنهن صُدَّع ، تُفَرِّق ولا تَجْمَع ؛ ومنهن تُبَّع ، تَزْبِى[2] ولا تنفع ؛ ومنهن غَيْثٌ وَقَع ، ببلد فأَمْرَع . فذكرت هذا الحديث لأبى عَوانة فقال : كان عبد الملك بن عمر يزيد فيه : ومنهن القَرْثَع ، فقيل له : وما القرثع؟ قال : التى تلبس درعها مقلوبا وتَكْحل إحدى عينيها وتدع الأخرى .

* * *

قال وأنشدنا الزبير لابن أبى عاصية السُّلَمى :

فهل ناظرٌ من بطن غُمْدانَ مُبْصِرٌ * قفا أُحُدٍ رُمْتَ المَدَا المُتَراخِيا

ولو أنَّ داء اليأس بى فأعاننى * طبيب بأرواح العَقِيق شَفَانيا

قال الزبير : يعنى اليأس بن مُضَر وكان به داء السِّل وبه مات .

قال وأنشدنا الزبير لحُمَيد بن أَصْرم الطُّوسى :

خَلَّيْتَنِى والزَّمانُ مُنْتَكِثٌ * والجَدُّ كابٍ أُكابد الزَّمَنا

وانْقَلَب الدهرُ فانقلبتَ ولو * خانك صَرْفاه لم أَخُنْك أنا

قال وأنشدنا محمد بن يزيد لدعبل :

وصاحبٍ مُغْرَمٍ بالجُود قلتُ له * والبُخْل يَصْرِفُه عن شِيمة الجُود

لا تَقْضِيَنْ حاجةً أتعبتَ صاحبها * بالمَطْل منك فتُرْزَا غيرَ محمود

كأنَّنى رُحْتُ منه حين نَوَّلَنِى * بمُدْجَ الصَّدْر من مَتْنَيْه مَقْدود

كأنَّ أعضاءه فى كل مَكْرُمةٍ * يُتْرَعْنَ مُسْتَكْرَهات بالسَّفافيد

قال وأنشدنا محمد بن يزيد :

يُحِبُّ المَديح أبو مالك * ويَجْزَعُ من صِلَةِ المادح

كبِكْرٍ تُحِبُّ لذيذ النكاح * وتَفْرَق من صَوْلة الناكح

(١) المعمع : الذكية المتوقدة . (٢) تزبى : تسوق .

[دخول نصيب على عبد الملك بن مروان وعتابه نصيبا على قلة زيارته له]

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدثنى التوزى عن الأصمعى قال : دخل نُصَيْب على عبد الملك ابن مَرْوان، فعاتَبَه ولامه على قلة زيارته له وإتيانه إياه، فقال : يا أمير المؤمنين، أنا عَبْدٌ أسود، ولست من مُعَاشِرى الملوك، فدعاه الى النبيذ، فقال : يا أمير المؤمنين، أنا أَسْوَد البَشَرة قبيح المَنْظَرة، وانما وصلت الى مجلس أمير المؤمنين بعقلى، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يُدْخِل عليه ما يُزِيله فَعَل !- فاعفاه ووصله، فقال نصيب فى سواده :

سَوِدْتُ فلم أَمْلكْ سوادِى وتَحْتَه * قَمِيصٌ من القُوهِى[1] بِيضٌ بَنائقُهْ[2]

ولا خير فى وُدِّ امرئ مُتكارِهٍ * عليك ولا فى صاحب لا توافقه

فإن شئت فارفضه فلا خير عنده * وإن شئت فاجعله خليلا تُصادقه

* * *

قال وحدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا أبو عثمان المازنى قال : كان أعرابى يلزمنا فصيح اللسان، قال فقال له على بن جعفر بن سليمان : — وكان لا يعطيه شيئا وقد أتاه — مَرْحَبًا وأهْلا وسَهْلا، فقال الأعرابى :

وما مَرْحَبٌ إلّا كَرِيح تَنَسَّمتْ * اذا أنت لم تَخْلِطْ فَعالًا بمَرْحَب

فضحك منه ووَصَله .

قال وأنشدنا الرياشى قال أنشدنى أبو الوجيه :

تُبكّى على لَيْلَى خفاتا وما رأت * لك العينُ أسوارًا لِلَيْلَى ولا حِجْلا

ولكنّ نَظْراتٍ بعينٍ مليحةٍ * أُولاكَ اللَّوَاتِى قد مَتَلْنَ بنا مَتْلا

قال : وأنشدنا الزبير بن بكار لمالك بن أخى رُفَيْع الأسدى قال : أنشدنيها محمد بن أنس الأسدى — وكان صُعْلوكا — فطلبه مُصْعَب بن الزبير فَهَرَب منه، وقال :

بَغَانِى مُصْعَب وبنو أبيه * فأيْنَ أحِيد منهم لا أحِيد

أُسودٌ بالمجاز على أُسُود * خَوادِرَ ما تُنَهْنِهُها الأسود

(١) القوهى : منسوب الى قوهستان وكانت تحمل منها الثياب البيض . (٢) البنائق : جمع بنيقة وهى ما تزاد فى القميص ليتسع .

أقادُوا مِنْ دمى وتوعَّدُونى * وكنتُ وما يُنَهْنِهُنى الوعيد
شَقِيتُ بهم على طول التَّنائى * كما شَقِيَتْ بأحْمِرِها ثمود
عَسَى ابنُ الكاهِلِيَّةِ فى نَدَاه * يَعُود بحِلْمِه فيما يعود
فيأْمَنَ خائفٌ بهم طريد * ويأتِىَ أهلَه النائى البعيد

[شعب بوان وما كتب على حائط فيه أو على بابه من الشعر]

قال وحدّثنا أبو العباس محمد بن يزيد قال : خرجت مع الحسن بن رجاء الى فارس ، فلما صِرْنا الى موضع يعرف بشِعْب بَوَّان رأيت على حائط قال أو على باب الشِّعْب مكتوبا بخط جليل :

اذا أشْرَف المكروبُ من رأس تَلْعةٍ * على شعْبِ بَوَّانٍ أفاق من الكَرْب
وألهاه بَطْنٌ كالحرِيرة مَسُّه * ومُطَّرِدٌ يَجْرِى من البارد العَذْب
وطيبُ ثمارٍ فى رِياض أريضة * وأغصانُ أشجار جَنَاها على قُرْب
فبالله يا ريح الجنوب تَحَمَّلِى * الى شعب بَوَّانٍ سلامَ فتًى صَبّ

واذا تحت ذلك الخط الجليل بخط أدقّ منه :

لَيْتَ شعرى عن الذين تَرَكْنا * خَلْفَنا بالعِراق هل يَذْكُرونا
أم لَعَلَّ المَدَى تَطاوَل حتى * قَدُمَ العهدُ بيننا فنَسُونا

[مالك بن أبى السمح المغنى وما قيل فيه من الشعر]

قال وأنشدنا الزبير للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فى شبابه — وكان مالك بن أبى السَّمْح المُغَنِّى وهو رجل من طيِّئ خاصًّا به — وكان الحسين بن عبد الله يكنى أبا عبد الله وقد روى عنه الحديث :

لا عَيْشَ إلا بمالِك بنِ أبى السَّمْحِ فلا تَلْحَنِى ولا تَلُمِ
أبْيَض كالسَّيْف أو كلامِعةِ البُرُوق فى حالك من الظُّلَمِ
يصيب من لَذَّة الكَرِيم ولا * ينهك حق الإسلام والحرمِ
يا رُبَّ يومٍ لنا كحاشية البُرْد وليلٍ كذاك لم يَدُمِ
قد كنت فيه ومالك بن أبى السمح كريم الأخلاق والشِّيَمِ

* * *

قال وأنشدنى محمد بن يزيد لبعضهم :

مِنْ نَدَى عاصم جَرَى الماء فى العُو * د وفى سيفه دماء الذِّباح
قائم السيف أخضرٌ من نداه * وعلى شَفْرَتَيْه سُمٌّ متاح
يَتَلَقَّى النَّدى بوجه حَيِيٍّ * وصدورَ القَنا بوَجْهٍ وَقَاح

قال : وأنشدت فى رجل كان يبخل و يصوم الاثنين والخميس :

أَزُورُك يَوْمَ الصوم علماً بأننى * اذا جئتُ يوما غَيْرَه لا أُكَلَّم
مخافةَ قولى إننى جئت جائعا * ولو قلتها أيضا لما كنت أُطْعَم

قال : وأنشدنا محمد بن يزيد لداود بن سلم التميمى يقوله فى قُثَم بنِ العباس :

نَجَوْتِ من حلٍّ ومن رِحْلةٍ * يا ناق إن أَدْنَيْتِنى من قُثَمْ
إنَّك إن بَلَّغْتنيه غَدًا * أَحْيَا لَىَ اليُسْر ومات العَدَمْ
فى باعه طُولٌ وفى وجهه * نور وفى العِرْنِينِ منه شَمَمْ
أَصَمُّ عن قول الخنا سَمْعُه * وما عن الخير به من صَمَمْ
لم يَدْرِ ما لا وبَلَى قد دَرَى * فَعَافَها وٱعتاض منها نَعَمْ

قال : وأنشدنا حماد بن إسحاق عن أبيه فى صفة الذئب قال وأنشدنا محمد بن يزيد، قال أبوعلى : وأنشدنيه أيضا محمد بن الحسن :

أَطْلَس يُخْفِى شَخْصَه غُبارُهُ * فى شِدْقِهِ شَفْرَتُه وناره
* بَهْمُ بنى مُحارِبٍ مُزْدارُهُ *

قال أبو على : وقرأت على أبى عمر عن أبى العباس عن ٱبن الأعرابى فى صفة البعوض :

مِثْلُ السَّفاةِ دائمٌ طَنِينُها * رُكِّب فى خُرْطُومها سِكِّينُها

قال أبو بكر بن أبى الأزهر قال حماد بن إسحاق سألت أبى عن قول ٱبن أحمر :

وقَرَّطُوا الخَيْلَ من فَلْجٍ أَعِنَّتَها * مُسْتَمْسِك بهَوادِيها ومَصْرُوع

فقال : تقريطها أن يُرْسَل للفرس عِنانُه حتى يكون فى موضع القُرْط منه، وذلك أَشَدُّ لجَرْيه .

قال وأنشدنى حماد عن أبيه لكُثَيِّر :

وإنِّى لَأَسْتَأْنِى ولولا طَلَاعَتى * بعَزَّةَ قـد جَمَّعْت بَيْنَ الضَّرائر

وهَمَّ بَنَـاتِى أن يَبِنَّ وحَمَّمَتْ * وُجوهُ رجالٍ من بَنِيَّ الأصاغر

يقول : لولا أنى أَتَأَنَّى وأنتظر وأرجو أن أَظْفَر بعَزَّة لقد كنت تزوَّجت ضرائر ووُلِد لى بناتٌ وكَبِرْن وهَمَمْن بأن يَبِنَّ من أزواجهن . وقوله : وحَمَّمَتْ وجوه رجال من بَنِيَّ الأصاغر، حممت أى اسودَّت منابت لحاهم لنبت الشعر .

[الكلام على المفضليات وعناية بنى العباس بها]

قال أبو على وقرأت على أبى الحسن على بن سليمان الأخفش فى المُفَضَّلِيَّات قصيدة عبـد يغوث ابن وَقَّاص الحارثى — وكان أُسِرَ يوم الكُلَاب، أَسَرَتْه التَّيْمُ — وقال أبو الحسن على بن سليمان : حدّثنى أبو جعفر محمد بن الليث الأصفهانى قال : أَمْلَى علينا أبو عِكْرِمَةَ الضَّبِّيُّ المفضليات من أولها الى آخرها، وذكر أن المفضل أخرج منها ثمانين قصيدة للمَهْدِىِّ، وقُرِئَت بعدُ على الأصمعى فصارت مائة وعشرين، قال أبو الحسن : أخبرنا أبو العباس ثعلب أن أبا العالية الأنطاكى والسَّدْرِى وعافيـة بن شبيب — وهؤلاء كلهم بصريون من أصحاب الأصمعى — أخبروه أنهم قرأوا عليه المفضليات ثم استقرأوا الشعر فأخذوا من كل شاعر خيار شعره، وضَمُّوه الى المفضليات وسألوه عما فيه مما أشكل عليهم من معانى الشعر وغريبه فكَثُرَتْ جِدًّا .

[قصيدة المسيب التى أولها أرحلت من سلمى بغير متـاع]

وقال أبو عكرمة : مر أبو جعفر المنصور بالمهدى وهو ينشد المفضل قصيدة المسيب[1] التى أولها أرحلت، وهى هذه :

أرَحَلْتَ من سَلْمَى بغير مَتَاع * قَبْلَ العُطَاسِ[2] ورُعْتَها بِوَدَاعِ

عن غير مَقْلِيَةٍ وإنَّ حِبالَهَـا * ليست بأَرْمامٍ ولا أَقْطاع

اذ تَسْتَبِيكَ بأَصْلَتَيَّ ناعـمٍ * قامت لَتَقْتُلَه بغـير قِنَـاع

(١) هو المسيب بن علس كما فى المفضليات طبع أوربا ص ٩١ (٢) العطاس : الصبح .

ومهًا يَرِفُّ كأنّه اذ ذُقْتَــه * عانيَّــةٌ شُجَّت بمـاء يَرَاع
أو صَوْبِ غادية أدرَّتْه الصَّبا * ببَزِيل أزْهَر مُدْمَج بسَيَّـاع
فرأيت أن الحِلْم مُجْتنب الصِّبا * فَصَحَوْت بعد تَشَوُّق ورُوَاع
فَتَسَلَّ حاجتها اذا هِيَ أعْرَضَتْ * بخَمِيصة سُرُح اليَدَيْن وَسَاع
صَكَّاء ذِعْلَبَةٍ اذا اسْتَدْبَرْتَهـا * حَرَج اذا اسْتَقْبَلْتَهَا هِلْوَاع (١)
وكأن قَنْطَرة بموضـع كُورِها * مَلْساء بين غَوَامِض الأَنْسَاع
واذا تَعَاوَرت الحَصَى أَخْفَافُها * دَوَّتْ نَوَادِيه بظَهْــر القَاع
وكأنَّ حارِكَهـا رَبَاوة مَخْرِم * وتَمُــدُّ ثِنْيَ جَدِيلِهـا بِشِرَاع
فاذا أَطَفْتَ بها أطفت بكَلْكَلٍ * نَبِض الفَرَائص مُجْفَرِ الأضلاع
مَرِحَتْ يَداها للنَّجَاء كأنمـا * تَكْرُو بكَفَّيْ لاعبٍ فى صاع
فِعْلَ السَّرِيعة بادَرَتْ جُدَّادَها * قَبْلَ المَسَاء تَهُــمُّ بالإسْراع
فَلَأُهْدِيَنَّ مع الرِّياح قَصِيدةً * مِنِّى مُغَلْغَلَةً الى القَعْقاع
تَرِدُ المَنَاهلَ لا تزال غَرِيبةً * فى القوم بَيْنَ تَمَثُّلٍ وسَمَـاع
واذا الملوكُ تَدَافَعَتْ أركانُهَا * أفْضَلْتَ فَوْق أكُفِّهم بِذِرَاع
واذا تَهِيجُ الريحُ من صُرَّادِها * ثَلْجًا يُنِيخ النِّيبَ بالجَعْجَاع
أحْلَلْت بَيْتَك بالجميع وبَعْضُهُمْ * مُتَفَــرِّقٌ لِيَحُلَّ بالأَوْزَاع
ولأنْتَ أجْوَدُ من خَلِيج مُفْعَمٍ * مُتَرَاكِبِ الآذِيِّ ذِى دُفَّاع
وكأنَّ بُلْقَ الخَيْـل فى حافاته * تَرْمِى بهنَّ دَوَالِىَ الزُّرَّاع
ولأنت أشْجَعُ فى الأَعَادِى كُلِّها * من مُخْدِرٍ لَيْثٍ مُعِيدٍ وِقَاع
يأتى على القوم الكثير سلاحُهم * فَيَبِيتُ منـه القوم فى وَعْوَاع (٢)
أنت الوَفِىُّ فما تُذَمُّ وبَعْضُهم * تُودِى بِذِمَّتِـه عُقَابُ مَلَاع (٣)

(١) الهلواع : السريعة الحديدة المذعان من النوق . (٢) الوعواع : الضجة . (٣) الملاع : أرض أضيفت اليها عقاب فى قولهم أودت بهم عقاب ملاع بالإضافة أو بالنعت وهى العقاب التى تصيد الجرذان .

واذا رماه الكاشحون رماهُم * بمَعَابِلٍ[1] مَذْرُوبةٍ وقِطَاع
أنت الذى زَعَمَتْ تَمِيمٌ أنه * أهْلُ السَّماحة والنَّدى والباع

فلم يزل واقفا من حيث لا يُشْعَر به حتى اسْتَوْفَى سَمَاعَها ؛ ثم صار الى مجلس له وأمر باحضارهما، فحَدَّث المُفَضَّل بوقوفه واستماعه لقصيدة المسيب واستحسانه إياها، وقال له : لو عَمَدْتَ الى أشعار الشُّعَراء المُقِلِّين واخترت لِفَتَاك لكل شاعر أجود ما قال لكان ذلك صوابا ! ففعل المفضل .

[قصيدة عبد يغوث التى أولها ألا لا تلومانى كفى اللوم ما بيا]

قال أبو على : ثم نرجع الى قصيدة عبد يَغُوث قال :

ألَا لا تَلُومانِى كَفَى اللَّوْمَ ما بِيَا * فما لَكُما فى اللوم خَيْرٌ ولا لِيَا
ألم تَعْلَمَا أن المَلَامة نَفْعُها * قَلِيلٌ وما لومِى أخى من شِمالِيَا
فَيَا راكِبًا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ * نَدَامَاىَ من نَجْرانَ أن لا تلاقيا
أَبا كَرِبٍ والأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِما * وقَيْسًا بأعلى حَضْرَمَوْت اليَمَانيا
جَزَى اللهُ قَوْمِى بالكُلَاب مَلَامةً * صَرِيحَهُمُ والآخرين المَوَالِيا
ولو شِئْتُ نَجَّتْنِى من الخَيْل نَهْدَةٌ * تَرَى خَلْفَها الجَوَّ الجِيادَ تَوَالِيا
ولكنَّنى أحْمِى ذِمارَ أبيكُمُ * وكانَ الرِّماحُ يَخْتَطِفْن المُحَامِيا
أقول وقد شَدُّوا لسانى بِنِسْعة * أَمَعْشَرَ تَيْم أطْلِقوا لى لِسَانيا
أمعشرَ تَيْم قد مَلَكْتُم فأسْجِحُوا * فإنَّ أخاكم لم يكن من بَوَائيا
أَحَقًّا عبادَ الله أن لَسْتُ سامِعًا * نَشِيدَ الرِّعاء المُعْزِبِين المَتَالِيا
وتَضْحَكُ منى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ * كأن لم تَرَنْ[2] قبلى أسِيرا يمانيا
وظلَّ نِسَاءُ الحَىِّ حَوْلِى رُكَّدًا * يُرَاوِدْنَ مِنِّى ما تُرِيد نِسائيا
وقد عَلِمَتْ عِرْسِى مُلَيْكَةُ أَنَّنى * أنا الليث مَعْدِيًّا عليه وعاديا
وقد كنتُ نَحَّارَ الجَزُور ومُعْمِلَ الـ * ـمَطِىِّ وأَمْضِى حيثُ لاحَىَّ ماضيا

(١) المعابل : جمع مِعْبَلة وهى النصل الطويل العريض .
(٢) هكذا وقع بالنون فى الأصول المعتمدة ، وسيأتى شرح الكلمة قريبا .

وأنحرُ للشَّرْبِ الكِرام مَطِيَّتى * وأَصْدَعُ بين القَيْنَتَيْن رِدَائيا
وكنتُ اذا ما الخيل شمَّصَها القَنا * لَبِيقًا بتَصْرِيف القَناة بَنَانِيا
وعادِيةٍ سَوْمَ الجَرَادِ وزَعْتُها * بكَفِّى وقد أنْحَوْا الىَّ العَوَالِيا
كأنِّىَ لم أرْكب جَوادا ولم أَقُلْ * لخَيْلَىَ كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا
ولم أَسْبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقل * لأيْسارِ صِدْقٍ أعْظِمُوا ضَوْءَنارِيا

قال أبو على : قوله ألا لا تلومانى كفى اللوم مابيا، أى كفى اللَّوْمَ ما تَرَوْن من حالى فلا تحتاجون الى لومى مع إسَارِى وجَهْدِى . وقوله : وما لومى أخى من شماليا . قال و يروى : وما لومى أخًا من شماليا . وشِمالى أى خُلُقِى وهو واحد الشمائل . وقوله : أبا كَرِبٍ والأيهمين وقيسا، قال أبو على : أبو كرب والأيهمان من اليمن، وقيس بن مَعْدِيكَرِبَ أبو الأشعث بن قيس الكندى، وأصل الأيهم الأعمى . وقوله :

جَزَى الله قومى بالكُلَاب ملَامةً * صَرِيحَهُمُ والآخَرِين المَوَالِيا

قال : يروى مكان جزى الله قومى: * لَحَى الله خَيْلا بالكلاب دَعَوْتُهَا * وقوله : صريحهم يعنى خالصهم، والمَوَالِى هنا الحُلَفاء . وقوله : * ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة * قال: وروى سعدان عن أبى عبيدة : ولو شئت نَجَّتنى كُمَيْتٌ رَجِيلةٌ . قال : و رجيلة : قوية شديدة . والنَّهْدة : المرتفعة الخَلْق، وكلُّ ما ارتفع يقال له نَهْدٌ ، يقال : نَهَدْنا للقوم أى ارتفعنا اليهم للقتال ، ومنه : نَهَدَ ثَدْىُ الجارية اذا ارتفع، وجارية ناهِدٌ . وقال: والحُوُّ من الخيل : التى تضرب للخضرة، والحُوَّة : الخضرة. وقوله : تَوَاليا أى تتبعها، لأن فرسه خفيفة تَقَدَّمتِ الخيلَ . وقال الأصمعى : إنما خصّ الحُوَّ، لأنها أصبر الخيل وأخَفُّها عظاما اذا عَرِقَت لكثرة الجَرْى . وقوله : أحْمِى ذِمَارَ أبيكم، الذِّمار : ما يجب حفظه من مَنَعة جار أو طلب ثار . وقوله : * وكان الرِّماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحَامِيا * هذا مثل، و يروى: وكان العوالى يختطفن . وقوله : وقد شدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ ، قال : هذا مثل ، لأن اللسان لا يُشَدُّ بنِسعة، و إنما أراد : افعلوا بى خيرا ينطلق لسانى بشكركم، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم، قال و يروى : * مَعَاشِرَ تَيْمٍ أطلقوا لى لسانيا * وقوله : * أَمَعْشَرَ تَيْمٍ قد مَلَكْتم فأَسْجِحُوا * وقوله : أَسْجِحوا أى سهِّلوا و يَسِّرُوا فى أمرى ، يقال : خَدٌّ أَسْجَح ، وطريق أَسْجَح اذا كان سهلا . وقوله :

* فإن أخاكم لم يكن من بَوَائيا * قال: البَوَاء : السَّواء، يريد : إن أخاكم لم يكن نظيرا لى فأكون بَوَاءً له، يقال : بُؤْ بفلان أى اذهب به، يقال ذلك للمقتول بمن قَتَل . وقوله :

أحقًّا عبادَ الله أن لست سامعا * نَشِيد الرِّعاء المُعْزِبين المَتالِيا

قال : والمُعْزِب : المُتَنَحِّى . والمَتَالِى : التى قد نُتِج بعضها وبقى بعض، يقال للجميع مَتَالٍ ، واحدتها مُتْلِية . وقوله : * وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم ترا قبلى... قال الأخفش : رواية أهل الكوفة : كأن لم تَرَنْ قبلى، وهذا عندنا خطأ، والصواب[1] تَرَىْ بحذف النون علامة للجزم . قال : والأسير : المأسور، نقل من مفعول الى فعيل، كما تقول مقتول وقتيل ومذبوح وذبيح . قال : والمأسور : المشدود، أخذ من الأسْر، والأَسْرُ : القِدُّ، فمأسور مفعول من الأسر . وقوله : وأنحر للشرب، والشرب : جمع شارب . والمَطِيَّة : البعير هاهنا، سُمِّى مَطِية لأن ظهره يُمْتَطَى، ويقال : سمى مَطية لأنه يُمْطَى به فى السير أى يمدّ . قال ويروى : وأَعْبِط للشَّرْب أى أنحر مطيتى من غير علة بها، يقال للرجل اذا مات بغتة : قد اعْتُبِط، ويقال للذبيح : أعَبِيطٌ أم عارضة . قال : والعَبِيط : الذى يُنْحَر أو يُذْبَح من غير علة . والعارضة : أن يذبح من مرض، ومنه قول أُمَيَّة :

من لم يَمُتْ عَبْطَةً يمت هَرَمًا * للموتِ كأسٌ والمَرْءُ ذائقُها

وقوله أَصْدَع أى أشقّ . والقينة : الأَمَة مُغَنِّية كانت أو غير مُغَنِّية . وقوله : شَمَّصها، قال ويروى : شَمَّصها وشَمَّسها وهما واحد والسين أجود، ويروى : نَفَّرها القنا . وقوله : * وعادية سوم الجراد وزعتها * قال : والعادية : القوم يَعْدُون . وسَوْمُ الجراد : انتشارُه فى المَرْعَى، كما قال العجاج :

* سَوْم الجَرَاد الشَّدّ يَرْتَاد الخُضَر * وقوله : وَزَعْتها أى كَفَفْتها، والوازع : الكافُّ المانع، ويروى أن الحسن رحمه الله تعالى لما وَلِىَ القضاء قال : لا بُدَّ للسلطان من وَزَعَة . وقوله : وقد أَنْحَوا الَىَّ العَوَالِيا . أنحوا : أما لوا وقصدوا بها . والعالية من الرمح : أعلاه وهو ما دون السنان بذراع . وقوله : لخيلى كُرِّى نَفِّسى، قال ويروى : قاتلى . وقوله : ولم أَسْبَأ الزِّق، السِّبَاءُ : اشتراء الخمر .

---

(١) هذا مبنى على أن الفعل مسند لياء المخاطبة على معنى كأن لم ترى أنت، فيكون فيه التفات من الغيبة الى الخطاب ولم يحكه أحد من النحاة، بل الذى ذكره صاحب المغنى أن أبا على خرّج البيت على أن أصل الفعل ترأى بهمزة بعدها ألف ثم حذفت الألف للجازم ثم أبدلت الهمزة ألفا وعلل بما يطول فانظره فى مبحث لم .

[قصة مالك بن الريب الشاعر وصحبته لسعيد بن عثمان بن عفان الى خراسان وقصيدته التى قالها وهو مريض يذكر مرضه وغربته]

قال أبو على: وقرأت قصيدة مالك بن الرَّيْب التى أوّلها: * ألا لَيْت شِعرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً *
على أبى بكر بن دريد ولها خبر أنا ذاكره، قال قال أبو عبيدة: لما وَلَّى أميرُ المؤمنين معاويةُ
ابنُ أبى سفيانَ سعيدَ بنَ عثمان بنِ عفان رضى الله تعالى عنهم خراسان، سار فيمن معه فأخذ طريق
فارس، فلقيه بها مالك بن الرَّيْب بن حُوط بن قُرْط بن حِسْل بن رَبيعة بن كابِيَةَ بن حُرْقُوص
ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وأمه شَهْلة بنت سَنِيح بن الحُرِّ بن ربيعة بن كابية بن حرقوص
ابن مازن. قال: وكان مالك بن الريب فيما ذُكِر من أجمل العرب جَمالا وأبْيَنِهم بيانا، فلما رآه
سعيد أعجبه. وقال أبو الحسن المدائنى: بل مرّ به سعيد بالبادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة
حين ولّاه معاوية خراسان ومالك فى نَفَر من أصحابه، فقال له: وَيْحَك يا مالك! ما الذى يدعوك الى
ما يَبْلُغنى عنك من العَداء وقَطْع الطريق؟ قال: أصلح الله الأمير، العجزُ عن مكافأة الإخوان.
قال: فإن أنا أغْنَيْتُك واستصحبتك أتَكُفُّ عما تفعل وتتبعنى؟ قال: نعم، أصلح الله الأمير، أَكُفُّ
كأحسنِ ما كَفَّ أحد، فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر، وكان معه حتى قُتِل
بخراسان. قال: ومكث مالك بخراسان فمات هناك، فقال يَذْكُر مَرَضه وغُرْبته. وقال بعضهم:
بل مات فى غَزْو سعيد، طُعِن فَسَقَط وهو بآخر رَمَق. وقال آخرون: بل مات فى خان، فرَثَتْه
الجانُّ لِمَا رأت من غُرْبته ووَحْدته، ووَضَعت الجنُّ الصحيفةَ التى فيها القصيدة تحت رأسه،
والله أعلم أىّ ذلك كان، وهى هذه:

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلةً * بجَنْب الغَضَى أُزْجِى القِلاصَ النَّواجِيَا
فَلَيْتَ الغَضَى لم يَقْطَع الرَّكْبُ عَرْضَه * ولَيْتَ الغَضَى ماشَى الرِّكاب لَيَالِيَا
لقد كان فى أهل الغضى لو دنا الغضى * مَزَارٌ ولكنَّ الغضى ليس دانيا
ألم تَرَنِى بِعْتُ الضَّلالَةَ بالهُدَى * وأصْبَحْتُ فى جَيْش ابن عَفَّان غازيا
وأصبحت فى أرض الأعادِيِّ بَعْدَما * أَرَانِى عن أرض الأعادِيِّ قاصيا

(١) الأعادى: الياء وتشديدها فيه وفى الذى بعده لإقامة الوزن، والتشديد هو الأصل فى الكلمة لأنها جمع أعداء، وجمع أفعال أفاعيل.

دعانى الهوى من أهل أوّد وصُحْبتى * بِذِى الطَّبَسَيْن فالتفتُّ ورائيا
أجبْتُ الهوى لمّا دعانى بزفرة * تقنّعْتُ منها أن ألامَ رِدائيا
أقول وقد حالت قُرَى الكُرْد بيْننا * جزَى الله عمْرًا خيرَ ما كان جازيا
إن الله يرجعنى من الغزْو لا أرَى * وإن قلّ مالى طالبا ما ورائيا
تقول ابْنتى لمّا رأتْ طُولَ رِحْلتى * سِقارُك هذا تاركى لا أبا ليا
لعَمْرى لئن نالت خُراسانُ هامَتى * لقد كُنْتُ عن بابىْ خراسان نائيا
فإن أنْجُ من بابىْ خُراسانَ لا أعُدْ * اليها وإن مَنّيْتمونى الأمانيا
فلله دَرّى يوم أتْرُكُ طائعا * بَنِىَّ بأعْلَى الرَّقْمتيْن وماليا
ودرُّ الظِّباءِ السانحات عَشِيَّةً * يُخبّرْن أنى هالكٌ مَنْ ورائيا
ودرُّ كبيرَىَّ اللّذيْن كِلاهما * عَلَىَّ شفيقٌ ناصحٌ لو نَهانيا
ودرُّ الرجال الشاهدين تفتُّكى * بأمرى ألا يَقْصُروا مِنْ وَثاقيا
ودرُّ الهوى من حيث يدعو صحابتى * ودرّ لَجاجاتى ودرّ انْتهائيا
تذكّرْتُ من يَبْكى علَىَّ فلم أجد * سوى السيف والرُّمْح الرُّدَيْنىّ باكيا
وأشْقَرَ مَحْبُوكا يَجُرُّ عِنانَه * الى الماء لم يَتْرُك له الموتُ ساقيا
ولكن بأكناف السُّمَيْنة نِسْوةٌ * عزيزٌ عليهنّ العَشِيَّةَ مابيا
صَريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرة * يُسَوُّون لَحْدى حيث حُمّ قضائيا
ولمّا تَرَاءَتْ عند مَرْوٍ مَنِيَّتى * وخَلّ بها جِسْمى وحانت وَفاتيا
أقول لأصحابى ارْفَعُونى فإنه * يَقَرُّ بِعَيْنى إنْ سُهَيْلٌ بدا ليا
فيا صاحبَىْ رَحْلِى دنا الموت فانْزِلا * برابِيَةٍ إنّى مُقيمٌ لياليا
أقيما عَلَىَّ اليومَ أو بَعْضَ ليلةٍ * ولا تُعْجِلانى قد تَبيَّن شانيا
وقُوما اذا ما اسْتُلَّ رُوحى فَهَيِّئا * لِىَ السِّدْرَ والأكفانَ عند فَنائيا
وخُطّا بأطراف الأسِنَّة مَضْجَعِى * ورُدّا على عَيْنَىَّ فَضْلَ ردائيا
ولا تَحْسُدانى بارَكَ الله فيكما * من الأرض ذات العَرْض أن تُوسعا ليا

خُذَانى جُرَّانِى بثوبى اليكما * فقد كُنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِيَادِيا
وقد كُنتُ عَطَّافا اذا الخيل أَدْبَرَتْ * سَرِيعًا لَدَى الهَيْجَا الى من دَعَانِيا
وقد كنت صَبَّارا على القِرْن فى الْوَغَى * وعن شَتْمِيَ ابنَ العَمِّ والجارَ وانيا
فَطَوْرًا ترانى فى طِلَالٍ ونَعْمَة * وطَوْرًا ترانى والعِتاقُ رِكَابيا
ويَوْمًا ترانى فى رَحًا مُسْتَدِيرة * تُخَرِّق أطرافُ الرِّماح ثيابيا
وقُومَا على بئر السُّمَيْنَةِ أَسْمِعا * بها الغُرَّ والبِيضَ الحِسَانَ الرَّوَانِيا
بأنَّكما خَلَّفْتُمانى بقَفْرة * تَهِيلُ على الريحُ فيها السَّوَافِيا
ولا تَنْسَيا عهدى خَلِيلَىَّ بعدما * تَقَطَّعُ أوصالى وتَبْلَى عِظاميا
ولن يَعْدَمَ الوالُون[1] بَتًّا يصيبهم * ولن يَعْدَمَ المِيراث مِنِّى المَوَالِيا
يقولون لا تَبْعَدْ وهم يَدْفِنونى * وأَينَ مكانُ البُعْدِ إلَّا مكانيا
عَدَاةَ غَدٍ يالَهْفَ نفسى على غد * اذا أدْلَجوا عَنِّى وأصبحتُ ثاويا
وأصبح مالى من طَرِيف وتالِدٍ * لغيرى وكان المال بالأمس ماليا
فيالَيْتَ شِعْرى هل تَغَيَّرَتِ الرَّحا * رحا المثل أو أمْسَتْ بفَلْج كما هيا
اذا الحَىُّ حَلُّوها جميعا وأنزلوا * بها بَقَرًا حُمَّ العيون سَوَاجِيا
رَعَيْن وقد كاد الظلام يُجِنُّها * يَسُفْنَ الخُزَامَى مَرَّةً والأَقَاحِيا
وهل أَتْرُكَنَّ العِيسَ العَوالِيَ بالضُّحى * بِرُكْبانها تَعْلُو المِتَانَ الفَيَافِيا
اذا عُصَبُ الرُّكْبان بين عُنَيْزَة * وبَوْلانَ عاجوا المُبْقِيات النَّواجِيا
فيا لَيْتَ شِعْرِى هل بَكَتْ أُمُّ مالك * كما كُنْتُ لَوْ عالَوْا نَعِيَّك باكيا
اذا مُتُّ فاعتادى القبور وسَلِّمى * على الرَّمْس، أُسْقِيتِ السحابَ الغَواديا
على جَدَثٍ قد جَرَّت الريحُ فوقه * تُرَابا كسَحْقِ المَرْنَبَانِىِّ هابيا
رَهِينة أحجارٍ وتُرْب تَضَمَّنَتْ * قَرارتُها مِنِّى العِظامَ البَوَاليا
فيا صاحبا إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغا * بنى مازنٍ والرَّيْب أن لا تَلاقِيا

(١) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : ولن يعدم الوالون بيتا يجنى .

وعَرِّ قَلُوصِى فى الرِّكاب فإنها * سَتَفْلِق أكبادا وتُبْكِى بَوا كيا
وأبْصَرت نار المَازِنِيَّات مَوْهِنًا * بعَلْيَاءَ يُثْنَى دُونَها الطَّرفُ رانيا
بعُودِ أَلَنْجُوجٍ(١) أضاء وقُودُها * مَهًا فى ظِلال السِّدْر حُورًا جَوازِيا
غريبٌ بَعِيدُ الدار ثاوٍ بقَفْرة * يَدَ الدَّهْرِ معروفا بأن لا تَدَانيا
أُقَلِّب طَرْفى حَوْلَ رَحْلى فلا أرَى * به من عيون المُؤْنِسات مُرَاعِيا
وبالرَّمْلِ مِنَّا نِسْوة لو شَهِدْنَنى * بَكَيْن وفَدَّيْن الطبيبَ المُداوِيا
وما كان عهد الرَّمْل عندى وأهْلِه * ذَمِيما ولا وَدَّعْت بالرمل قاليا
فَمِنْهُنَّ أُمِّى وابْنَتَاىَ وخالتى * وباكيةٌ أُخْرَى تَهِيج البوا كيا

قال أبو على : قوله بجنب الغضى ، الغضى : شجر ينبت فى الرمل ولا يكون غضى إلّا فى الرمل. وأُزْجِى : أسوق، يقال : أزجاه يُزْجيه إزجاء وزَجَّاه يُزَجِّيه تَزْجِية . والنَّوَاجِى : السِّرَاع وقوله :

* فَلَيْتَ الغَضَى لم يقطع الرَّكْبُ عَرْضَه *

قال يقول : ليته طال عليهم الاسْتِرْواح اليه والشوق . والرِّكاب : الإبل، وجمعها ركائب . وقال :

تقول وقد قَرَّبْت كُورِى وناقتى * إلَيْكَ فلا تُذْعِرْ عَلَىَّ رِكابيا

وقوله : * وليت الغضى ماشى الركاب ليالينا * أى ليته طاوَعَهُمْ . وقوله : * لقد كان فى أهل الغضى لودنا الغضى * مَزَارٌ، يقول : لو دَنَوْا قَدَرْنا أن نَزُورهم ، ولكنَّ الغضى ليس يدنو، وهذا على التلهف والتشوّق . وقوله : ألم تَرَنى بِعْتُ الضَّلالة بالهدى * وأصبحت فى جيش ابن عفان...يعنى سعيد ابن عثمان بن عفان رضى الله عنه، يقول: بعت ما كنت فيه من الفتك والضلالة بأن صرت فى جيش ابن عفان . وأُود : موضع . والطَّبَسَانِ : بخراسان أو قريبا منها ، يقول : دعانى هواى وتَشَوُّق من ذلك الموضع وأصحابى بموضع آخر . وقوله : تَقَنَّعْت منها، معناه لما ذكرت ذلك الموضع اسْتَعْبَرْت فاستحييت فتقنَّعت بردائى لكى لا يُرَى ذلك منِّى، كما قال الشاعر :

(فكائِنْ تَرَى فى القوم من مُتَقَنِّع * على عَبْرة كادت بها العين تَسْفَح)

(١) الألنجوج والينجوج : عود الطيب يتبخر به .

وقوله : إن الله يَرْجِعْنِي ... البيت، يريد : لا أسافر وأقيم وأقنع بما عندى . وقوله : لا أباليا، تقول العرب : قُمْ لا أَبَ لك ولا أبالك على توهم الإضافة، كما قال الشاعر :

* يابُؤْسَ للجهـل ضَرَّارًا لأقوام *

يريد : يابؤس الجهل . قال : ويروى : لا أباليا بالتنوين وبغير التنوين . وغالت : أهلكت . وناء : متباعد . وقوله فلله دَرِّى : تَعَجَّب من نفسه حين فَعَل ذلك، قال ابن أحمر :

بان الشَّبابُ وأفْنَى ضِعْفه العُمُرُ * لله دَرِّى فأَىَّ العَيْشِ أَنْتظـر

تَعَجَّب من نفســه أَىَّ عيش يَنْتَظِر، ومالكٌ تعجب من نفسه كيف اغترب عن ولده وماله . قال وقال ابن حبيب : الرَّقْمَتان : رَقْمَا فَلْج خَبْرَاوَانِ خَبْراء ماوِيَّة وخَبْراء اليَنْسُوعة وهى أضخمهما . وقوله

* يُخَبِّرْن أنى هالك مَنْ ورائيا *

قال ويروى : مَنْ أماميا، قال : وراء يكون بمعنى أمام، قال الله عز وجل : (وَكَانَ وَرَاءَهم مَلِكٌ) فُسِّر أنه بمعنى أمام والله أعلم . وقوله : السانحات، يريد : أنه سَنَحَتْ له الظباءُ فَتَطَيَّر منها، ويروى : عَنَّى هالكٌ مَنْ ورائيا بمعنى أَنَّى . وقوله : * ودَرُّ الرجال الشاهِـدِين تَفَتُّكِى * ويروى : تَفَنُّكى بالنون، يقال : فَنَّك فى الشىء اذا تَمادَى فيه . وأنشد :

وَدَّعْ سُلَيْمَى وَدَاعِ الصارم اللاحِى * اذ فَنَّكَتْ فى فَسَاد بعد إصلاح

والفَنَك : العَجَب . وقوله : تَذَكَّرت مَنْ يبكى البيت، يقول : كنت أحمـل السيف والرمح فَهُما لى خليلان وأنا ها هنا غريب فليس أحد يبكى علىَّ غيرهما، كما قال الشاعر :

وأَنْكَرَ خُلَّانُ الصَّـفاء وصالَه * فَلَيْس له منهم سوى السيف ناصرُ

وقوله : أكناف السُّمَيْنة، ويروى : الشُّكَيْنة والشُّبَيْكة، وهما موضعان . والسُّمَيْنة : موضع . واللَّحْد القبر، يقال : لَحَـدْت له لَحْدا، وانمـا سُمِّى لَحْدا لأنه فى جانب القبر . والقفرة : التى ليس بها أحد ولا شىء، يقال : قَفْرة وقفر، وجَدْبة وجَدْب . وقوله : وخَلَّ بها جسمى بالخاء، خَلَّ : اخْتَـلَّ أى اضطرب وهزل، ويروى : وجَلَّ بها سُقْمى . وقوله :

* يَقَرُّ بعينى إن سُهَيْلٌ بدا ليا *

يريد : أن سهيلا لايرى بناحيـة خراسان، فقال : ارفعونى لعلِّى أراه فَتَقَرَّ عينى برؤيته لانه لا يرى إلا فى بلده . وقوله : * وخُطَّا بأطراف الأسِنَّة مَضْجَعى *

ويروى : بأطراف الزِّجاج، ويروى : الرِّماح لِمَصْرعى، يقول : خُطَّا أى احْفِرا بالرماح . وقوله : فقد كنت قبل اليوم... البيت، أى إنى اليوم ذليل(١)، وقبله : لا أنقاد لمن قادنى، وقوله :

* وقد كنت عَطَّافا اذا الخيل أدبرت *

قال : ويروى اذا الخيل أَحْجَمَتْ أى كنت أعطف اذا انهزمت الخيل . والهيجاء هى الحرب، والهيجاء تمد وتقصر، قال الشاعر :

* أنا ابْنُ هَيْجاها مَعِى إرْزَامُها *

وقال لبيد : * يارُبَّ هَيْجا هِىَ خَيْرٌ من دَعَهْ *

وقال جرير :

اذا كانت الهَيْجاء وانْشَقَّتِ العَصَا * فَحَسْبُك والضَّحَّاك سَيْفٌ مُهَنَّد

والظِّلال : جمع ظَلّ : وهو النَّدَى والريف والنِّعْمة . والرَّحَى : موضع الحرب، مستديرة حيث يستدير القوم للقتال . والرَّوَانى : النواظر، والزُّنُوُّ : النظر الدائم، قال النابغة :

لَزِنا لَبَهْجتها وحُسْنِ حديثها * وخَلَالَهُ رُشْدًا وإن لم يَرْشُد

والغُرُّ : البيض . ويَهِيل : يُثِير . والسَّوَافى : ما حازت الريح الى أصول الحيطان . والوالون : جمع الوالى . والمَوَالِى : بَنُو العم والأقربون، قال الله عز وجل : (وإنِّى خِفْتُ المَوَالِىَ مِنْ وَرَائِى) والبثُّ : أشدّ الحزن، قال الله تعالى : (إنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلَى اللهِ). والإدْلاج : السير من أوّل الليل، قال : واذا نام من أوّل الليل ثم سار فهو إدْلاج أيضا . والثَّاوِى : المُقِيم . والطَّرِيف والطارف : المستحدَث من المال . والتَّالِد والتِّلِيد والتِّلَاد والمُتْلَد : العتيق الموروث، قال الأعشى :

جُنْدُك الطارفُ التِّلِيد من الـ * ـدات أهْلِ النَّدَى وأهلِ الفَعَال

وقال طَرَفة بن العبد :

وما زال تَشْرَابِى الخُمور وَلَذَّتِى * وبَيْعِى وإنفاقى طَرِيفِى ومُتْلَدِى

والمِثْل : موضع بفَلْج يقال له رَحَى المِثْل . وحَلُّوها : نزلوها . والبقر يريد النساء شبَّهها بالبقر، ويروى : جُمّ القرون أى ليست لها قرون . وسَوَاجٍ : سواكن . والعِيسُ : الإبل البيض . والفَيَافِى :

(١) لعل الكلمة محرّفة عن ذلول بالواو بمعنى السهل المنقاد .

الصَّحَارى، ويروى القَياقيا وهى المرتفعة من الأرض واحدتها قِيقَاءَةٌ . قال ابن حبيب : عُنَيْزة : قارة سوداء فى بطن وادى فاج قد شَجِىَ بها الوادى ،فَسُمِّىَ الشَّجِى بها . وقوله : المُبْقيات النواجيا ، المبقيات : التى يَبْقَ سيرها، والنَّواجى : التى تَنْجُو بسيرها أى تُسْرِع . والمَرْنَبَانِىُّ: كساء من خَزٍّ، ويقال مِطْرَف من وَبَر الإبل . وقوله : هابيا من هَبَا يَهْبُو، ويروى : كَلَوْن القَسْطَلانىّ ،قال: وهوالتراب. وقوله رهينة أحجار البيت أى فى القبر على الترب والحجارة . والقَرارة: بطن الوادى حيث يَسْتَقِرُّ الماء، فضربه مثلا للقبر وبطنه . ويَدُ الدهر ومَدَا الدهر وأبَدُ الدهر واحد . وذَمِيمٌ: مذموم، ويقال مُبْغَض .

* * *

قال أبو على حدّثنا أبو بكر بن الأنبارى قال حدّثنا أبو شعيب الحَرّانى عبد الله بن الحسن قال حدّثنا يعقوب بن السكيت قال قال الأصمعى : قَزَع رجلٌ ابنَ الزبير بكلمة ، وابن الزبير يخطب ، فقال : مَن المُتَكلِّم؟ فلم يُجِبْه أحد، فقال: ماله قاتله الله! ضَبَح ضَبْحة الثعلب، وقَبَع قَبْعةَ القُنْفُذ .

قال أبو بكر قال اللغويون : الضَّبْح : صوت أنفاس الخيل وما يجرى مجراها فى هـذا المعنى . والقُبُوع : أن يُدْخِل الإنسان رأسه فى ثوبه وهو من القنفذ إدخاله رأسه فى بدنه .

قال وحدّثنا أبو عبد الله القاضى المُقَدَّمى قال حدّثنا أبو عيسى التَّنِّيسى قال حدّثنا محمد بن إبراهيم الثَّغْرى قال حدّثنا عبـد الله بن صالح قال حدّثنا أبو زيد النحوى قال قال رجل للحسن : ما تقـول فى رجل تَرَك أبيه وأخيه؟ فقال : الحسن ترك أباه وأخاه، فقال الرجل : فَمَا لأباه وما لِأخاه؟ فقال الحسن : فما لأبيه وما لأخيه؟ فقال الرجل : أراك كلَّما تابعتُك خالفتَنى .

[ابن عباس وعمر بن أبى ربيعة]

قال وحدّثنا أبو على العَـنَزِى قال حدّثنا العباس بن الفرج الرياشى قال حدّثنا ابن أبى رَجَاء عن الهيثم بن عدى عن ابن جُرَيج عن أبيه قال : أتى ابنَ عباس عمرُ بن أبى ربيعة، فأنشده :

* أمن آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِر *

حتى بلغ آخرها، فقال ابن عباس : إن شئتَ أعَدْتُها عليك، فقيل له : أوقد حَفِظْتَها ؟ قال أوَمنكم من يَسْمَع شيئا ولا يحفظه ! .

* * *

قال وحدّثنا أبو عبد الله المقدمى قال حدّثنا العباس بن محمد قال حدّثنا ٱبن عائشة قال حدّثنا عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى عثمان الأسدى عن بعض رجاله قال قال رجل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين، أَيُضَحَّى بضَبْيٍ؟ قال : وماعليك لو قُلْتَ بَظْبِيٍ؟ قال : إنها لغة، قال : ٱنقطع العتاب ولا يضحَّى بشىء من الوحش .

قال وحدّثنا أبو عبد الله المقدمى قال حدّثنا أحمد بن منصور قال حدّثنا ابن عائشة قال حدّثنى بعض أصحابنا قال : لما هُزِم ٱبن الأشعث أَقْبَلَ منهزما حتى أتى سِجِسْتَانَ، فرأى شابا بين يديه منخرقَ القميص قد حَفِيَ ونَقِفَتْه الصُّخور فأَدْمَتْ أصابعَه، قال : فنظر اليه ٱبن الأشعث وأنشد أبياتا والفتى يسمع فقال :

منخرق السِّربال يشكو الوَجَى * تَنْقُفُه أطرافُ صَخْرٍ حِداد
شَرَّده الخوفُ وأزْرَى به * كذاك من يكْرَه حَرَّ الجِلَاد
قد كان فى الموت له راحةٌ * والموتُ حَتْمٌ فى رقاب العباد

قال : فالتفت اليه الفتى وقال : أَلَا صَبَرْتَ حتى نصبر معك ؟ .

قال وحدّثنا عبد الله عن رجل عن محمد بن الحسين قال حدّثنا محمد بن معاوية قال حدّثنا ابراهيم ابن عثمان العُذْرى وكان ينزل الكوفة قال : رأيت عمر بن مَيْسَرَةَ وكان كهيئة الخيال كأنه صُبِغ بالوَرْس، لا يكاد يكلم أحدا ولا يجالسه، وكانوا يرون أنه عاشق، فكانوا يسألونه عن علته فيقول :

يسائلنى ذو اللُّب عن طُول علتى * وما أنا بالمُبْدِى لذى اللُّبِّ عِلَّتى
سأكتُمها صَبْرًا على حَرِّ جَمْرِها * وأستُرُها اذ كان فى الستر راحتى
اذا كنتُ قد أَبْصَرْتُ موضع علتى * وكان دوائى فى مواضع علتى (١)
صبرت على دائى احتسابا ورَغْبَةً * ولم أك أُحْدُوثاتِ أهلى وخُلَّتى

قال : فما أظهر أمرَه ولا علم أحد بقصته حتى حضره الموت، فقال : إن العلة التى كانت بى من أجل فلانة ابنة عمى، والله ما حجبنى عنها وأَلْزَمَنى الضُّرَّ إلا خوف الله عز وجل لا غير، فمن بُلِى

(١) فى نسخة فى مواضع لدتى ولعلهما روايتان .

فى هذه الدنيا بشىء فلا يكن أحدٌ أوثَقَ عنده بسرّه مِنْ نفسه، ولولا أن الموت نازلٌ بى الساعةَ ما حدّثتكم فأقرئوها منّى السلامَ، ومات من ساعته .

قال وأنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أبو عبد الله التميمى :

وكم كَذْبةٍ لى فيك لا أستقيلها * بقولى لمن ألقاه إنىَ صالح

وأىُّ صلاح لى وجِسْمِىَ ناحلٌ * وقلبِىَ مشغوفٌ ودَمْعِىَ ساخ

قال وأنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أحمد بن عبد السلام :

شكا فهل أنت له راحم * اليــك من أنت به عالم

فتى تَخَلَّى الروحُ من جسمه * فليس إلا بَدَنٌ قائم

قال : وأنشدنا عبد الله بن خلف قال أنشدنى أحمد بن حبيب :

ألا إنما أبقيتِ منى مع الهوى * جَوًى مُسْتَكِنًّا فى فؤاد متيَّم

وآثارَ جسم قد أضَرَّ به البِلَى * فلم يَبْقَ منه غيرُ تلويح أَعْظُم

قال وأنشدنا أبو العباس ثعلب :

ولولا عَقَابِيلُ الفؤاد التى به * لقد خَرَجَت ثِنْتان تَبْتَـدِران

قال أبو العباس العَقَابيل : البقايا من حبها فى قلبه . وثنتان : عَنَى بهما تطليقتين .

[حديث بعض العشاق]

قال وأخبرنا عبد الله بن خلف قال أخبرنا عبد الله بن نصر قال أخبرنى عبـد الله بن سويد عن أبيه قال : سمعت على بن عاصم يقول : قال لى رجل من أهل الكوفة من بعض إخوانى : هل لك فى عاشق تراه؟ فمضيت معه، فرأيت فتى كأنما نزع الروح من جسده، وهو مؤتزر بإزار مُرْتَدٍ بآخر، وهو مفكر، وفى ساعده وردة، فذكرنا له شِعرا من الشعر فتَهَيَّج وقال :

جَعَلْت من وَرْدَتها * تَميمةً فى عَضُـدِى

أَشُمُّها من حُبِّها * اذا علانى جُهُـدِى

فمن رأى مثـلى فَتًى * للحزن أضحى يَرْتَدِى

أَسْقَمَهُ الحُبُّ فقد * صار قَلِيـلَ الأَوَدِ
وصَارَ(١) سَاهِ دَهْرَه * مقارنا لِلْكَمَد
ألا فمن يَرْحَمُنى * يَرِقُّ لى من كمدى

ثم أطرق ، فقلت : ما شأنه ؟ فقالوا : عَشِق جارية لبعض أهـله ، فأَعْطَى فيها كلَّ ما يملك وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها منه ، فنزل به ما ترى وفَقَد عَقْلَه . قال : فخرجنا فلبِثْنـا ما شاء الله ، ثم مات فحَضَرْتُ جنازته ، فلما سُوِّى عليه التراب ، فاذا أنا بجارية تسأل عن القبر ، فدللتها عليه ، فما زالت تبكى وتأخذ التراب وتجعله فى شَعْرها ، فبينا هى كذلك اذا قوم يسعَوْن ، فأقبـلوا عليها ضربًا . فقالت : شأنكم ، والله لا تنتفعون بى بعده أبدا .

[ذكر شىء من مشاهد عمرو بن معد يكرب]

قال الأصمعى : كان عمرو بن معـد يكرب قد شهد فتح القادسية وفَتْح اليَرْمُوك وفتح نَهَاوَنْد مع النعمان بن مُقَرِّن المُزَنى ، فكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى النعمان : إن فى جندك رَجُلَين : عمرو بن معد يكرب ، وطُلَيْحةَ بن خُوَيلد الأسدى ، فأَحْضِرْهما الناسَ وشاوِرْهما فى الحرب ولا تُوَلِّهما عملا ، والسلام . فلما قدم كتابُ عمر بعث اليهما ، فقال : ما عندك يا عمرو ؟ فقال : أَرُونى كبشَ القوم فأعتقه حتى يموتَ أو أموت . وقال طليحة : أىَّ ناحيـة شئتم فأنا أدخل على القوم منها ، فلما التقوا أتاهم طليحة من خلفهم ، وأما عمرو فشدّ على كَمِىٍّ من القوم فقَتَله ، وقُتِـلَ النعمان ابن مقرِّن يومئذ ، وأَخَذ الرايةَ حُذيفةُ بن اليمـان حتى فتح الله عليهم . واجتمعت العرب فتفاخروا ، فقال عمرو بن معد يكرب فى ذلك :

لِمَنَ الديارُ بَرَوْضة السُّلَّان * فالرَّقْمَتَيْن بجانب الصَّمَّان
لَعِبَت بها هُوجُ الرياح وبُدِّلت * بَعْـدَ الأنيس مَكَانِسَ الثِّيران
فكأنَّ ما أَبْقَين من آياتها * رَقْمٌ يُمَقَّ بالأكُفِّ يمـانى
دارٌ لعَمْـرة إذ تُرِيكَ مُفَلَّجا * عَـذْبَ المَذاقة واضحَ الألوان
خَصِرًا يُشَـبَّه بَرْدُه وبياضُه * بالثلج أو بمُنَوَّر القُحْوان

(١) كذا فى النسخ ، وهو من باب قوله ولو أن واشٍ ، والمدار على صحة الرواية .

وكأنّ طَعْمَ مُدامة جَبَلِيّة * بالمسك والكافور والريحان
والشُّهْدِ شِيبَ بماء وَرْدٍ بارِدٍ * منها على المُتَنفِّس الوَهْنان
وأَغَرَّ مصقولًا وعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ * ومُقَلَّدًا كمُقَلَّد الأُدْمان (١)
سَنَّتْ عليه قلائدًا منظومة * بالشَّذْر والياقوت والمَرْجان
ولقد تَعارَفَتِ الضِّبابَ وجَعْفَر * وبنو أبى بكر بَنُو الهِصَّان
سَبْيًا على القُعُدات تَخْفِق فوقهم * راياتُ أبيض كالفَنِيق هِجَان
والأشعث الكِنْدِىُّ حين سَمَا لنا * من حَضْرَمَوْتَ مُجَنَّب الذُّكْران
قادَ الجيادَ على وَجَاها شُزَّبًا (٢) * قُبَّ (٣) البطون نَواحِلَ الأبدان
حَتَّى اذا أَسْرَى وأَوَّب دُونَنا * من حَضْرَموتَ الى قَضِيب يمان
أَضْحَى وقد كانت عليه بلادُنا * مَحْفوفة كحَظِيرة البُسْتان
فَدَعا فَسَوَّمها وأَيْقَنَ أنه * لا شكّ يَوْمُ تَسايُف (٤) وطِعان
لما رأى الجَمْعُ المُصَبِّح خَيْلَه * مبثوثةً ككواسر العِقْبان
فَزِعُوا الى الحُصُنِ المَذاكِى عندهم * وَسْط البيوت يُرَدْن فى الأَرْسان
خيل مُرَبَّطة على أعلافها * يُقْفَيْن دُون الحَىِّ بالألبان
وسَعَتْ نِساؤهم بكلّ مُفاضةٍ * جَدْلاءَ (٥) سابغةٍ وبالأبدان
فَقَذَفْنَهُنَّ على كُهولٍ سادةٍ * وعلى شَرامِحةٍ (٦) من الشُّبَّان
حتى اذا خَفَتَ الدُّعاء وصُرِّعَتْ * قَتْلَى كمُنْقَعِر من الغُلَّان
نَشَدُوا البَقِيَّة وافْتَدَوْا من وَقْعِنا * بالرَّكْض فى الأَدْغال والقِيعان
واسْتَسْلَمُوا بعد القتال فانما * يَتَرَقَّبُون تَرَبُّق الحُمْلان
فأُصيب فى تسعين من أشرافهم * أَسْرَى مُصَفَّدة الى الأذقان
فَشَتَا وقاظ رئيسُ كِنْدة عندنا * فى غير مَنْقَصة وغير هوان

(١) الأدمان جمع آدم ، والأدمة فى الظباء : لون مشرب بياضا . (٢) شزبا : جمع شازب وهو الضامر .
(٣) قبّ البطون : ضوامرها . (٤) التسايف : التضارب بالسيف . (٥) يقال : درع جدلاء ومجدولة اذا كانت محكمة النسج . (٦) الشرامحة : جمع شرحٍ وهو الطويل .

والقادسيَّة حَيْث زَاحَمَ رُسْتُمٌ * كُنَّا الحُمَاة بِهِنَّ كالأشطان
الضارِبِين بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَم * والطَّاعِنِين مَجامع الأضغان كما
ومَضَى ربيعٌ بالجنود مُشَرِّفا * يَنْوِى الجهاد وطاعة الرحمن
حتى استباحَ قُرَى السَّواد وفارِس * والسَّهْل والأجبال من مَكْران

قال الأصمعى : كان فيمن غزا مع الأشعث بن قيس يومئذ من بنى الحارث بن مُعاوية كَبْشُ ابن هانئ والقَشْعَم بن الأَرْقم وبَنُو فَزارة ، فأُسِروا يومئذ مع الأشعث ، وكانت مُرَاد قَتَلَتْ قيس بن معديكرب . فجاء الأشعث ثائرا بأبيه ، فأسر فكان أسيرا فى أيدى بنى الحارث بن كعب عند الحصين ابن قِنَاب ، حتى افتدى بألفى قَلُوص وألف من طرائف اليمن ، فخلّى سبيله ، ففى ذلك يقول عمرو بن معديكرب هذا الشعر . قال ابن الأعرابى : بل قال هذه القصيدة التى على الحاء يوم قَيْف الريح وهى هذه :

ديار أَقْفَرَتْ من أُمِّ سَلْمَى * بها دَعْسُ المُعَزَّب والمُراح
وَقَفْتُ بها فنادانى صحابى * أغالَبَك الهوى أم أنت صاحى
وكَمْ مِنْ فِتْيةٍ أبْناء حَرْب * على جُرْدٍ ضَوامِرَ كالقِداح
وصَفٍّ ما تَسَايَرُ حَجْرتاه * تُبَشِّره الأشائم بالشِّياح
شَهِدْتُ طِرادَه بأقَبَّ نَهْدٍ * كَتَيْس الرَّبْل(١) مُعْتَدِل وَقَاح
يقول له الفوارس إذ رأوه * نَرَى مَسَدًّا أُمِرَّ على رِماح
اذا قاموا اليه لُيُلْجموه * تَمَطَّى فَوْق أَعْمِدة صِحَاح
اذا وَرَّعْت من لَحْيَيْه شيئا * سَمَا مُتَقاذِف التَّقْريب طاحى
اذا ما الرَّكض أَسْهَل جانبيه * تَهَزَّم رَعْدُ مُبْتَرِكٍ جُلَاح
فلم نَقْتُل شِرارَهم ولكن * قَتَلْنا الصالحين(٢) ذوى السلاح
قَتَلْنا مُطْعِم الأضياف منهم * وأَصْحابَ الكَرِيهة والصَّباح
فأَنْكَحْنا الحَلِيلة من بَنِيها * وخَلَّينا الحَرِيدة للنِّكاح

(١) الربل : ضرب من الشجر اذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تقطرت بورق أخضر من غير مطر .
(٢) بهامش الأصل ما نصه : قال ابن الأعرابى : الأفضلين أجود اه .

قال الأصمعى : اجتمعت زُبَيْد ومُراد وخَثْعَم وثُمَالة ودوس من الأزد، فقاتلوا بنى عامر وجُشَيم وسُلَيْما ونَصْرًا حيث أتوهم، فهُزِمَت عامر ومن معها، وأصيبت عين عامر بن الطُّفَيل، وقتل فيها مُسْهِر بن زيد بن قَنان الحارثى. فقال عمرو بن معد يكرب :

ولقد أَجْمَعُ رِجْلًا بها * حَذَرَ الموت وإنّى لَفَرور
ولقد أَعْطِفها كارهة * حين للنَّفْس من الموت هَرير
كُلُّ ما ذلك مِنّى خُلُقٌ * وبكُلٍّ أنا فى الحرب جَدير
وابن صُبْح سادرًا يُوعِدُنى * مالَهُ فى الناس ما عِشْتُ مُجير

ابن صبح هو أُبَىّ بن ربيعة بن صبح بن ناشرة بن الأبيض بن كنانة بن مُصْلية بن عامر بن عمرو بن عُلَة، قاله ابن الكلبى .

قال عمرو بن مَعْدِ يكرب بن ربيعة بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيْد بن ربيعة ابن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العَشيرة بن مالك وهو مَذْحِج بن أُدَد بن زيد ابن يَشْجُب بن كَهْلان بن سبأ بن يَعْرُب بن قحطان — وكان عمرو ابن خالة الزِّبْرِقان بن بدر التميمى النسب قاله ابن الكلبى — :

لِمَنْ طَلَلٌ بتَيْمانٍ مُجَنَّدِ * كأنَّ عِراصَه تَوْشِيمُ بُرْدِ
ألا ما ضَرَّ أهْلَك أن يقولوا * سُقِيت الغيثَ من بَلَدٍ وعَهْد
ودارٍ تُجْدِل الذُّلَّان عنها * مُلَثَّمَةً بأضياف وَوَفْد
اذا المِهْياف ذو الإبل اجْتَوَاها * وأَعْرَضَ مِشْيةَ الجَمَل المُغِذّ
سَدَدْتُ فِراضَها لهمُ بِبَيْتِى * وبَعْضُهُمُ بِقُبَّته يُعَدّى
وأَوْدٌ ناصرى وبنو زُبَيْد * ومَنْ بالخَيْف من حَكَم بن سعد

أَوْدُ بن صَعْب بن سَعْد العَشيرة . وحكم بن سعد العشيرة، قاله ابن الأعرابى . والخَيْف : ارتفاع وهبوط فى رأس الجبل :

لَعَمْرُكَ لو تَجَرَّد مِنْ مُراد * عَرَانِينٌ على دُهْم وجُرْد
ومن عَنْسٍ مُغامِرَةٌ طَحُونٌ * مُدَرَّبة ومن عُلَةَ بن جَلْد

قال ابن الأعرابى : مُغَامِرة ومُغَاوِرة : مُحالطة تَدْخُل القتال . عَنْس بن مالك أحد مَذْحِج . والحارث ابن كعب بن عُلَة بن جَلْد . وهـذه قبائل من اليمن . وجَنْب : حَىٌّ من مَذْحِج . مُجَنَّبَة مَيْمَنة ومَيْسَرة

ومن سَعْدٍ كتائب مُعْلَمـات * على ما كان من قُرْب وبُعْد
ومن جَنْبٍ مُجَنَّبَةٌ ضَرُوب * لِهَـام القوم بالأبطال تُرْدِى
وتُجمَع مَـذْحِجٌ فيُرَنِّسـونى * لَأَبْرَأت المَناهِل من مَعَدّ
بكُلِّ مُجَرَّب فى البأس منهـم * أخى ثِقَةٍ من القَطِمِينَ نَجْد

أَبْرَأت : أَخْلَيْت . القَطِمِين : جَعَلَهم كالفحول من الإبل مُعْتَلِمين . ونَجْد : شجاع . ونَجِيد أيضا

وكُلَّ مُفَاضة بَيْضـاء زَغْفٍ (١) * وكُلَّ مُعَاوِد الغارات يَخْدى
أَؤُمُّ بهـا أبا قَابُوس حَـتَّى (٢) * أَحُلَّ على تَحِيَّتِـه (٣) بُجُنْدى
فما نُهْنِهْتُ (٤) عن بَطَلٍ كَمِىٍّ * ولا عن مُقْلَعِطٍّ (٥) الرأس جَعْد
اذا ما مَـذْحِجٌ قَذَفَتْ عليهـا * سَرَابِيلًا لها من كُلِّ سَرْد
وتَرْكًا (٦) للرءوس مُسَبِّغات (٧) * الى الغايات من زَغْفٍ وقِدّ (٨)
وهُزَّ السَّمْهَرِىُّ على المَذَاكِى * مُجَنَّبَتَيْنِ بالأبطال تردى
وعُرِّىَ بالأَكُفِّ مُهَنَّدَاتٌ * وسُلَّ حُسامُها من كل غِمْد
وقُرِّب للنِّطاح (٩) الكَبْشُ (١٠) يَمْشِى * وطاب الموت من شَرَعٍ (١١) ووِرْد
تُخَال البُزْل (١٢) فيـه مُقَيَّرات * كأنَّ قُبُوهَا (١٣) تَكْلِيل أُسْد (١٤)
هُنالك بُهْمـة الفُرسان يُلْقَى * وأصحاب الحِفَاظ وكُلّ جِدّ
أولئك مَعْشَرِى وهُمُ جبانى * وحُزْنى فى كَرِيهَتِهـم وحِدّى (١٥)

(١) الزغف : الدرع اللينة . (٢) أبو قابوس : النعمان بن المنذر . (٣) التحية : الملك ، قال زهير بن جناب الكلبى :
ولكل ما نال الفتى * قد نلته الا التحية
(٤) نهنهت : كففت . (٥) المقلعط : الشديد الجعودة . (٦) الترك : البيض . (٧) يريد أنها توصل البيضة بالزرد فاذا لبس البيضة اتصلت بالزرد .
(٨) القد : الدرع القصيرة وهى البدن أيضا ، وقال ابن الأعرابى : القد : اليلب وهى دروع من جلود واحدتها يلبة .
(٩) النطاح : الجمل . (١٠) الكبش : السيد . (١١) الشرع : المسير الى الماء . (١٢) البزل : الجمال المسنة ، شبه الرجال فى هذا الجيش بها اذا طليت بالقير . (١٣) قبوها : قبابها . (١٤) يقال : كأن الأسدُ اذا حمل . (١٥) فى معجم ياقوت بدل هذا الشطر : * وجدى فى كتيبتهم وجدى * ولعلها رواية أخرى .

هُـــمُ قَتَلُوا عَزِيزًا(١) يومَ لَحْجٍ * وعَلْقَمةَ بن سَعْدٍ يومَ نَجْـــد
وهم ساروا الى المأمور شهرا * الى تِعْشَارَ سَيْرًا غيرَ قَصْـــد
وهم قَسَمُوا النساءَ بذى أُرَاطَى * وهم عَرَكُوا الذَّنائبَ عَرْكَ جِلْد

المأمور بن زيد من بنى الحارث بن كعب ؛ واسمه معاوية بن الحارث . وتِعْشار : موضع . وأُرَاطَى : موضع وبه ماء لطيئ . وقوله : عَرَكُوا أى قتلوا أهله ، والعَرْكُ : الدَّلْك . والذَّنائب : مواضع أغاروا عليها فتركوها كذلك ، قال ابن الأعرابى : الذنائب : أرض من أرض قيس .

وهم وَرَدُوا المياهَ على تَمِيمٍ * بألفٍ مُدَجَّجٍ شُمُطٍ ومُرْدِ
وإخْوَتَهم رَبِيعةَ قد حَوَيْنا * فصاروا فى النِّهاب بغيرِ حَمْد
وهم تَرَكُوا بِكِنْدةَ(٢) موضحاتٍ * وما كانوا هناك لنا بِضِدِّ(٣)
وهم زاروا بنى أسدٍ بجَيْشٍ * مع العَبَّاب(٤) جَيْشٍ غيرِ وَغْد
وهم تَرَكُوا هَوَازِنَ اذ لَقُوهم * وأَسْلَمَهُمْ رَئِيسُهُـــمُ بَجَهْد
وهم تركوا ابنَ كَبْشَةَ مُسْلَحِبًّا * وهم شَغَلوه عن شُرْبِ المَقَدِّى

ابن كبشة : الصباح بن قيس بن معد يكرب أخو الأشعث بن قيس . وكبشة بنت شراحيل ابن آكل المُرَار . ومسالحب : مجدَّل ، قال ابن الأعرابى : مسلحب : منبسط على وجه الأرض . والمَقَدِّىّ : خمر منسوبة الى مقدّ : قرية بالشام .

وخَثْعَمَ(٥) لَثَّمُوا حتى أَقَرُّوا * بَخَرِّجَ(٦) فى مَوَاشِيهم ورِفْد
وهم خَشُوا(٧) مع الدَّيَّانِ(٨) حتى * تَغَمَّمَ كُلَّ عُضْرُوطٍ(٩) وعَبْـد
وهم أخذوا بذى المَرْوَتِ ألفا * يُقَسَّم للحُصَيْنِ ولابْنِ هنـد

(١) عزيز وعلقمة : ملكان من حمير . ولحج ونجد : موضعان . (٢) موضحات : شجات تظهر العظم ، وإنما عنى أسر الأشعث بن قيس . (٣) بضد : بمثل ، أى ليسوا لنا بنظير . (٤) العباب : رجل من بنى الحارث بن كعب ، واسم العباب ربيعة بن دُهَين ، وإنما سمى العباب لأن خيله عَبَّت فى الفرات حين جاءت من اليمن . (٥) لثموا أى جرحوا ، يقال : لثم الحجر رجله اذا جرحه ، قال ضرغة : * تتقى الأرض بملثوم معر * أى بخف قد لثمته الأرض والحجارة فأدمته ، وقال ابن الأعرابى : لثموا ضربوا على موضع اللثام . (٦) خرج وخراج وإتاوة واحد . (٧) خشوا : أوقدوا ، وخشوا : أدخلوا . (٨) الديان : رجل من بنى الحارث بن كعب . (٩) عضروط : تابع .

وهم قَتَلوا بذات الجار قَيْسا * وأشْعَثَ سَلْسَلوا فى غير عقْد
أتانا ثائرًا بأبيــه قَيْس * فأَهْلَكَ جَيْشَ ذلكم السِّمغْد(١)
فكان فِداؤه ألْفَىْ بعير * وألْفًا من طَرِيفاتٍ وتُلْد
وهم قتلوا بذى قَلَعٍ ثَقيفًا * فما عُقِلوا وما فاءوا بِرَنْد
وهم سَحَبُوا على الدَّهْنا جيوشا * يُعِيدُهمُ شَراحِيلٌ ويُبْدى
وهم تركوا القبائلَ من مَعَدٍّ * ضِبَابًا مُحْجرين بكل حِقْد
وكَمْ من ماجدٍ مَلِكٍ قَتَلْنا * وآخرَ سُوقَةٍ عَرَبٍ قُمُدّ(٢)
وخَصْمٍ يَعْجز الأقوامُ عنه * شَديدِ الضِّغْن أقْعَسَ مُسْمَغِدّ(٣)
حَبَسْتَ سَراتَهم بالضَّحِّ(٤) حتى * أنابوا بعــد إبْراقٍ ورَعْد
أمازِحُهــم اذا ما مازَحُونى * ويُفْضِى جِدُّهم إن جَدَّ جِدِّى
فذاك وقد رَجَعْنَ مُسَوَّماتٍ * يَخِدْنَ وقد قَضَيْنا كل حَرْد(٥)
فما جَمْعٌ لِيَغْلِبَ جَمْعَ قومى * مُكاثِرَةً ولا فَرْدٌ لفَــرد
ألا عَتَبَتْ علىّ اليومَ أَرْوَى * لاتيها كما زَعَمَتْ بفَهْــد
وحِمْــيَرُ دُونه قَوْمٌ عُداة * بكل مَسِيلةٍ وبكُلِّ نَجْـد
فما الأحلافُ تابِعَتِى اليه * ولا وأبيك لا آتيه وَحْدِى

[حديث عمرو بن معد يكرب مع حبى وقتله بعلها وما وقع له مع ابنه الخزرج]

قال الأصمعى : خرج عمرو بن مَعْدِ يكَرِب فلقِى امرأة من كِنْدة بذى الجَاز يقال لها حُبَّى بنت معد يكرب، فلما رآها أعجبه جمالُها وكمالها وعقلها، فعرَض عليها نفسَه فقال لها : هل لك فى كُفْء كريم، ضَرُوبٍ لِهَامَة الرجل الغَشُوم، مُوَاتٍ طَيِّب الحِيم، مِنْ سَعْدٍ فى الصَّمِيم؟ قالت : أَمِنْ سَعْد العَشِيرة؟ قال : من سعد العشيرة، فى أُرومَتِها الكبيرة، وغُرَّتها المُنِيرة، إن كُنْتِ بالفُرْصــة بصيرة،

(١) السمغد : الطويل الحسن السمين، وقيل : السمغد : الأحمق، وقال أبو عمرو : السمغد : المضطرب المسترخى، وقال ابن الاعرابى : السمغد : الأحمر، وقوم سمغدون أى حمر. (٢) القمد : القوى الشديد. (٣) المسمغد : المتلئ غضبا، أو هو الرجل الطويل الشديد الأركان. (٤) الضح : الشمس، أو البراز من الأرض. (٥) حرد : قصد.

قالت : نِعْمَ زَوجُ الحُرَّة الكريمة ! ولكنَّ لى بَعْلا يَصْدُق اللقاء، ويُخِيف الأعداء، ويُجْزِل العطاء ؛ فقال : لو عَلِمْتُ أنَّ لك بعلا ماعرضتُ عليك نفسى، فكيف أنتِ إن أنا قتلتُه؟ قالت : لاأَصِيفُ عنكَ، ولا أعْدِل بك، ولا أُقَصِّر دونك، وإياك أن يَغُرَّكَ قولى وأن تُعَرِّض نفسك للقتل، فإنى أراك مُفْرَدا من الناصر والأهْل، والرجل فى عِزَّة من الأهل وكثرةٍ من المال، فانصرف عنها عمرو وجعل يَتْبَعُها من حيث لا تعلم به، فلما قَدِمَتْ على زوجها جاء عمرو مُسْتَخْفِيا حيث يسمع كلامهما، فسألها بعلُها عما رأت فى طريقها، فقالت : رأيتُ رَجُلا مَخِيلًا للبأس، يَتَعَرَّض للقتال، ويَخْطُب حلائل الرجال، فَعَرَض علىَّ نفسه فوَصَفْتُك له، فقال : ذلك عمرو، ولَدَتْنى أُمُّه إن لم يأتك مقرونا الى جَمَلٍ صَعْب غير ذَلُول . فلما سمع عمرو كلامَه دَخَل عليه بَغْتةً من كِسْر خِبائه فقتَلَه، ووقع عليها . فلما فَرَغ قال لها : إنى لم أَقَعْ على امرأة فى جِمامى إلّا حَمَلَتْ، ولا أُراكِ الا قد حملتِ، فان وَلَدْتِ غلاما فَسَمِّيه خُزَزا، وإن ولدت جارية فسمِّيها عِكْرِشة، وأعطاها علامةً ومضى عمرو فمكث بعد ذلك دهرا، ثم انه خرج بعد ذلك يوما يتعرض للقتال عليه سلاحه فإذا هو بفتى على فرس شاكٍ فى السلاح، فدعاه عمرو للمبارزة، فأجابه الفتى، فلما اتَّحدا صرع الفتى عمرا وجلس على صدره ليذبحه، فسأله من أنت؟ فقال : أنا عمرو، فَهَمَز الفتى عن صدره وقال : أنا ابنك الخُزَز، وأعطاه العلامة، فأمره عمرو أن يسير الى صنعاء ولا يكون ببلدة هو بها، ففعل الغلام ذلك، فلم يَلْبَثْ أن ساد من كان بين أظهرهم، فاستغوَوْه وأمروه أن يقاتل عمرا وشكَوْا اليه فعله بهم، فسار الى أبيه بجمع من أهل صنعاء، فلما ٱلتقيا شدّ كل واحد منهما على صاحبه فقتله عمرو، فقال فى ذلك :

تَمَنَّانى ليقتلنى * وأنْتَ لذاك مُعْتَمِدُهْ
فلو لاقَيْتُمُ فَرَسِى * وفوق سَرَاتِه أَسَدُه
اذًا لَلَقِيتُمُ شَثْنَ[1] الـ * ـبَرَائِنِ نابِيًا كَتِدُه[2]
ظَلُوم الشِّرْك فيما أعْـ * ـلَقَتْ أظفارُه ويَدُه
يَلُوثُ القِرْنَ اذ لاقا * ه يَوْمًا ثُمَّ يَضْطَهِدُه
يَزِيف كما يزيف الفَحْـ * ـلُ فَوْقَ شُؤونه زَبَدُه

(١) شثن البراثن : غليظها وخشنها . (٢) الكتد : مجتمع الكتفين من الانسان والفرس .

يُذَبِّب عن مَشَافِره السِّبَعُوضَ مُمنَّعا بَلَدُه
ولو أَبْصَرْتَ ما جَمَّعْتُ فَوْقَ الوَرْدِ تَزْدَهِده
رأيتَ مُفاضةً زَغَفًا * وتُرْكا[1] مُبْهَمًا سَرَدُه
وصَمْصامًا يَكِفُّ لا * يَذُوق الماءَ من يَرِده
شَمَائل جَدِّه وكذا * لك أشْبَه والدًا ولدُه
أمَرْتُكَ يوم ذى صنْعا * ء أمْرًا بَيِّنًا رَشَدُه
فَعالَ الخير تَأْتِيه * فَتَفْعله وتَتَّعِده
فكنتَ كَذِى الحُمَيِّر غَرَّه مِنْ عَيْره وَتَده
ولو أَبْصَرْتَ والبَصَرُ الـ * ـمُبِينُ قَلَّ من يَجِده
اذًا لَعَلِمْتَ أنَّ أبا * ك لَيْثٌ فوقه لِبَدُه

[حديث حاتم وما اشتهر به من السماحة والنجدة وما وقع له مع زوجته ماوية]

قال الأصمعى : كان حاتم من شعراء العرب، وكان جوادا شاعرا، وكان شِعْرُه يشبه جودَه وجودُه يشبه شعرَه، وكان حيثما نَزَل عُرِف منزلُه، وكان مُظَفَّرا اذ قاتَل غَلَب، واذا غَنِم أَنْهَب، واذا سُئل وهَب، واذا ضَرَب بالقِدَاح سَبَق، واذا أَسَر أطْلَق، وكان يُقْسِم بالله لا يَقْتُل واحدَ أُمِّه، وكان اذا أَهَلَّ الشهرُ الأصمُّ وهو رجب الذى كانت العرب تعظمه فى الجاهلية نحر كل يوم عشرة من الإبل فأطعم الناسَ واجتمعوا اليه، فكان ممن يأتيه من الشعراء الحُطَيئة وبشر بن أبى خازم . وذُكر أن أمَّ حاتم أُتِيَتْ وهى حُبْلَى فى المنام، فقيل لها : غلام سَمْحٌ يقال له حاتم ألا قُولِى : أَحَبُّ اليك أم عشرة عِلْمِهِ كالناس، لُيُوثٌ عند الباس، ليسوا بأوغالٍ ولا أنكاس؟ فقالت : لا، بل حاتم، فولدت حاتما، فلما تَرَعْرَع جعل يُخْرِج طعامَه، فإن وَجَد أحدا أَكَل مَعَه، و إن لم يجد أحدا طَرَحه. فلما رأى أبوه أنه يُهْلِك طعامَه قال : الْحَقْ بالإبل، فخرج اليها وَوَهَب له جارية وفَرَسا وفَلُّوها، فلما أتاها طَفِق يَبْغِى الناسَ فلا يجدهم، و يأتى الطريقَ فلا يجد عليها أحدا، فبينا هو كذلك اذ بَصُر بِرَكْب على الطريق فأتاهم، فقالوا : يافتى، هل مِنْ قِرًى ؟ فقال حاتم : تسألون عن القِرى وقد رأيتم الإبل ! انزلوا —

(١) التُّرك : جمع تركة وهى لبيضة توضع على الرأس فى الحرب .

وكان الذين بَصُر بهم عَبيد بن الأَبْرَص و بِشْر بن أبى خَازِم و زِيَاد بن جَابِر وهو النابغة — وكانوا يريدون النعمان فنحَر لهم حاتم ثلاثةً من الإبل، فقال عبيد : إنما أردنا اللبنَ وكانت تكفينا بَكْرة إذ كنتَ لا بُدَّ متكلِّفا لنا، فقال حاتم: قد عرفتُ، ولكنِّى رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة، فعلمت أن البلدان غير واحدة، فأحببتُ أن يَبْقَى لى منكم فى كل بلد ذِكْر، فقالوا فيه شعرا يمتدحونه و يذكرون فضله، فقال لهم حاتم : إنما أردت أن أحسن إليكم فصار لكم علىّ الفضل، وعلىّ أن أضرب عَراقِيبَ إبلى أو تقوموا اليها فتقتسموها، ففعلوا فأصاب الرجلُ منهم تسعةً وثلاثين بعيرا، ومَضَوْا على سَفَرهم الى النعمان، وسمع أبوه بما فعل فأتاه، فقال : أين الإبل؟ فقال : يا أبَتِ، طَوَّقْتُك طَوْقَ الحمامة مَجْد الدهر وكرما، لا يزال رجل يَحْمِل لنا بَيْتَ شِعْر أبدا بإبلك، فقال أبوه : أبإبلى؟ قال : نَعَمْ، قال : والله لا أسكن معك أبدا، فخرج أبوه بأهله وترك حاتما، فقال فى ذلك حاتم يذكر تحوّل أبيه عنه :

وإنِّى لَعَفُّ الفَقْر مُشْتَرَك الغِنى ✻ وتاركُ شكل لا يُوَافِقُه شَكْلى

وشَكْلَىَ شَكْلٌ لا يقوم بمثله ✻ من الناس إلَّا كلُّ ذى ثِقةٍ مِثْلى

من جملة أبيات . ولما تَزَوَّج حاتمٌ ماوِيَّةَ وكانت من أحسن النساء لبثتْ عنده زمانا. ثم ان ابنَ عم لحاتم يقال له مالك قال لماوِيَّة : ما تصنعين بحاتم؟ فوالله لئن وَجَدَ لَيُتْلِفَنَّ، ولئن لم يَجِدْ لَيَتكلَّفَنَّ، ولئن مات لَيَتْرُكَنَّ ولدكِ عِيالًا على قومه . فقالت : صَدَقتَ، إنَّه لكذلك . وكانت النساء أو بعضهنّ يطلِّقْنَ الرجالَ فى الجاهلية، وكان طَلَاقُهنّ أنهنَّ يُحَوِّلْنَ أبوابَ بُيوتهن، إن كان الباب الى المشرق جَعَلْنَه الى المغرب، و إن كان الباب قِبَلَ اليمن جَعَلْنَه قِبَلَ الشأم، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن امرأته طلقته، وقال ابن عمه لها : فأنا أنصحك وأنا خير لك منه وأكثر مالا وأنا أُمْسِك عليك وعلى ولدِك، فلم يزل بها حتى طلَّقت حاتما، فأتاها وقد حَوَّلت الخباءَ، فقال لابنه : ماترى أمك ما عدا عليها؟ فقال : لاأدرى، فَهَبَط به بطنَ واد . وجاء قوم فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون فَتَوافَى خمسون رجلا فضاقت بهم ماوِيَّة ذَرْعا، فقالت لجاريتها : اذهبى الى مالك فقولى : إن أضيافا لحاتم نزلوا بنا وهم خمسون رجلا، فأرسل الينا بناب تنحرها لهم و بوَطْب لبن نسقيهم، وقالت لجاريتها : انظرى الى جبينه وفمه، فان سابقك بالمعروف فاقبلى منه، وان ضَرَب بِمِحْبَيْه على زَوْره وأدخل يدَه فى رأسه فارجعى ودَعِيه . فلما أتته وجدته متوسِّدا وَطْبًا من لبن، فأيقظته وأبلغته الرسالةَ

وقالت : انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكانه ، فضرب بلحيته على زوره وأدخل يده فى رأسه وقال لها : اقرئى عليها السلام وقولى لها : هـذا الذى نَهَيْتُك عنه وأمرتُك أن تُطَلِّقِى حاتما من أجله ، فما عندى من كبيرة قد تركت العمل ، وما كنت لأنحر صغيرة لشحم كلاها : وما عندى من لبن يكفى أضيافَ حاتم ، فرجعت الجارية وأعلمتها بمقالته ، فقالت لهـا : ويلك ! ائتى حاتمـا فقولى له : إن أضيافك نزلوا بنا الليلة ، فأرسـلْ الينا بناب تنحرها لهم ولبن نسقيهم ، فقال حاتم : نَعَمْ ، وأبى وأنياب ، وقام الى الإبل فأطلق عُقُلَها ، وصاح بها حتى أتى الخباء وضرب عراقيبها ، فطَفِقَتْ ماوِيَّة تصيحُ : هذا الذى طاقتك فيه تترك ولدك ليس لهم شىء . وان حاتما دَعَتْه نفسه الى بنت عَفْزَر ، فأتاها يخطبها ، فوجد عنـدها النابغة و رجلا من النَّبِيت يَخْطُبانها ، فقالت لهم : انقلبوا الى رِحَالِكم وليقل كل رجل منكم شعرا يذكر فيه فعاله وخصائله ، فإنى أتزوج أشعرَكم وأكرَمَكم ، فانصرفوا ونَحَر كُلُّ واحد منهـم جزورا ، ولبست بنت عفزر ثيابا لأمة لها ، وأتتهم فاستطعمت كلَّ رجل منهم ، فأتت النَّبِيتِىَّ فأطعمها ثِيلَ جَمَلِه فأخذتْه ، ثم أتت النابغةَ فأطعمها ذَنَبَ جمله فأخذتْه ، ثم أتت حاتمـا وقد نَصَب قُدورَه وهى على النار فاستطعمته فأطعمها قطعة من السَّنام وغير ذلك واطعمها عِظَاما من العَجُز قد نَضِجَتْ ، فأهدى اليها كل رجل منهـم ظهر جمله وأهدى اليها حاتم مثـل ما أهدى الى جاراته ، فصبحوها فاستنشدتْهم فأنشدها النبيتىُّ قصيدتَه التى يقول فيها :

هَلَّا سألتِ هداك الله ما حَسَبِي ❊ عنـد الشتاء اذا ما هَبَّتِ الريح

فقالت : لقد ذَكَرْتَ جَهْدا . واستنشدتِ النابغةَ فأنشدها :

هلا سألت هداك الله ما حسبى ❊ اذا الدُّخان تَغَشَّى الأشْمَطَ البَرَما

ثم آستنشدتْ حاتما فأنشدها .

❊ أماوىَّ قد طال التَجَنب والهجرُ ❊

فلما فرغ حاتم من إنشاده دَعَتْ بالغَداء ، وقد كانت أمرتْ جواريَها أن يُقَدِّمْن الى كل رجل ما أطعمها ، فقدَّمْن اليهم ثِيلَ الجَمَل وذَنَبه ، فنَكَس النَّبِيتىُّ والنابغة رءوسهما . وان حاتما لما نظر الى ذلك رَمَى بالذى قُدِّم اليهما وأطعمهما مما قُدم اليه ، فتَسَلَّلَا لِوَاذا ، فقالت : إن حاتما أكرمُكم وأشعرُكم

(١) كذا فى الأصل ، ولم يذكر هنا ما قدم الى حاتم .

فلما خرجا قالت لحاتم : خَلِّ سبيل امرأتك، فأبى فَرَدَّته ورَدَّتهم. فلما انصرف دعته نفسُه اليها وماتت امرأته فَخَطبها فتزوجته ، فولدت له عَدِيًّا وكانت من بنات ملوك اليمن . ويقال : إن عديا وعبد الله وسَفَّانةَ بنى حاتم من امرأته النَّوار . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقالت طيئ : إن رجلا يعرف بأبى خَيْبَرِىّ قَدِم فى رُفْقة له ونزل بقبر حاتم وبات يناديه، أبا عَدِىٍّ اقْرِ أضيافَك، فلما كان وقتُ السَّحَر وثَب أبو خَيْبَرِى يصيح واراحلتاه! فقالت أصحابه : ما شأنك؟ قال : خرج حاتم والله بالسيف حتى عَقَر ناقتى وأنا أنظر اليه، فنظروا فإذا هى لا تنبعث، فقالوا: والله قد قَرَاك، فَنَحروها وظلُّوا يأكلون من لحمها، ثم أردفوه وانطلقوا، فبينا هم كذلك فى سيرهم طَلَع عليهم عدى بن حاتم ومعه جمل أسود قد قَرَنه ببعيره فقال: إن حاتما جاءنى فى النوم فذكر لى شَتْمَك إياه، وإنه قَرَاك وأصحابَك راحلتك، وأمرنى أن أدفع لك هذا البعير وقد قال أبياتا فى ذلك وردَّدَها عَلَىَّ حتى حفظتُها :

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنت امرؤ * ظَلُومُ العَشِيرة لَوَّامُها
فماذا أردت الى رِمَّة * بِدَاوِيَّة صَحِبٍ هامُها
تَبَغِّى أذاها واعسارها * وحَوْلَك عَوْفٌ وأنعامها

فَخُذْه، فأخذه وانصرف مع رفقته .

قال وحدّثنا النيسابورى قال حدّثنا حاجب بن سليمان قال حدّثنا مؤمل بن إسماعيل قال حدّثنا سفيان عن ابن جُرَيج عن عطاء بن زيد بن خالد الجُهَنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من فَطَّر صائما أو جَهَّز غازيا كان له مثل أجره"[1] .

(١) وقع هذا الحديث هنا فى صلب الأصل وتقدم فى أول الذيل ملحقا بالهامش مضبابا عليه وعليه علامة الصحة، ولم ندر ما حكمة ذلك .

كمل كتاب الذيل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ويليه كتاب النوادر للإمام أبى على القالى أيضا رحمه الله